د. رفعت السعيد

احمد حسين
كلمات ومواقف

العربي
للنشر والتوزيع

د. رفعت السعيد

احمد حسين
كلمات ومواقف

قادة العمل السياسى فى مصر (٥)

رؤية عصرية

صدر من هذه السلسلة

* محمد فريد ــ الموقف والمأساه
* سعد زغلول بين اليمين واليسار
* مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل
* حسن البنا متى . كيف ولماذا ؟



للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى ــ أمام روز اليوسف

تليفون : ٢٧٥٦٦ ــ ٢٧٤٨٢

القاهرة

.. وحتى عندما يبدو الليلحالكا

يبقى نجم يسطع ..

اليــه اهــدى كل شىء

القاهرة : مارس ١٩٧٩

صدر من سلسلة

قادة العمل السياسي في مصر

رؤية مصرية

- محمد فريد — الموقف والمأساة
- سعد زغلول — بين اليمين واليسار
- مصطفى النحاس — السياسي والزعيم والمناضل
- حسن البنا — متى وكيف ولماذا ؟

ثلاث كلمات ٠٠ هى المقدمة
٠٠ الكلمة الأولى
ذلك البرجوازى الصغير ٠٠ !

شخصية البرجوازى الصغير البالغة التعقيد كانت ولم تزل مثارا لنقاش طويل ، ودراسات ممتده ، فتلك الشخصية المتميزة المليئة بالمتناقضات تحتوى فى داخلها على الشيء ونقيضــه ، والموقف وضــده ، وهى تتقدم معلنه انها تتراجع ، ثمتتراجع معلنه انها تتقدم ، وهى فى كثير من الاحيان تتخذ موقف « محلك سر » فلا هى سكتت ولا هى تحركت ، تثير ضجة باقدامهــــا دون أن تتجاسر على الانتقال الى أى موقف جديد ٠

البرجوازى الصغير يقول كثيرا ولا يفعل الا القليل ، وعندما يفعل فلا تحركه الا ذاته فهى بالنسبة له أهم ما فى هذا الكون ، بل هى أهم من الكون كله ، وطموحاته كثيرة بحيث ينوء هو نفسه بها وبحيث تظل راسخة فوق أكتافه فيمشى مقوس الظهر الى الابد ٠

وهو أيضا يتخذ الموقف ليحقق نقيضة ، ربما دون أن يتخذ قرارا بذلك لكنه التكوين الفكرى والوجدانى والتراثى ٠٠ الذى يهيمن عليه ويفرض نفسه كالعوامل الوراثية ٠

هو أعلى الناس صوتا فى المعركة الوطنية ، الفاظه المشتعله تحمل وهجا يخطف أبصاره وأبصار الآخرين ، لكنه اقل الناس اسـتعدادا للتضحية ٠٠ صحيح أن مصر تمثل بالنسبة له شيئا عظيما يسـتحق التقديس وصحيح أنة يبغض أعداءها بغضا حقيقيا لا افتعال فيه لكن الحب الجارف والبغض الحقيقى ليسا بالنسـبة له سـوى انفعالات عاطفية تتغلب عليها عاطفتان هما دائما الغالبتان عنده « حب الذات » و « الخوف » ٠

فهو كموظف صـغير ينتمى الى فئة تعيش الخـوف اليومى على « تراب الميرى » وهو كحرفى أو تاجر صغير يعيش مأسـاة « المسـئولية » بدونه لن تستقيم أمور الاسرة وسوف يتعثر مستقبل الزوجة والاولاد ٠٠ وهو كمثقف يريد الاخذ لا العطـاء ، وكمهنى يتحرك دوما فى اطار الصـعود والامل فى الانفلات من أسار وضعه الطبقى ٠

ومن ثم فلا مجال سوى التحلى بالصبر المدثر بالخوف ، وترك أمور العمل الوطنى بما فيها من تضحيات لن لا تثقل كاهله مسئوليات كتلك التى تحلق دوما فوق رأسـه ٠

وهو فى الموقف الاجتماعى يعيش نفس التناقض يحقد على الاغنياء ، لكنه يحلم اكثر مما يحقد ·· واحلامه كلها باتجاه الصعود نحو الثراء ·· وهو يطلب المساواة ، مساواته هو بالاغنياء ، وليس مساواة الفقراء به ·· وهو يعطف على العمال والفلاحين ، هم فى نظره «كائنات» تستحق «الشفقة» لكنها لا تستحق ابدا « القيادة » · القيادة له وحده هو المثقف ، المتعلم ، الفاهم لمجريات الامور · والشـــفقة يخلفها قدر كبير من الاحتقــار ، برغم ــ وربما بسبب ــ أنه شخصيا ابن من أبناء هذه الفئة التى يحتقرها · انه يحتقرها فى افتعال ظاهر محاولا أن يغسل حاضره من ماضيه ، لا يريد لاحد أن يعرف ابن من هو ، ولا يريد هو نفسه أن يتذكر ، لقد انفلت بسبب « عبقريته الخاصة » من إطار الاسرة الفقيرة وليس امامه ســوى أن يتركها فى القاع ليصـــعد ·· ويواصل الصعود · أو هو على العكس يعيش مأســاة الهبوط من أعلى ، متحدثا دوما عن « أصله العريق » متعاليا حتى على نفسه ·· وهو فى كلتا الحالتين يعانى من عقد نفسية تعيش معه مأساة الفعل غير المثمر والحركة المجدبة ·· ويبقى ثابتا فى موقعه الاجتماعى وبرغم كل احلامه عن الصعود ·

وهو كموظف ينحصر طموحه الاجتماعى فى العلاوة والترقية ، والمفتاح اليها هو الخضوع المشبع بالمذلة واسترضاء الرؤساء ، وهو يتلقى راضيا ضغط الرؤساء ليفرغه مضاعفا على مرؤوسيه أو على جمهور المتعاملين معه ··

وكحرفى أو تاجر يشكو جالسا على باب محله من اســـتغلال الاغنياء وكبار التجار له ·· شــاكيا ضنك الحيــاة · منددا بكل شىء ، مترحما على « ايام زمان » حيث كان شرف الكلمة واســتقامة التعامل هما محور الحياة ، لكنه ما أن يلتقط « زبونا » حتى يفترسه بكل ما فى نفسه من حقد على الكبار ، وبكل ما فيها من طموح للثراء والصعود بأى ثمن ، وهو يمتص بوحشية هادئة وصبوره دماء العاملين عنده ، شاكيا منهم باســـتمرار ، مترحما على الايام القديمة التى كان العامل فيها اكثر طاعة وأقل كلاما وبلا مطالب ، وهو كمثقف يتحدث عن الفقر والمساواة والثراء غير المشروع ·· ويناقش القضــايا كلها ممسكا بالعصا من منتصفها ·· يرفض الاستغلال من الناحية النظرية ، ثم يتصوره حلالا من الناحية العملية · يدافع عن حقوق الكادحين لكنه ينكرها عندما تحاول أن تفرض لنفسها فرصة التحقق · وقد يتحدث عن الاشتراكية لكنه يرفض ــ بينه وبين نفسه ــ نمط الحيــاة التى تقيمه فهو لا يتصـــور أن يتساوى فعلا مع العمال والفلاحين أو أن يعيش نفس مســـتوى حياتهم مهما ارتفع هذا المستوى · ثم هو يرهق نفسه تنديدا بالرأسمالية ، لكنه يتوق بل ويسعى جاهدا كى يضمن لنفسه نمط حياة فئاتها العليا فهو لا يحلم بأقل من الفيلا والسيارة والحياة المترفة ·

وفى حقل السياسة يتخذ البرجوازى الصغير الموقف الجديد به ، يتلون كالحرباء ويصعد مع الموج الصاعد محاولا امتطائه ، ولان « قرون استشعاره » ذات حساسية فائقة فانه اول من يفر من الموجه الصـاعدة اذا ما أحس انها مقبلة على ازمة الهبوط ٠

ينـادى بالتغيير فقط اذا ما كان يحقق لـه مصـلحة ذاتية ، وهـو يريد هـذا التغيير دون أن يبذل من أجله اى جهـد ٠ فلا بأس من ان يناضل الآخرون ثم يجنى الثمار ، والثورة بالنسبة له فعل يصنعه الجمهور ليصل به هو الى الحكم ، فان تعثرت انقلب على القائمين بها وان حققت اى نجاح نسبه الى نفسه ٠

وباختصار شـديد ٠٠ يقف البرجوازى الصغير دوما « مع الرايجة » وهـو يؤمن ايمانا مطلقـا بالمثل القائل « اللى تغلبـه العبـه » وهى يطبق هـذا المثل تطبيقـا شبه أبدى فى كل تصرفاته القومية والسياسية والاجتماعية وحتى الأسرية ٠

وهو يندفع فى الطريق المفتوح سـواء اكان طريقـا صداميا او هادئا ، سياسيا او اجتماعيا ، لكنه لا يلبث لدى أول عقبة أن يرتد دون تدبر ، ودون اى قدر أو قدرة على الصمود ، وكثيرا ما يستر ذلك كله بشعارات متشنجة قد تبدو فى ظاهرها استمرارا فى الاندفاع وتطرفا فيـه لكنها فى واقع الامر ليست سـوى غلاف كلامى هش يرضى الغـرور ، ويدغدغ المشـاعر ٠٠ وايضا يستر عورة الانسحاب ٠

* * *

ذلك كله فى العموميات ٠٠ ينطبق على صورة البرجوازى الصـغير هنـا او هناك فماذا عن البرجوازى الصغير المصرى ؟

لقد عانى مما هو أسوأ ٠٠ فكان أيضا أسوأ ٠

كل البرجوازيات الصغيرة تعانى من القهر المعلب ، وتمارس نفس الحياة التى يمتزج فيها الطموح بالتمرد بالمذلة ، لكن البرجوازية الصغيرة المصرية عانت — اكثر من غيرها — من مركبات نقص خطيرة ٠

تماما كطفل الريف المصرى يقعده نقص الطعام ٠٠ يجعله كسيحا ينمو بغير ارتقـاع ٠٠ تتقوس سـاقاه فيزداد اقترابا من الارض كلما تقدمت به السن ٠

* * *

الحرفيون فى البلدان الاخرى يدخلون « معصرة » الرأسمالى فيخرجون من طرفها الآخـر اما رأسماليين (القلة القليلة منهم) أو بروليتاريا (الكثرة الغالبة) ٠٠ الا فى مصر ٠

فقد اتى التتار الغربيون .. الغــزاه والوافــدون القادمون من أوربا فاقاموا واستوطنوا (فى عام ١٩٠٧ كان فى مصر ١٥١ر٤١٤ أجنبيــا منهم ٦٢٫٩٧٣ يونانيــا و ٣٤٫٩٢٦ ايطاليا معظمهم اشتغل بالتجارة والحــرف والمهن المختلفة حاملا معه تراثا أوربيــا اكثر تقــدما وأكثر اغراءا) (١) وطرأت تغييرات كثيرة على انماط الحياة المصرية وعلى قدراتها الاســتهلاكية وازدادَ النهم للمنتجات الغربية التزعة ، ومع اشراقة القرن العشرين كانت معظم الحرف المصرية تلفظ آخر انفاسها تحت وطأة المنافسة الغربية (٢) (المتمثلة سواء فى السلع المستوردة او فى السلع المنتجة محليا على أيدى صناع اوربيين ووفقا لانماط اوربية) ثم وجهت الضربة القاتلة عندما توقف التعامل (الاقتصادى عموما والحكومى على وجه الخصوص) مع شــيوخ الحرف باعتبارهم مسئولين عن أبناء حرفتهم (٣) .

هكذا يدخل الحرفيون الى معصره من نوع جديد ، تفرزهم من الناحية الأخرى اما ممارسين لنفس مهنتهم فى مستوى مهنى ومعيشى أكثر تدنيا ، مفتقدين السوق والتنظيم والقدرة على مواكبة العصر ، واما مضطرين الى النزوح لمهنة أخرى تكون بالضرورة سبيلا آخر للانحدار نحو القاع .

والصناعة مختنقة هى الاخرى مع اختناق الانفاس فى صدر مصر كلها تحت وطأة الاحتلال فالتمييز الذى ناله الاجانب تجارا ومستوردين ومنتجين قد منحهم القدرة على سد الطريق امام اى تفكير مصرى باتجاه الصناعة .

وفى مطلع القرن العشرين — تلك الفترة التى تشكل فيها وجه ومحتوى مصر الحديثة — كان التصنيع شيئا بعيداً عن خيالات الاثرياء المصــريين ، فضيق السوق الناجم عن تزايد الفقر ، والمنافسة الاجنبية الصارمة والتى يدعمها احتلال اشد صرامة ، ووجود أجنبى متغلغل فى كل ارجاء الحياة المصرية ، وازدهار الزراعة الناجم عن تنظيم شبكة الرى وتحسين أساليب الزراعة واستخدام المخصبات الصناعية ، الامر الذى جعل الريع الزراعى أعلى من أى عائد استثمار آخر .. كل هذه العوامل امعنت فى سد طريق التصنيع أمام البرجوازية المصرية الناشئة فى أوائل القرن . (٤) .

---

(1) A. Wright and H.A. Cartwright, Twentieth Century — impressions of EGYPT. (London. 1909) PP 280.

(2) F. AMICI, ESSai de Statistequ générale de l'EGYPEE (L'cairc 1879).

(3) A. Mètin, La transformation de L'Egypte (Paris, 1 903) P P 292.

(4) P. M. Holt, Political and Social Change in Modern Egyp (London 1968) P. 137.

والتجار كانوا هم ايضا يعانون ، ويعجزون عن مواكبة روح العصر ٠٠ ففى الوقت الذى انهمرت الى شوارع القاهرة محلات اجنبية الطراز يمتلكها ويديرها ويعمل فيها اجانب يقيمون فى مصر ، ويملأونها بمختلف منتجات الغرب ، كان التجار المصريون لا يزالون يعيشون اساليب وممكنات العصر المملوكى ، فهم اما تجار بهار ومحاصيل او تجار ملابس ومنسوجات ٠٠ وارباحهم (وكانت وفيرة) لم تتحول تراكماتها مطلقا كى تصبح رأسمالا — بالمعنى العصرى للكلمة ، يحول دون ذلك الفهم الدينى المتشدد والذى يرفض الارباح المصرفية ، وسعر الفائده ، وفوائد التسليف ، باعتبارها ربا ، ويرفض ايضا التأمين ومختلف اشكال التطور الراسمالى ٠٠٠ ولم يعد من منفذ امام تراكمات ارباح التجار المسلمين الا النزوع بها نحو الاستثمار فى الملكية الزراعية وكان عائدها مغريا للغاية ٠٠ او استنزافها فى استهلاك ترفى هيأ له الاجانب فرصا ومسالك عديدة ٠٠ ويعبر المويلحى عن ذلك كله فى حديث عيسى بن هشام « وياليت اولادكم واحفادكم (موجها الحديث للاغنياء) خففوا عليكم من الاثم فى جمعها من دماء المصريين بانفاقها بينهم وتبذيرها فيهم ، فيكون ذلك منهم كرد بعض الحق لأهله ، ولكن البلاء كل البلاء انها ذهبت جميعا الى ايدى الاجانب والغرباء ٠٠٠ وما دفع باعقابكم الى هذا الليان والتسليم الاما ورثوه عنكم من الاحترام لشأن الاجنبى والاحتقار لجانب المصرى » (١) ٠٠٠ وهكذا وبدلا من ان يتقدم التجار نحو الراسمالية تراجعوا خطوات الى الخلف نحو الانماط الاقطاعية للاستغلال ، او انحدروا الى هاوية البرجوازية الصغيرة ٠٠

والمثقفون يعانون من مشكلات اكثر تعقيدا ٠٠

المستقبل مظلم ، فالوظائف الحكومية محجوزة فى اغلبها للأجانب (كانت نسبة الموظفين المصريين فى الوظائف الكبيرة منخفضة وتزداد انخفاضا باستمرار فبعد ان كانت ٢٧ر٧٪ فقط من جمالى الوظائف الكبيرة عام ١٩٠٥ انخفضت الى ٢٣ر١ ٪ عام ١٩٢٠) ٠ (٢) ٠

وهم فى مجال التعليم يعانون من انقسام خطير وتناقض بين التعليم الازهرى ذو الطابع الدينى الصرف والتعليم العصرى الذى اتخذ فى بعض جوانبه طابعا علمانيا ٠٠ وكان لابد لذلك ان يترك آثارا تشبه الى حد كبير حالة انفصام الشخصية فى ذهنية المثقف المصرى ٠ ثم هو ايضا يتعرض لرياح متعاكسة ، ففى مطلع القرن العشرين تلك الفترة التى تلح على

---

(١) محمد المويلحى — حديث عيسى بن هشام ، الدار القومية للنشر (١٩٦٤) ص ٥٢ ٠

(٢) فوزى جرجس — دراسات فى تاريخ مصر السياسى (القاهرة ١٩٥٨ ص ١٢٩ ٠

حساسيتها وتأثيرها الحاسم فى التكوين الثقافى والفكرى للمصريين ، كان المثقف المصرى يقف مشتتا بين الجذور المصرية ذات العمق الفرعونى والميول الاسلامية ، والاتجاهات العربية ، والنوازع المتوسطيه (*) والارتبـــاطات الغربية عموما ٠٠ كل ذلك وهو يتطلع جنوبا الى افريقيا ٠٠ مناديا بوحدة وادى النيل وكان لهذا ايضا اثره ٠

والمهنيون طليعة المثقفين والفصيل الاكثر استناره والاكثر تاثيرا من فصائل البرجوازية الصغيرة كانوا قليلين للغاية ٠٠ اجمالى عددهم فى مصر كلها عام ١٩٠٧ كان ٧٩٥٧ مهنيا (منهم ٣٦٧٧ من المشــــتغلين بالاعمال الهندسية ، و ٢٢٣٧ من المحامين وكتبتهم و ١٢٧١ من المشـــتغلين بالمهن الطبية) والكثر من ٥٠٪ من هذا الاجمالى كان من الاجانب ٠٠ أى ان اجمالى عدد المهنيين المصريين كان يقل عن ٤٠٠٠ شخصا (١) ٠

والمدن هى بوتقة النشأة والنمو البرجوازى العصرى ، فيهايتمركز نفوذ البرجوازية الصغيرة العصرية وتتكون ممكنات نموها ، لكن المدن المصـــرية ظلت لفترة طويلة تعانى من الحصار ٠٠ فحيث لا صناعة ، وحيث الحرف تصفى ، والتجارة تعجز عن النمو ٠٠ تشيخ المدينة وتعجز عن النمو بل وتنحدر الى دور الذبول ٠

وتقدم لنا الاحصاءات مؤشرات غاية فى الغرابة ٠ ففى عام ١٨٤٦ كانت نسبة سكان المدن التى يزيد تعدادها عن ٢٠٠٠٠ نسمة الى مجموع السكان ١٠٪ فقط ، تصاعدت فى بطىء شديد لتصل الى ١١٫٥٪ فى عام ١٨٨٢ ، ويستمر التصاعد البطىء ليصل الى ١٣٫٦٪ فى عام ١٨٩٧ ثم يتوقف ٠ ويرغم انهمار فيض الاجانب الذين هم عادة من سكان المدن فان النسبة تظل تقريبا كما هى حتى عام ١٩٠٧ اذ تبلغ ١٣٫٧٪ (٢) بما يعنى ان المدن المصرية قد شهدت نزوحا معاكسا نحو الريف هربا من نضوب مصادر الرزق فيها ٠٠

وبرغم قلة عـــدد ســكان المـــدن (وهـــو معيـــار اكيد لضعف الوعاء البرجوازى وافتقاده لمكنات التطور) فان نسبة قليلة من سكان هذه المدن يمكن القول بانهم ابناء اصلاء للمدينة ٠٠ ففى قاهرة ١٩٠٧ كان هنـــاك ٣٠٫٠٠٠ من سكانها ولدوا فى مديرية اسيوط وحدها ٠ ومعظم سكان مدن القناة كانوا من ابناء مديرية قنا (٣) الأمر الذى ادى الى افتقاد اصالة المكونات الذهنية والفكرية والمعيشية لابناء المدن ٠٠

(*) نسبة الى حضارة البحر الابيض المتوسط ٠

(1) Holt - Ibid - pp 154.

(2) Boinet Bey, Dictionnaire Gègraphique de L'Egypt (Cairo – 1899) ·

(3) Holt - Ibid - pp. 155.

وفى مدينة كالقاهرة مطلع القرن العشرين يقف الانسان المصرى معاصرا بين احياء يحتلها السادة القدامى (الاتراك والاسر ذات الاصل الاقطاعى) واحياء يتمركز فيها الاجانب ويحتلونها عن آخرها (*) .. ولا يبقى له اى موضع قدم الا فى أحياء هى اشد الاحياء فقرا واقلها شبها بالمدن الحقيقية .

والاسرة فى المدينة هى فى ذاتها تكوين غير منسق .. الأب متعلم (نصف مثقف) آت من الريف (ابن لفلاح غنى أو متوسط) والأم من اصل تركى او شركسى (تقتات احتقار المصريين) والابناء يقبلون على التعليم املا فى مستقبل افضل ، والبنات يحتجزن فى المنازل وفقا لتعاليم العصور الوسطى .. وهكذا تمتزج انتماءات متناقضة تحتاج الى مرحلة تاريخية حتى تختمر وتمتزج وتثمر شيئا جديدا ، مستقرا .

اما برجوازية الريف الصغيرة فقد كانت تعيش مأساة قهر مركب (الاحتلال .. كبار الملاك .. المرابين الاجانب .. التخلف الشديد للقرية المصرية) .

.. كل العوامل السابقة وأخرى كثيرة غيرها ، كان لابد لها ان تترك آثاراً سلبية على البرجوازية المصرية عموما والشرائح الصغيرة منها على وجه الخصوص .. فوضعتها موضع الضعف الدائم ، وافتقاد القدرة على النمو الصحى والتصحيح .

وأعود فأكرر ان ذلك كله كان فى مرحلة من أخطر مراحل التكوين .. وهى بالضرورة مرحلة تتضاعف فيها انعكاسات اية مؤثرات ، وتتحول الى ما يشبه العوامل الوراثية .. التى تسرى من جيل الى جيل .



(*) وحتى عام ١٩٤٦ كان الوضع على ما هو عليه الى درجة ان كاتبا كمحمد التابعى كتب متهكما قطالب مصر بفتح سفارة لها فى حى قصر النيل وهو الحى التجارى الرئيسى بالقاهرة باعتبار انه حى اجنبى صرف .

الكلمة الثانية

هذا البلد العظيم ، الغريب المسمى مصر ۰۰!

۰۰ مصـــــر

أى بلد يتوله أبناؤه فى حبه ، ويتعذبون بهذا الحب كمصر ۰

ذلك العملاق المهيب الذى كثيرا ما وقف يتمايل فى مواجهة الرياح ۰۰ يتمايل وكأنه سيسقط ، لكنه ابدا لم يسقط ، ابدا لن يسقط ۰

موقعه من العالم كموقع كلمة السر فى لغز الكلمات المتقاطعة ۰۰ أى مكان يتلامس معه لا يكتمل الا به ، هو الاساس فى الوطن العربى ۰۰ رغم انه ليس الأول انتسابا للعروبة ، وليس الاعرق ايمانا بها ۰ وهو القلب فى العالم الاسلامى ، أزهره أعرق جامعاته وهو ليس أول جامعة ، ولا أكبر جامعة ۰۰ لكنه الاعرق ، والاكثر اصالة ، والاعلى كلمة ۰

وهو على اطراف افريقيا ومع ذلك فهو يبدو وكأنه لها حجر الاساس ۰

ذلك العملاق المهيب الذى يغتســـل وجهه بأمواج البحـــر المتوسط ، وتستدفىء اقدامه بالمياه الاستوائية الحارة ۰

الحجر الصوان الصلد ۰۰ الذى لا يعرف الشظايا الصغيرة ، ولا يعترف بها ۰۰ حجم هائل متماسك لا يعرف التشرزم العرقى أو اللونى ، فيـــه كل الالوان دون تمايز أو تنافر ۰

وكالحجر الصوان ايضا تقف الديانات فيه ۰

المسلمون كتلة واحدة لا تعرف التمذهب ، ولعله البلد الاسلامى الوحيد الذى لا يتفتت فيه الانتماء الاسلامى الى مذاهب متنافرة أو حتى متعددة ، وكذلك مسيحيوه هم ايضا كتلة واحدة فى اغلبهم ۰

ذلك الكائن المتميز دوما ، المسمى مصر تعرضت حدوده للانتهـــاك ، وارضه للاحتلال ، أتاه غزاة كثيرون ۰۰ دخلوا فى يسر ، واســـتقروا ۰۰ وظنوا ان الأمر قد استقر بهم فاذا بهم وقد ذابوا أو ذهبوا ۰

والكيان الخاص ۰۰ يخلق بالطبع نمطا خاصا من السكان ۰

★ ★ ★

كان سارى عسكر الفرنسيس غاضبا على علمائه ۰۰

لقد اتى نابليون الى مصر فى ركب من الباحثين والعلماء ضمن جيش قوى احتل البلاد ۰۰ ولكنه كان يعتقد باستمرار احتلاله لمصر فقد اطلق علماؤه يدرسون ويفحصون كل شىء ۰

وقد نجحوا ٠٠ فرسوا الجغـــرافيا والجيولوجيا والآثار والمنـــاخ والتربة ٠٠ اكتشفوا حجر رشيد ، فكوا رموز اللغة الهيروغليفية ٠٠

شىء واحد لم يكتشفوه ، ولم يستطيعوا ان يفكوا رموزه ٠٠ الانسان المصرى ٠

وعندما قامت ثورة القاهرة الاولى دهش نابليون للمفاجأة ، بعينيه رأى المصريين مسالمين مستسلمين بل وقادرين على المزيد من الاستسلام ، باذنيه سمع طنين الخنوع ثم فجأة كانت الثورة ٠٠ انتفض المصرى غضبا ورفضا ، لا أحد يعرف لـماذا ؟ وأدرك نابليون أنه كمحتل اذا لم يعرف لـماذا ؟ فانه يستحيل أن يعرف متى !

وعندما أسكتت مدافعه صوت التمرد ، وسار المصريون مرة أخرى — متوارين بجوار الجدران ، تصور أن الضربة قد اسكتتهم الى الابد ، وعاد مرة أخرى يستمتع بطنين الخضوع ، وفجأة وبلا مقدمات ٠٠ ثورة القاهـــرة الثانية ٠ واشهر سارى عسكر غضبه على علمائه ٠٠ كيف لا يعرفون مفتاح شخصية الانسان المصرى ؟

وذات يوم كان يقلب صفحات تقرير متضمن فى كتاب « وصف مصر » ٠

صاحب التقرير هو العالم « جولوا » الذى زار مدينة رشيد وأقام فيها زمنا ثم كتب دراسة ممتعة وبالغة الدقة بعنوان « دراسة موجزة عن مدينة رشيد » وفى الدراسة فصل أسماه « عن سحرة الثعابين » تحدث فيه عن عدد من المصريين لا يستطيعون فقط التعامل مع الثعابين السامة وانما هم ايضا قادرون على اعطاء « العهد » لآخرين فيمنحونهم القدرة على التعامل الآمن مع الثعبان ٠

لم ينخدع « جولوا » بالطقوس ذات الطراز الكهنوتى « بوضع قليل من الماء فى اناء ، ثم يضاف الى الماء الزيت والسكر ويجاهد السحرة فى تكوين شراب من هذا الخليط ويتمتمون اثناء ذلك ببعض الادعياء ويبصقون فى النهاية فى المشروب الذى انتهوا من تجهيزه ، ويأمرون الشخص الذى يطلب « العهد » ضد لدغات الثعابين والعقارب بأن يتجرع هذا المشروب ، ثم يعلقون فى اذنيه ثعبانين كبيرين من اسنانهما ويتركونهما هكذا لمدة ربع ساعة » (١) ٠

لم ينخدع « جولوا » بذلك كله ، وتجاوزه نحو الفهم الصحيح لهذه الظاهرة ، ظاهرة قدرة الانسان المصرى على الامساك بالثعابين السامة دون ان يخشى منها ، بل لدون أن تجرؤ على النيل منه ٠ ويجيب « هم يتجرأون على هذه الحيوانات لانهم قد ألفوها ٠ لذلك فهم يستطيعون نتيجة لحالتهم تلك ان يقربوها بثقة ، بل وعن طيب خاطر ٠ وحيث انهم لم يعودوا يخشونها فانهم

---

(١) علمـــاء الحملة الفرنســية — وصف مصر — المجلد الثـــالث ٠ ترجمـــة زهير الشـــايب (١٩٧٨) مطبعـــة الجبلاوى القـــاهرة ٠ ص ٢٦٠ ٠

يقتربون منها بنوع من الطمانينة التى لا توحى بانهم ينتوون بها شرا • وهذا سبب كاف لئلا تسبب لهم هذه الزواحف اى اذى فالحيوانات لا تهاجم الانسان الا اذا عاملها بحذر يوحــى بالشــر ، فتجــابه عدوانيته بعدوانية من جانبها » • (١)

توقف سارى عسكر الفرنسيس عند هذه الفقرة من التقرير ، ومنها اكتشفحقيقة الانسان المصرى ومعدنه • يالف خصمه ثم يمد يده بهدوء وثقة حتى الى عنق الافعى السامة •

★ ★ ★

هذه الارض وذلك الانســـان •• كيف يتعـــاملان مع الافكار والايديولوجيات ••

كل فكر ياتى لينال صبغة جديدة ، يجرى استيعابه ، وتمثله ، ثم افرازه من جديد •

حتى الأديان اتخذت فى مصر سمتا خاصا • واكتسبت مذاقا خاصا • المسلمون فى مصر غيرهم فى أى مكان آخر ، وكذلك الاقباط •

كم غزاة اتوا ، وحضارات ، وثقافات ، ولغات كلها تركت اثرا لكنها لم تهيمن ، وكلها انعكست تحت ضوء الشمس المصرية فى ظلال جديدة ، وربما مختلفة •

من هم هؤلاء المصريون ؟

فراعنة بالتاريخ ، عرب بالانتماء ، افارقة بالجغرافيا ، مسلمون بالتدين ومن هذا الخليط كله تتكون عقلية غريبة قادرة على الاستيعاب والتاقلم ، لكنها ايضا ــ وهذا هو الأهم ــ قادرة على أن تضفى ظلها الوارف ، وعبقريتها الدفينة على كل فكر جديد •

الأرض خصبة ، شــديدة الخصوبة ، ما من فــكرة جيــدة ألا وتنبت وتورق •• وتعطى ازهارا وثمارا ، لكن النبت جديد ، مصرى المذاق ، مختلف عن كل ما عداه ، فلمصر دوما مذاقها الخاص •

هكذا كان الامر بالنسبة لكل الحضـــــارات التى تواكبت على مدى قرون •

السومرية ، الآشورية ، الفينيقية ، الهيلينية ، الرومانية ، الفارسية ، الاسلامية ، العثمانية ، المتوسطية ، العربية ، الافريقية ، كلها غرست كبذرة وافدة فاذا بها تنبت نبتا مصريا •

وهكذا كان الامر بالنسبة للايديولوجيات الحديثة كلها اتت ، تواكبت الواحدة بعد الاخرى او تزاحمت الواحدة مع الاخرى ، لكنها فى كل الاحوال كانت مصرية المذاق •

---

(١) المرجع الســـابق • ص ٢٦١ •

وفى دراستنا هذه سوف نكتشف شيئا مثيرا ٠
ففى الثلاثينات ترددت صيحة الفاشية والنازية فى مصر ٠٠
« نحن فاشيون ! »

هكذا أعلن البعض ٠٠ لكنهم فى نفس الوقت كانوا يقولون ويؤمنــون « مصر فوق الجميع » ٠ وهكذا ويرغم الولاء النظرى للفاشية نجد شعاران يتجابهان ، ويتناقضان « المانيا فوق الجميع » ام « مصر فوق الجميع » ! ونجد ان المانيا لم تكن منارا نظريا ، وانما مجرد عدو لاعداء البلاد ٠٠ ورفض الديمقراطية يجرى تلمسه من خلال توجهات معادية لما هو قائم ، لكنهم يرفضونها بمنهج سلبى ، وليس ايجابى ٠

وهكذا نكتشف ان الواقع المصرى المعقد زاد مســـــألة الانتماء النظرى والولاء العقائدى تعقيدا على تعقيد ٠ فليس بامكان مصرى أيا كان أن يهتف لهتلر او لالمانيا ٠٠ وهـــكذا على عكس الفاشست الاوربيين (غير الالمـــان) الذين امتهنوا كرامتهم الوطنية بل وانسانيتهم نباحا « المانيا فوق الجميع » نجد دعاة الفاشية المصريين يرفضون ذلك فيصبحون فاشست من منازلهم ٠

لكن الأمور أكثر تعقيدا من ذلك بكثير ٠

فالبرجوازى الصغير يطالعنا فى كل يوم بموقف جديد ٠ ومع كل تغير فى الظروف نجده يغير ثيابه وجلده معا ، ويحاول فى كل مرة ان يجد مبررات « كلامية » لموقفه ٠٠ فتصبح الكلمات بلا مدلول ، وعندما نخضعها تحت مجهر البحث التاريخى تكتشف زيفها ٠

ويبدو الزيف صارخ الوضوح عندما يفعل المنظور التاريخى فعله ، ويتجاوز البحث الفواصل التاريخية التى يتصور البرجوازى الصغير انها قد تطوى المواقف السابقة وتنسيها للناس فيقفز من موقف الى آخر معتمدا على احتمالات نسيان الناس لمواقفه السابقة ، وعلى ضعف الذاكرة العامة ٠٠

ولأن التاريخ هو مخزن الذاكرة للمجتمع فان المأساة الحقيقية للسياسى البرجوازى الصغير فى بلد كمصر تكمن فى مجابهته للتاريخ ٠

وتوضع المواقف الى جوار بعضها البعض ٠٠ أو فى مواجهة بعضــها البعض ٠

فتسقط الاقنعة ٠٠ كل الاقنعة ٠

ويقف البرجوازى الصغير عاريا ٠٠ امام محكمة التاريخ ٠

* * *

الكلمة الثالثة

هل تمسك معى بالزئبق ؟

هل يمكن ٠٠؟

الامساك بالزئبق شيء صعب ، لكنه ضرورة فى دراسة كهذه ، فالبرجوازى الصغير فى بلد كمصر هو بالفعــل كالزئبق فى تصرفاته ، غير مســتقر فى مواقفه ، يقول بلا تنفيذ ، ولا ينفذ ما يقول ٠

وهو فى بلد كمصر تزداد زئبقيته ، ويبدو عندما نتــأمله على المدى التاريخى للحدث قافزا بين مواقف متناقضة ، راقصا على حبال مختلفة ، يتصور من فرط اعجابه بنفسه ، انه يتلاعب بالجميع ، بينما هو فى واقع الامر ليس سوى العوبة فى أيدى من يحاول التلاعب بهم ، فالواقع اقوى منه ، والاطار العام لا يتيح له ، بل ولا يستسيغ منه سوى هذا الموقف ٠

والآن ٠٠ تعال معى يا عزيزى القارىء ٠٠ لنمسك معا بالزئبق !



● « الى رمز الجيل الجديد ، وطليعة المجد ٠٠ الى الجالس على عرش الفراعنة والعرب ٠٠ الى الملك المحبوب فاروق الأول ، أهدى هـذه السطور لتكون رمزا لولائى واخلاصى حتى نهاية العمر » (١) ٠

صاحب هذا الاهداء هو أحمد حسين وليس أحدا غيره ٠٠ ! وأين ؟ فى صدر كتابه المرموق الذى ضـــاهى بى « كفاحى » هتلر ٠٠ وأسـماه « ايمانى » ٠

وعندما أوشك العرش أن ينهار على رأس صاحبه نسى أحمد حسين تعهده بالولاء والاخلاص « حتى نهاية العمر » ٠٠

● « هيا نحطم القيود والاغلال ، أما هؤلاء الذين سيعترضون الطريق ، فالويل لهم الف مرة ومرة ، والله لنحطمنهم كما يحطم الزجاج الهش ولنمزقن اشلاءهم ، ونذريهم ارمادا فى الهواء ، فما نقبل بعد اليوم خـلافا فى بديهيات أولهـا الحـكم الحاضـر بدستوره ، وبرلمـانه يصلح اساسا لرقى شعب يريد المجد ، وأن ســـاسة الجيل القديم باجمعهم لم تعد فيهم الروح والوطنية اللازمة لسايرة آمال الأمة ٠٠ ان الكلاب تكاد ، ولكن هيهات ان تدرك الزاحفين الى الامام شققه ، هيهات ان تحسب حياة أفراد بل مليون من ابناء هذه الامة فى جانب

---

(١) احمد حسين — ايمانى — الطبعة الاولى ٠ مطبعة الرغائب (القاهرة ١٩٣٦) ٠ ص ٣ ٠

ان يحيى الباقون حياة كريمة ، فلتمتلىء الطرقات بالجثث ، وليصعد من طلائع الجيش من يصل فليس بشىء أن نغسل غاياتنا بالدماء وا، نطهر ضمير الامة بحــــريق عظيم من الاجســـــاد ، اجل ليس بشىء مطلقا (١) ٠

وصاحب هذه الكلمات الوحشية هو ايضا احمد حسين ٠ وهو فى نفس العدد من مجلة « مصر الفتاة » يوجه التحية والتمجيد الى كودريانو زعيم الفاشست الرومانيين قائلا « انه يتــوج هامته باكليل صنعه من ثلاث جماجم بشرية » ٠

(مشيرا الى قيام الزعيم الفاشستى الرومانى بقتل ثلاثة من خصومه السياسيين علانية بمسدسه) ٠ (٢)

وبرغم هذه الكلمات المشحونة بالعنف نجد احمد حسين يقف مترافعا امام المحكمة ليقول « العنف لا يحل قضية » (٣) ونجده يقول ايضا « ان غاندى هو المثل الاعلى فى العصر الحديث الذى استطاع عن طريق عدم العنف والحب والتسمح ان ينجح اعظم نجاح » (٤) ٠

وهكذا ببســاطة يؤيد احمــد حســين العنف ويدعــوا لــه ثم يهــاجمه ويعلن رفضـــه ٠٠ !

- « الثــورة ٠٠ الثــورة » عنــوان مقال كتبه احمد حســين يقول فيه « الثــورة آتية لا ريب فيها ، وموعدنا نوفمبر أو ديســمبر حين تفتح الجامعات ويعود الطلاب وتتكتل هذه الجموع الممثلة للشعب ، جيوش من الطلبة هم الذين سيشعلون نيران الثورة كما اشــعلوها دائما فى كل تاريخ مصر » (٥) ٠

- « نحن الاغنياء » عنوان مقال آخر يؤكد فيه « أن الشعب يقول ما هو اكثر من ذلك ، يقول اقتلوا الخونة اعداء الشعب ، وعلى الاغنياء

---

(١) مصر الفتاة ـ ١٩٣٨/١٢/٨ ٠

(٢) مرافعة النيابة العامة فى قضية الجناية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا المتهم فيها احمد حسين وآخرون ـ تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة ومطبوع بالرنيو ص ١٣ ٠

(٣) مرافعة احمــد حســين المحــامى فى قضية اغتيــال المرحوم محمود فهمى النقراشى (الجناية العســـكرية رقم ١٩٤٩/٥) مطبعـــة منبر الشـــرق (١٩٤٩) ص ٣٣ ٠

(٤) احمــد حسين ـ قضــية التحــريض على حــريق القــاهرة ـ المطبعــة العالميــة (القـــاهرة ١٩٥٧) ص ٢٤٠ ٠

(٦) مصر الفتاة ١٩٥١/١٠/٢٣ ٠

أن يختاروا • فاذا اختـاروا أن يناوؤا الشـــعب فلن تهدم بيوتهم فحسب ، بل سيقتلون تقتيلا » (١) •

لكن الرجل نفســـه يقف أمام المحقق بعد بضعة أشهر فقط ليقول كلاما آخر •• احمد حســـين يقول أمام المحقق « اخترت ان أكون المحذر والمنذر من سوء العواقب ، فمثلى لا يكون محرضا بل هو كالطبيب الرحيم •• فليس هناك خاطر فى ذهنى بالتحريض على الثورة لاننى باعتبارى اشـــتراكيا فانا عدو الثورة ، فالثورة من لزوميات الشـيوعية ، أما الاشتراكى فهو يؤمن بالتطور والاصلاح عن طريق الوسائل الدستورية ولقد أسمينا حزبنا الحزب الاشتراكى الديمقراطى توكيدا لهذا المعنى الاخير » (٢) •

ونتوقف معا يا عزيزى القارىء لنتســاءل •• اذا أخذنا الكلمات مأخذ الجد فهل كان أحمد حسين مع العنف أم ضده ؟ وهل كان ضد الثورة أم معها ؟ ثم نمضى الى نماذج أخرى •• محاولين الامساك بالزئبق •

● ويهتف أحمد حسين فى فخار « نحن فاشيون » هكذا يؤكد اكثر من مرة • ويقول « اننا سوف نثبت جدارتنا بالسـير ببلادنا فى الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى » (٣) •

ويقول « أن الفكرة التى أوحت الى موسولينى بالقميص الاســـود فى ايطاليـــا ، والتى أوحت الى هتلـر أن يبتكر القميص البنى فى المانيا هى التى أوحت الينا ان نفعل مثلما فعلوا » (٤) •

وهو يمجد الفاشية بل يقدسها قائلا « الفاشية فيها كثير من الاسلام (٥) وعندما تهزم الفاشـــية •• يكون من الضرورى أن تتغير المواقف وهكذا يقول أحمد حسين « لقد أعجب أقوام فى يوم من الايام ــ ولم أكن منهم والحمد لله ــ بهتلر •• ولقد سار هتلر سيره لا يؤمن فيها بغير القوة فمرعان ما جاء اليوم الذى تحطمت فيه المانيا وجثت على أقدامها ، وسارت الجيوش الانجليزية والروســـية على جثث هتلر ورفاقه ، وحوكم جورنج واصـحابه كمجرمين أخساء » (٦) •

---

(١) مصر الفتاة ١٩٥١/١٢/١١ •
(٢) احمد حســـين ــ قضية التحـــريض على حريق القاهـــرة ــ المرجـــع الســـابق ــ ص ٢٤٠ •
(٣) مصر الفتاة ١٩٣٨/٩/٤ •
(٤) احمد حسين ــ ايمانى ــ المرجع السابق ــ ص ٧٤ •
(٥) مصر الفتاة ــ ١٩٣٨/١١/١٧ •
(٦) مرافعـــة احمـــد حسين المحامى فى قضية اغتيـــال النقراشى ــ المرجع الســـابق ــ ص ٣٢ •

فهل يمكن الاجابة على السؤال عما اذا كان احمد حسين مع الفاشية أم ضدها ؟ نعم يمكن الاجابة . لقد كان معها عندما ارتفعت أعلامها ، وتنكر لها عندما هزمت .

وحول مسألة تدمير الحانات تناقضت الاقوال ايضا .

● « لن ننتظر التأييد من القوانين القائمة فهى قوانين تحرض على الفسق والدعارة وترويج الخمور ، ولذلك يجب أن نعتمد على أنفسنا وعلى قوتنا ، وأنا أدعو أبناء مصر الفتاة فى داخلية البلاد أن ينذروا أصحاب الخمارات بأن يغادروها ويغلقوا أبوابها ، فاذا لم يفعلوا فقد وجب على أهل المدينة أن يغلقوها بالقوة . قولوا دائما أن احمد حسين هو الذى حرضنا على ذلك ، فلاكن أنا المحرض الاول والاخير » (١) .

لكنه يعود فيصف هذا العمل فى عام ١٩٤٩ بأنه « لم يزد فى حقيقته عن اراقة بعض زجاجات الخمر » (٢) .

ثم يعود مرة أخرى فى ١٩٥١ الى لعبة تدمير الحانات .

كذلك كان الموقف من حزب الوفد .

● « تلخصت العقبة التى تعترض سير الايمان الجديد فى الوفد ، فهذه الزعامة المقدسة التى فرضها النحاس باشا على الامة ، وهذه الرغبة فى القضاء على الروح الجديدة التى بعثتمن مصر الفتاة .. كل ذلك أدى بنا الى اعتبار الوفد خصمنا الاول . وضرورة العمل على صراعه والتغلب عليه واراحة البلاد من كابوسه » (٣) .

ويقول ايضا « لابد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفدا أو نحاسا أو مكرما أو برلمانا » (٤) .

وكان ذلك فى عام ١٩٣٨ ، فاذا به يعود فى ١٩٤٦ ليقول « لقد تضافرت الحوادث والتجارب على اثبات هذه الحقيقة أن الديمقراطية الصادقة أصلح نظام يناسب مصر فآمنا بهذه الحقيقة واعتقدناها وبادرنا على الفور باعلان ورسم سياستنا على اساسها ولقد كان طبيعيا أن يجعلنا هذا التحول نقف فى صف الوفد الذى دافع حتى الآن عن الدستور والذى يمثل الاغلبية فى هذه البلاد » (٥) .

---

(١) مصر الفتاة – ١٩٣٨/١١/١٧ .

(٢) مرافعة احمد حسين المحامى فى قضية اغتيال النقراشى – المرجع السابق – ص ٣٨ .

(٣) مصر الفتاة – ١٩٣٩/٦/٢٢ مقال لاحمد حسين « من أجل الله ومن أجل الملك » .

(٤) تقرير اتهام النيابة فى قضية الجناية رقم ٨٧٦ – السيدة زينب لعام ١٩٣٨ .

(٥) مصر الفتاة – ١٩٤٦/١١/١٦ مقال لاحمد حسين « نحو المجد » .

لكنه يعود فيقول ..

« إن الديمقراطية والحرية السياسية هى السر الحقيقى لقوة الشعوب .
ومن هنا فقد كان حق النحاس فى حكم البلاد باعتباره زعيم الاغلبية الساحقة هو حق طبيعى . والحق لا يتحول الى باطل » (١) .

وأيضـــا :

« ان سيادة القانون وسلطانه وأحكام الدستور وممارسة الديمقراطية لم تتخلف لحظة واحدة خلال حكم الوفد » (٢) .

ثم هناك كلمة أخرى ..

« هل ستظلون أيها الســـادة الوزراء ، هل ستظل يا مصطفى النحاس تعيش فى الهاتك والرتك والافراح والزينات . وهل ستظل حفلات الغناء والهناء تشنف الآذان .. لو استمرت الحكومة اسبوعا واحدا على أسلوبها الذى سارت عليه حتى الآن ، فان الانفجار سيتم ضد الحكومة نفسها وينسفها نسفا . هل تســمعنى الحكومة . انى اقول اسبوعا واحدا . لا اقول شـــهرا أو شهرين ولكننى اقول اسبوع واحدا أو سبعة أيام » (٣) .

وبعد .. فهل للكلمات أى معنى ...أو مذاق ؟

والمواقف كالكلمات . بلا منطق وربما تخفى ما هو أسوأ من اللامنطق ..
ولنأخذ بعض العينات من أكوام المواقف المتناقضة .

● « كافورى الرأسمالى يفصل العمال » عنوان مقال عنيف تشن فيه جريدة أحمد حسين على المليونير الرأسمالى هنرى كافورى وتصفه فيه بأنه « من أبشع الامثلة للرأســـمالية البشـــعة والاســـتغلال الرأسمالى » (٤) .

كان ذلك يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ ، وفى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ سجل فى دفاتر حســـابات جريدة الاشـــتراكى توريد مبلغ ٢٥٠ جنيه على انه تبرع من هـ . ك . كمـــا اثبت فى نفس اليـــوم صرف مبلغ ٥٠ جنيـــه على انه عمـــولة تبرع هـ. ك.

ويتكشف الغموض فى تحقيقات النيابة التى فحصت دفاتر الحزب بعد حريق القاهرة ونقرأ فيها ما يلى بالنص .

« وبمناقشة اسماعيل عامر مدير الجريدة ذكر أن هـ . ك هما الحرفان

---

(١) الجمهورية ١٩٧٥/٨/٢٧ مقال لاحمد حسين بعنوان « هذه شهادتى للتاريخ عن مصطفى النحاس » .

(٢) الجمهورية ١٩٧٥/٨/٣٠ .

(٣) مصر الفتاة ١٩٥١/١٢/٩ . مقال لاحمد حسين « وأمرنا الحافظ ان يقاوم أى اعتداء » .

(٤) الشعب الجديد ١٩٥١/١١/٢٩ .

الاولان من اســم حضرة هنرى كافورى • وذكر عن ظروف تبرعه بهذا المبلغ انه اى الاستاذ اسماعيل عامر اتصل بحضرة هنرى كافورى لما كانت تعانيه الجريدة من ضائقة ماليه فلمس منه روحا طيبه واتجاها اشتراكيا • فطلب منه ان يتبرع للجريدة فكان عند حسن ظنه • وبســؤاله عن مبلغ الخمسين جنيها •• ذكر انه اقتطع هذا المبلغ عمولة لنفسه مقابل حصوله للجريدة على على هذا التبرع • وقد ذكر ان الاستاذ احمد حسين كان يعلم بأمرهذا التبرع ولم يعترض عليه » (١) •

وموقف آخــر ••

● « مجرد وعدو للشعب كل من يدخل سينه ريفولى ».(٢) •

و « خائن حقير كل من يدخل سينما ريفولى • ســافل دنىء كل من يدخل سينما ريفولى » (٣) •

وتبين من فحص حسابات الحزب الاشتراكى أن بعض المبالغ قد رصدت فى دفتر يومية كان يمســكه زكريا حنفى على انهــا أجور تاكسى من ســينما ريفولى الى دار الحزب » وقد ذكر زكريا حنفى افندى فى التحقيق انه كان يدفع أجور انتقالات افراد الكتائب الى سينما ريفولى من أموال الحــزب لأن الحزب هو الذى كلف هؤلاء بالانتقال الى سينما ريفولى » (٤) وكان الحزب يحاصر كل يوم دار سينما ريفولى بمجموعات من شبابه لمنع دخول المواطنين اليها بحجة انها مملوكة للانجليز •

لكن أحمد حسين لا يلبث أن يقدم تفسيرا آخر لهذا الموقف ••فهو يعترف بصراحة غريبة فى محضر تحقيق النيابة « انه.قام بهذه الحملة استجابة لباعث خاص بناء على طلب أحد أصحابها المصريين حتى يهبط ايرادها فيتمكن الشريك المصرى من استخلاصها من شركائه الانجليز بشروط ملائمة » (٥) •

ولا تعليق !

والآن هل نستطيع الامساك بالزئبق •

انه موضوع هذه الدراسة وهو التحدى الذى نحاول التصامه •• معا •.

---

(١) مرافعة النيابة فى قضية الجنائية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا (المرجع السابق) ص ١٤٦ •

(٢) مصر الفتاة ١٩٥١/١٢/١١ •

(٣) الشعب الجديد ١٩٥١/١١/٢٢ •

(٤) مرافعة النيابة العامة فى قضية الجنائية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ــ المرجع السابق ــ ص ١١٧ •

(٥) محضر تحقيق النيابة فى القضية ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ • عسكرية عليا ــ تعليق الاستاذ احمد حسين ص ٢٩٩ ــ جزء سادس ــ ملف ١ ص ٥٥٢ •

أولا :

ثلاث خطوات ٠٠ ثم الحزب

- جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة - الصرخة - مشروع القرش ثم ٠٠ مصر الفتاة ٠

جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة

فى كثير من الاحيان تصبح عملية الدراسة التاريخية بحثا فى نسيج الحياة السياسية المتشابك عن اتجاهات الخيوط ومحاور حركتها .

لكن الباحث قد يفاجىء بخيوط تتجه مباشرة من يد تمسك وتحركها .

واصدار حكم كهذا فى بداية دراسة كهذه قد يبدو امرا مخيفا بالنسبة لباحث يريد أن يتمهل فى اصدار الاحكام ، بل لعله يفضل أن يتحرج من اصدار احكام كهذه .

لكن ما حيلة الباحث اذا جابهه اعتراف من صاحب الشأن نفسه .

يقول أحمد حسين فى كتابه « ايمانى » .

« فلم اكد أحصل على البكالوريا حتى كانت وزارة محمد باشا محمود فى الحكم ، وكان محمد باشا محمود قد عاد الى مصر بمعاهدة تفضل جميع المعاهدات السابقة عليها .. ولذلك فلم اتردد عندما عرض على بعض المتصلين بمحمد باشا محمود أن أعمل لمناصرة المعاهدة والدعوة لقبولها ، على أن يشرع محمد باشا محمود اذا ما قدر للمعاهده النجاح فى تنفيذ برنامج مصر الفتاة ، وقد الفنا لهذا الغرض جمعية صغيرة اطلقنا عليها اسم جماعة الشباب الحر » (١) .

وبدهشة تامة يمسك الباحث بهذا الاعتراف .. ويتساءل .

— أية علاقة هذه التى يمكن أن تنشأ بين طالب البكالوريا ورئيس وزراء اقطاعى متجبر . يصف نفسه فى زهو وتعال بأنه صاحب « القبضة القوية » ؟

— أى برنامج يمكن أن يتعهد محمد باشا محمود لطالب البكالوريا بتنفيذه .

— أى « مصر فتاه » .. التى يقول احمد حسين أن تنفيذ برنامجها كان موضع الصفقة .. فمصر الفتاة لم تكن قد وجدت بعد ولا حتى فى ذهن صاحبها كما يروى هو نفسه فى مذكراته ؟.

وعلى أية حال .. فان بداية ما تفرض نفسها على هذه الدراسة .. هى تلك العلاقة بين احمد حسين طالب البكالوريا ومحمد باشا محمود رئيس الوزراء الاقطاعى ولو كان الامر مجرد « حدث » واحد لما تحتم على الباحث أن يتوقف عنده طويلا .. لكن الخيط يمتد عبر التصنيع كله متخذا نفس المسار .. تتغير الاسماء والمواقع .. ويبقى المسار واحدا تقريبا .

لكننا بذلك نسبق الاحداث ونجتاز صفحات كتاب لم يكتب بعد .. فلماذا لا نبدأ القصة من أولها .

---

(١) احمد حسين — ايمانى . الطبعة الاولى . (١٩٣٦) — الناشر احمد الشيمى — ص ٦٦ . وايضا الطبعة الثانية (١٩٤٦) مطبعة الرغائب . ص ٤٢ .

وآسفين ٠٠ لكن مرغمين نضطر اضطرارا أن نبدأ الدراســة بالاجابة على سؤال هام ٠٠ من هو محمد محمود باشــا ؟ ٠ أملا فى أن نجد الاجابة عمن هو أحمد حسين ؟

عندما تولى محمد باشا محمود رئاسة الوزارة كواحد من ممثلى أحزاب الاقليــة ، كان يدرك جيدا أن مجرد توليه رئاســة الوزارة هو عمل غــير دستورى ٠٠ وأن أى انتخابات لن تأتى نتيجتها الا بأغلبية ساحقة للوفد ٠٠ « فكان أول عمل لوزارة محمد محمود باشا هو تأجيل البرلمان شهرا لتتيح لنفسها فرصة التفكير فى خطتها للمستقبل ٠ وفى تلك الاثناء أدلى النحاس باشا بحديث لمراسل الديلى تلغراف قال فيه « أن رجلا كمحمد محمود باشا لم يكن ليجرؤ على عمل كهذا دون أن يعتمد على مســاعدة البريطانيين وتغاضيهم على الاقل ٠٠ أن السياسة البريطانية مسئولة رأسا عن هــذا الاعتداء الصارخ على نظامنا الدستورى وعلى حرياتنا » (٢) ٠

ومن تعطيل البرلمان شهرا الى تعطيله ثلاث سنوات ٠

وقد برر محمد حسين هيكل باشا (قطب الاحرار الدستوريين حزب محمد محمود باشا) هذه الخطوة قائلا انها تشتمل على صراحه محموده لان الوزارة « لا تدعى أنها صاحبة الكثرة فى الانتخابات وهى لا تريد استــفتاء الشعب ، والشعب فى رأيها مضلل لا يمكنه أن يحكم على الاشــياء حكما سليما ، بل هى تريد أن تضطلع بالمســئولية وأن تحفظ النظام والامن وأن تسير فى شئون الحكم سيره عدل واصلاح » (٣) أما محمد محمود نفسه فقد صرح لجريدة « الجورنال دى ايتاليــا » بأنه « ســوف يتذرع بالدكتاتورية النافعة التى هى خير علاج للفوضى التى خيمت على البلاد » (٤) ٠

ودارت ماكينة « الدكتاتورية النافعة » فأصدرت الحكومة أوامرهــا للموظفــين بعدم الاشتغال بالسياســة ٠ ووســعت سـلطات المديرين والمحافظين وحكمدارى البوليس وأبلغوا أنهم غير مسئولين عن أعمالهم الا أمام الحكومة وحدها ٠ وحيل بين الطلبة والسياسة ، أما المجاورون فقــد أصدرت الحكومة قانونا جديدا لتأديبهم » (٥) ٠

---

(٢) أحمد شفيق باشا ٠ حوليات مصر السياسية ــ الحولية الخامسة ١٩٢٨ ــ مطبعة حوليات مصر السياسية ــ (١٩٢٩) ص ٦٨١ ٠

(٣) د٠ محمد حسين هيكل ــ مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ــ الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية (١٩٥١) ص ٢٩١ ٠

(٤) اليد القوية ــ خطب واحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ اسندت اليه رياسة الوزارة ٠ مطبعة الاسكندرية (١٩٢٩) ص ٧١ ٠

(٥) المرجع السابق ٠ ص ٣ ٠

واعمالا فى تحقيق « الدكتاتورية الناشمة » اعادت الحكومة العمـل بقانون المطبوعات القديم الصادر فى عام ١٨٨١ والذى يعطى للحكومة الحق فى تعطيل الصحف والغائها اداريا . « والغت تراخيص مائة صـحيفة ، وانذرت عدة صحف معارضـة ثم عطلت البلاغ وروزا اليوسف أربعة أشهر ، وعطلت جريدة وادى النيل تعطيلا نهائيا وحتى جريدة الاهرام أنذرت وكذلك جريدة لابترى الفرنسية . واخيرا صدر قرار بتعطيل كوكب الشرق والوطن والافكار وروزا اليوسف تعطيلا نهائيا . ثم صدر قانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٩ بتشديد احكام قانون الاجتماعات ، واستخدمت أساليب الضرب والحبس والايذاء فى قمع حركات المقاومة » (٦) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ·· بل لقد امعنت « القبضة القوية » فى تحديها لكل عرف وقانون وعندما تجمع اعضاء مجلس النواب (المعطل) من الوفديين فى موكب قرر ان يشق طريقه الى القصر الملكى معربا عن احتجاجه على ايقاف الحياة النيابية ·· صدرت الأوامر للبوليس بضرب النواب وتفريقهم بالقوة ·· ويجد محمد حسين هيكل الجراة كى يورد هذه الواقعة فى مذكراته ويعلق عليها فى سرور قائلا ان البوليس قد ضرب النواب « عندما لم يذعنوا لامره لهم بالتفرق ، وانه ضرب ايضا النظارة الذين ذهبوا ليمتعوا أعينهم بهذا المشهد » (٧) .

هذا هو الرجل الذى امسك بأول خيط ·· والذى تحرك الخيط فى يده ولصالحه اول ما تحرك ···

فكيف كان ذلك ؟

« فى شهر اغسطس ١٩٢٩ عاد رئيس الوزراء محمد محمود باشا الى مصر من لندن وفى جعبته مشروع المعاهدة الذى توصل اليه مع المســتر هندرسون ·· وكان تقدير محمد محمود لموقف الوفد من المقترحات يقوم على احد احتمالين ، الاول ان يرفض المقترحات كما رفض من قبل مشروع ثروت — تشمبرلين ، وكان من المتوقع حينئذ أن تتوتر العلاقات بين الوفد وحكومة العمال البريطانية ، وتستمر تجربة محمد محمود اللادستورية الى مداها ·· اما الاحتمال الثانى فهو ان يوافق على المقترحات ·· فتفوز بثقة الشعب » (٨) .

ورفض الوفد الوقوع فى المصيدة ، وصمم النحاس على عدم ابداء رأيه

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى — فى اعقاب الثورة حـ ٢ — مكتبة النهضة المصـرية (١٩٤٩) ص ٧٦ ·

(٧) د· محمد حسين هيكل — المرجع السابق — ص ٢٩٩ ·

(٨) د· عبد العظيم محمد رمضان — تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ حـ ٢ الوطن العربى بيروت (د· ت) ص ١٧٧ ·

فى مشروع المعاهدة « الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخـــابا صحيحا ، لان مناقشة هذه المقترحات فى ظل الديكتاتورية نقمة وفتنة ، وفى ظل الدستور نور ورحمة وعصمة » (٩) ٠

ووجد محمد محمود نفسه محاصرا ٠٠

ـ الانجليز يؤكدون له بوضوح اصرارهم على ان يتم الاتفاق مع حكومة نيابية ٠٠ بل لعلهم تعمدوا الاستخفاف بقبضته الحديدية عندما اعلن الكومندور كفوبرثى سكرتير لجنة المسالة المصرية فى مجلس العموم البريطانى « اننـــا مسئولون عن الديكتاتورية التى فى مصر ، لانها لا تعتمد الا على قواتنا » ٠

ـ والقصر يشعر بالمازق الذى تقود اليه حماقات محمد محمود ٠

ـ والوفد يمثل الاغلبية ويرفض مبدا النقاش مع الدكتاتور ٠٠

وقد حاول محمد محمود أن يتملق الوفد ، وان يدعوه الى الوحـــدة الوطنية « حتى تعود وحـدة الامة رائعة كما تجلت اول مرة » (١٠) على حد قوله ٠

ويأتى رد النحاس باشا على هذه الدعوة صاعقا كعادته فيقول فى خطابه فى يوم ذكرى سعد « يتغنى محمد محمود باشا اليوم بعبارات التضافر والتلويح بغصن الزيتون لاعادة الائتلاف ٠ فيالها من دعوة جريئة يوجهها الى الامة واظفاره لاتزال ناشبه فى عنقهـــا ، ويده لا تزال تقطـــر من دماء حرياتها » (١٢) ٠

وهكذا بدا البحث عن اى صـوت يتجاسر بتحـدى الارادة الشـعبية ولعل عمق المازق يوضح السبب فى اللجوء الى طالب البكالوريا ، فلم يكن هناك أى بديل أفضل ٠

★ ★ ★

وهكذا بدا البحث عن اى صوت يتجاسر بتحدى الاراده الشـــعبية الكاسحة التى رفضت الديكتاتور الصغير ورفضت ممارساته وتحديه للدستور ولارادة الجماهير ٠٠

فقام حسن صبحى وهو احد المقربين لمحمد محمود بالاتصال بشاب حصل لتوه على البكالوريا ، وكان الشاب يتفجر طموحا لكى يلعب اى دور فعرض عليه ان يلعب دور المناصر للمعاهدة ولحكم محمد محمود ولم يتردد احمد حسين ٠وبسرعة تشكلت مجموعة ضئيلة من الشبان تولى رئاستها شاب اكبر سنا

(٩) البلاغ ١٩٢٩/٨/٢٤ ٠

(١٠) د٠ عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ٠ ج ١ ـ ص ٦٩٥ ٠

(١١) احمد شفيق باشا ـ المرجع السابق ـ الحولية السادسة ٠ ص ٧٢٣ ٠

(١٢) الاهرام ١٩٢٩/٩/١

بقليل من الفتى الحاصــــل وشـــيكا عـلى البـكالوريا ·· وهـو حافـظ محمود ·· (١٣) ·

وراحت ماكينة الحكم تحاول ان تبث الحياه فى هــــذه الجماعة ·· وتحاول ان تصنع من الفتى الحاصل على البكالوريا « بطلا » ·· ولم لا فهو الصوت الوحيد الذى يمكن ان يجد الجرأة ليرتفع كى يمجد الدكتاتور بل ويتوسل اليه كى يمارس المزيد من الدكتاتورية ··

على اية حال اعلنت « السياسة » جريدة محمد محمود عن تكوين « جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة وقلت » انها بعيدة عن الاحزاب تماما وانها تعبر عن رأى الشباب وان رائدها تأييد المعاهدة وانها الفرصة الوحيدة للسير بالبلاد الى الامام » (١٤) ·

ونشرت السياسة ايضا البيان الاول للجماعة وجاء فيه « انها بصفتها مكونة من الشباب تمتلك صفة التعبير عن اصدق احساسات الامة » (١٥) ·

ولان الامير عمر طوسون كان قد اعلن ان مشروع المعاهدة « حسن فى جملته (١٦) فقد حاول احمد حسين ان يســتدرج الامير ليراس الجماعة فيكسبها ثقلا ما ويرفض الامير · وتمضى « السياسة » مؤكدة فى كل حديث عن الجماعة او عن فروعها التى قيل انها تأسست فى بعض الاقاليم ان هذه الفروع تعلن عن « شكرها لمحمد محمود بطل المعاهدة وزعيم البلاد » (١٧) ·

اما احمد حسين فقد اختار اقصر السبل ·· فالمعاهدة ليست هى الشىء المهم وانما الاساس هو الهتاف بحياة محمد محمود باشا زعيما لمصر ··

وفى ٣١ اغسطس ١٩٢٩ وقف احمد حسين بين يدى محمد محمود باشا فى حفل اقامه شبان الاحرار الدستوريين مناشدا واياه « ان يقبل زعامة مصر ! » وان يكون لها « كموسوليني ايطاليا » ·

ويرتفع صوت الشاب حامل البكالوريا « ان مصر بحاجة الى زعيم من دم فرعونى ·· وهذا الزعيم هو انت · انت يا ابن الصعيد الذى بقى محافظا على استقلاله ستة آلاف عام · واذن فبلسان الشباب الحر اسألك ان تكون زعيما للشباب فى الوزارة أو خارجها على الســـــواء · لا تظن وقد جئت بالمعاهدة ان عملك قد انتهى ·· لا والله فانه لم يكد يبدأ · فالى العمل اذن والشباب يؤيدك ويرفع لواءك ·· واخيراً ياسادة أرجو أن تهتفوا معى وقوفا

---

(١٣) امال محمد كامل بيومى السـبكى ـ التيارات السـياسية فى مصر سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢ · (رسالة ماجستير غير منشوره) ص ٥٣ ·
(١٤) السياسة ١٩٢٩/٨/٢٠
(١٥) السياسة ١٩٢٩/٩/١٠
(١٦) الاهرام ١٩٢٩/٨/٢٠
(١٧) السياسة ١٩٢٩/٩/١٥

اجلالا ·· فنتحى مصر · مصر فوق الجميع فليحيى زعيم الشباب » · ثم قدم لمحمد محمود باشا طاقة زهر باسم الشباب الحر فتقبلها مسرورا (١٨) ·

ويصرخ أحمد حسين قدر ما يستطيع لكن صراخه لا يغير من الامر شيئا · ويبقى الدكتاتور الصغير صغيرا كما هو ومحاصرا ومعزولا · فالنحاس زعيم الاغلبية يرفض ان يعلق على مشروع المعاهدة ويطالب أولا بالدستور والبرلمان ··

ويعاود أحمد حسين الصراخ موجها حماسه هذه المرة ضد الوفد وتفسح له جريدة السياسة صفحاتها ليكتب تحت عنوان « تكلموا » قائلا ان موقف الوفديين هو « موقف لا يغبطون عليه ، وليس فيه ما يحسبون انهم يستطيعون بهذا السكون المزرى أن يهربوا من الواقع ، ولكن الواقع يصدمهم الصدمة بعد الصدمة فهم لن يفيقوا من وهمهم الا لينزلوا منكبين على وجوههم الى قبرهم السياسى الذى حفروه بايديهم الجانية » (١٩) ·

·· وهكذا كانت البداية · فماذا بعد ؟

---

(١٨) السياسة ١ /١٩٢٩/٩

(١٩) السياسة ١٩٢٩/٨/٢٤

الصـــــرخة

·· وذهب الدكتاتور الصـغير محمـد محمـود باشـا وكان يجب ان يذهب ·

وسقطت معاهدة محمود ـ هندرسون وكان من المحتم ان تسقط ·
وبطبيعة الحال سقطت ايضا « جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة » دون أن يهتم احد بأن يحرر لها شهادة الوفاة ·
لكن احمد حسين وتلك المجموعة من الشبان بقوا ·
فهم بغض النظر عن كل شئ يتقدون حماسا ، ويرغبون فى ان يلعبوا دورا ما ·· من اجل « بعث » مصر · والان وقد سقط محمد محمود باشا ، ولم تعد جريدة السياسة براغبة فى فتح صفحاتها امام هذا الشباب الذى تنفجر مقالاته بشكل عنيف ، ولا تحتمله ولا تحتمل اقل منه جريدة كالسياسة ·

فلم يكن هناك مناص من المغامرة باصدار جريدة خاصة به ·
كانوا ثلاثة من الشباب احمد حسين ـ فتحى رضوان ـ حافظ محمود ·
ويروى حافظ محمود قصة اصدار الصرخة قائلا « ولم نكن نحن الثلاثة مختارين فى تحديد اسم الجريدة ·· ذلك ان ثلاثتنا قد تقدمنا بطلبات مجتمعة ، ومتفرقة للحصول على تصريح باصدار صحيفة اسبوعية فرفضت طلباتنـــا استنادا الى مادة شرط السن فيمن كان يسمح لهم بملكية الصحف ، ولـم يقعدنا هذا الرفض عن تنفيذ مشروعنا ، لقد كان هناك اكثر من مائة تصريح باصدار صحف فى ايدى اشخاص عجزوا عن اصدارها » (١) ·
ويكمل احمد حسين القصة « اتفقنا مع احـــد معارفنا للحصول على

رخصة جريدة واخترت لها اسم البعث فاذا هو اسم لجريدة اخـــرى فاختار اخى فتحى (فتحى رضوان) اسم الصرخة ·· واذا كان الناس لم يسمعوا عن الصرخة مقترنة بمصر الفتاة الا فى اكتوبر ١٩٣٣ ، فان الصرخه فى الواقع قد صدرت اعدادها الاولى فى مارس سنة ١٩٣٠ » (٢) · (٣) ·
وهنا نكتشف خلافا طفيفـــا فى الذكريات يتعلق باختيـــار اســـم الرخصة التى استطاعوا الحصول عليها ·· اما احمد حسين فيتذكر ان فتحى رضوان هو صاحب الاختيار ·

---

(١) حافظ محمود ـ اسرار الماضى من ١٩٠٧ حتى ١٩٥٢ ـ كتاب روزاليوسف يوليو ١٩٧٣ ـ ص ١٤٠
(٢) احمد حسين ـ ايمانى ـ الطبعة الثانية · المرجع السابق ـ ص ٤٤ ·
(٣) يلاحظ ان العناصر والتنظيمات اليسارية كانت تلجأ خلال الثلاثينيـــات والاربعينيات الى نفس الاسلوب فى اصدارها لمجلات عديدة منها الحساب ـ شبرا ـ الشعاع ـ حرية الشعوب ·· الخ ·

وعلى اية حال فان هذه مسالة هامشية ..

والمهم ان الشبان الثلاثة قد اجتازوا العقبة الاولى وهى الحصول على الحق القانونى فى اصدار جريدة اسبوعية وذلك عن طريق ـ كان معـــروفا ومستخدما بكثرة فى هــذه الايام ـ وهو اســـتئجار ترخيص لقاء أجـــر شهرى .

لكن اصدار الجريدة يحتاج الى اموال . وقد اثارت نقطة التمويل هذه لغطا شديدا واقاويل كثيرة . وكانت اكثرها تشبث به حزب الوفد ـ كما سنرى فيما بعد ـ فى هجومه على هؤلاء الشبان لكن أحمد حسين يقدم اجابة بسيطة على كل هذا اللغط فى روايته الطويلة ـ ذات الثلاث أجزاء ـ « ازهار » والتى ضمنها تاريخ حياته وتاريخ حزبه .. فيقول « انهم أصدروا المجلة بما استدانه فوزى (أحمد حسين) من بنك مصر بضمانة زميل لهم .. وانه قدم لوكيل النيابة كل البيانات الخاصة بهذا القرض الذى لم يتجاوز مائتى جنيه » (٤) .

وهكذا وفى الايام الاولى من مارس ١٩٣٠ استطاع الفتى الذى ظهر منذ عام ونصف داعيا لزعامة الدكتاتور الاقطاعى الصغير ان يثبت على المسرح مؤكدا ان لديه من القدرة والطـــاقة والحماس ما يكفى كى يمارس العمـــل السياسى دونما حاجة مباشرة لتأييد من محمد محمود .. وكانت « الصرخة » هى الدليل على ذلك .

وفى العدد الثانى من الصرخة بدأ احمد حسين التبشير بدعوة جديدة تماما .. دعى الى تكوين « ميليشيا فرعونية » مؤكدا انه « بهذه الطريقة استقلت الممالك وارتفعت فمن قبل كانت ايطاليا الفتاة ورومانيـــا الفتـــاة والمانيا الفتـــاة ، وايرلندا الفتـــاة وتركيا الفتـــاة ، كل امة ارادت اســـتقلالا أو نهوضا أو مجدا اتبعت هذا الطريق ، طريق الشباب الملتهب بحماســـــة الايمان ، فما احرانا بتكوين مصر الفتاة لنعيد لمصر نهضتها ومجدها » (٥) .
وهنا يتعين علينا ان نتوقف قليلا .

ففى هذه الكلمات المختصرة والتى وردت فى وقت مبكر وحتى قبل ان تنشأ مصر الفتاة كتنظيم سياسى .. لخص أحمد حسين كل مقولاته وتوجيهاته المستقبلة ..

ـ الميليشيا الفرعونية ، أصبحت فيما بعد القمصان الخضر .
ـ مصر الفتاة تكونت ولفترة من الوقت استلهمت بعض اساليب وبعض توجهات المانيا الفتاة وايطاليا الفتاة ورومانيا الفتاة .. الخ ..

---

(٤) أحمد حسين ـ ازهار (رواية) مطبعة مصر (١٩٦٣) .
(٥) الصرخة ـ ١٩٣٠/٣/١٠

ـ التأكيد على دور الشباب ٠٠ كان نغمة ســــائدة لفترة طويلة من الوقت ٠

ومن هنا يتعين على الباحث ان يتوقف قليلا عند صدور الصـــرخة (المجموعة الاولى منها فى عام ١٩٣٠) باعتبار انها لم تكن مجرد طموحا شخصيا لشاب فقد فرصة الظهور فى مهرجانات رئيس وزراء سقط ، وانما كانت جنينا يلتمس به هذا الشاب طريقه نحو ايجاد فرصة عمل سياسى منظم لمجموعة من الشباب تؤمن بمواقف محددة ٠٠

وفى العدد الثالث من الصرخة دعا احمـــد حسين الى « تكوين جيش الخلاص » (٦) مستهدفا من هذه الدعوة كما تقول الباحثة آمال السبكى « تنفيذ فكرته فى اعادة مجد مصر مترسما تجربة الدول التى ذكرها (المانيا الفتاه ـ ايطاليا الفتاه ٠٠ الخ) ٠ » (٧) ٠

ونلاحظ على اعداد الصرخة جميعا خلوها من اى حديث سياسى أو حتى من اية دعوة ضد الاحتلال أو ضد وجوده فقد اتجهت الى رفع شعارات مجردة عن « مجد مصر » و « بعث الوطن » و « جيش الخلاص » لكنها لم تقل كيف ؟ ولا متى ؟ ولا حتى لماذا ؟

لكن اصدار جريدة ليس أمرا سهلا بالنسبة لمجموعة صغيرة من طلاب الجامعة فالمال ينفذ ، والجهد اكبر مما يحتملون ، والامتحانات تقترب ، واهم من هذا كله ان اجهزة الامن فى ذلك الحين كانت تحكم قبضتها على عنق مثل هذه المجلات القليلة الامكانيات من خلال متعهدى التوزيع ٠٠ الذين كانوا فى كثير من الاحيان يقومون بتخزين الاعداد دون توزيعها ٠

وهكذا يكتب احمد حسين مبررا توقفه عن اصدار جريدة الصرخة ٠٠ فيقول فى « ايمانى » « لكننا لم نستطيع ان نستمر فى مواصلة اصدار الصرخة لسبب صغير جدا وهو اننا لم نجد موزعا يوزع الجريدة ، ومن ناحية اخرى فقد رأى صاحبها ان يستقل باصدارها بعيدا عن مبادئنا وبرنامجنا ، واقترب موعد انتهاء السنة الدراسية وشغلتنا الامتحانات » ٠

٠٠ وتوقفت الصرخة عن الصدور مؤقتا لتعاود صدورها فيما بعد ٠

* * *

(٦) ١٩٣٠/٣/١٧

(٧) امال السبكى ـ المرجع السابق ص ٥٥

مشـــــروع القرش

وليس لان موســـم الامتحانات قد انتهى ٠ وانما لان الفتى كان لا يزال يمتلك القدرة والطاقة على المزيد من الفعل ٠٠ وهكذا استمر فى العمل ولكن فى طريق جديد تماما ٠

ففى صيف ١٩٣٠ سافر احمد حسين الى باريس ، ٠٠ ولعله من الغريب أن يجد طالب فى السنة الاولى لكلية الحقوق ومن أسرة ليست ثرية ، الفرصة كى يدبر المال اللازم لهذه الرحلة ٠٠ ولقد حرص خصومه على وضع بعض علامات اســـتفهام حول « تمويل هذه الرحلة » لكن أحمــد حسين قدم كعادته تفسيرا بسيطا للامر ٠

المهم « سافر أحمد حسين الى باريس حيث شاهد تمثالا ضخما لاحــد رجالات التربيــة فى حــدائق التوليرى كتب على قاعدته « بنى هــذا التمثــال باكتتاب اشترك فيه أكثر من مليونى طفل يدفع كل منهم سنتيم عملة تقرب من المليم ، ولقد أعجب بهذه الفــكرة وصمم على أن ينادى بتطبيقها فى مصر ، وعندما عاد رسم خطة للنهوض بالصناعات الوطنية على المستوى القومى بان يشارك جميع أفراد الشعب بتنفيذها ٠٠ ووضع الحد الادنى قرشا واحدا »(١)

لكن تفسير جوهر احمد حسين ليس ممكنا بغير تأمل كلماته هو نفسه ٠٠ فلأحمد حسين دوما طابعه الخاص كما أن لكلماته مذاقها الخاص ٠

يقول احمد حسين « بدأت أشعر برغبة قوية فى العمل ٠ وفى عمل ضخم يهز كيان الامة هزا » ٠

لنتأمل هذه العبارة ففيها مفتاح شخصية أحمد حسين ٠٠ تلك الشخصية الفريدة التى تســتطيع أن تحيل أبســـط المواقف الى عبارات ملتهبة و ٠٠ « عمل ضخم يهز كيان الامة هزا ، ويمهد الســبيل لخطواتنا النهائية ، فاذا بفكرة مشروع القرش تخطر لى ٠٠ وسرعان ما أسرعت فى تنفيذها »(٢) ٠

ولم يكن الامر سهلا ٠٠ ففى البداية قابلوا الفتى المتفجر حماسا بسخرية لاذعة ثم تبعوها بهجوم سياسى عنيف ٠٠ لكنه استمر ٠

يقول احمد حسين « لا أستطيع أن أنسى كيف قوبلت بالسخرية فى بادىء الامر بدعوى أن المشروع ليس الا حلما من الاحلام ، أو خيــالا من الخيالات ، حتى أن المحرر فى جريدة الاهرام الذى حملت اليه فكرة المشروع مسطورة رمى الورقة فى وجهى قائلا لى : أن هذه لعب عيال ٠٠ وبعد أيام قلائل قيل

---

(١) احمد حسين ــ ايمانى ــ المرجع السابق ــ ص ٤٦

(٢) المرجع السابق ــ نفس الصفحة ٠

لى من محرر آخر أن كرامة الجريدة لا تتحمل نشر هذه السخافات » (٣) .

لكن تطورا مفاجئـا حدث .. فاذا بالكثيرين يهتمـون بالموضـوع ، بل ويضعونه على رأس جدول أعمالهم .. واذا بعدد من الشـخصيات العامة والهامة تتحمس له وتعمل من أجله .

وهنا يقف الباحث أمام موقفين .. وتفسيرين .

خصوم أحمد حسين يقولون .. ان مصر في ظل حكومة اسماعيل صدقى اللاديمقراطية والتى الغت دستور ١٩٢٣ ، وفرضت حكما ارهابيا قاسيا كانت ينظر حكامها بحاجة الى متنفس يبعد الشباب عن النضال السياسى والوطنى والديمقراطى .

ولعل استاذنا طه حسين قد عبر عن ذلك بأدبه الجم المشهور عنه فى انتقاده لمشروع القرش قائلا « انه يخشى أن يكون هذا النشاط الشـبابى هروبا من ثورة الفكر » (٤) .

ويقترن هذا التشكك بما لاحظه السياسيون والباحثون معا من حماس الدكتاتور اسماعيل صدقى للمشروع .

يقول د . على شلبى _ فى رسالة أكاديمية _ « أما وزارة صدقى الحاكمة آنذاك فقد أظهرت تأييدها للمشروع ، بل أن صدقى أصدر تعليمات للحـكومة بأن تكف عن أية معارضة للمشروع وأن تقدم له كل التسهيلات الممكنة » (٥) .

ويتشبث خصوم أحمد حسين بهذه الحقيقة محاولين تفسير كل قصـة « مشروع القرش » فى اطارها .. لكن أحمد حسـين يلجـأ كعادته لتبسيط الامور عندما يحاول ان يفسرها .

وفى روايته ازهار يقول على لسـان « آمال » « لقد اسـتطاع فوزى (أحمد حسين) أن يقابل رئيس الحكومة نفسـه (اسماعيل صدقى باشا) وأن يقنعه أن انشاء مصنع الطرابيش فى عهده سيكون أكبر مفخرة له وسـط الشباب ، فما كان من رئيس الحكومة الا أن انقلب الى أكبر مشجع لانشـاء مصنع الطرابيش وغزل الصوف » (٦) .

واذا كان خصوم أحمد حسين وفى مقدمتهم الوفـديين قد تشـككوا فى حقيقة ذلك الانطلاق السريع لمشروع يبدو فى مظهره ساذجا وغير مقنع لاحد ، وذلك بالرغم من معارضـتهم العنيفة لهـذا المشروع وهم أصـحاب النفوذ الجماهيرى الاسر فى ذلك الحين .. فان أحمـد حسـين يفسر الامر قائلا

---

(٤) حافظ محمود _ المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٥) على شلبى _ مصر الفتاة ودورها فى المجتمع المصرى (رسالة ماجستير غير منشوره) ص ٤٤

(٦) أحمد حسين _ ازهار _ المرجع السابق ص ٣٥٠

« ولكن الله سبحانه وتعالى وفقنى توفيقا عجيبا اذ اهدانى الى سعادة على باشا ابراهيم ليكون رئيسا للجنة التى تدرس الموضوع وتبحثه وكان هذا الاختيار بدء تطور جديد فى حياة المشروع » (٧) .

وهو فى موضع آخر يقول ان رئاسة على باشا ابراهيم للمشروع كانت « خيرا وبركة على المشروع » (٨) .

وسواء أكان تفسير أحمد حسين صحيحا أم كانت مخاوف خصومه هى الصحيحة فان المهم فى الموضوع هو ان الشاب الحديث السن الذى لم يزل طالبا بالسنة الثانية فى كلية الحقوق قد استطاع ان يشكل لجنة تنفيذية للمشروع « ضمت كلا من د . على باشا ابراهيم رئيسا ، ود . عبد الله العربى الاستاذ بكلية الحقوق ، والدكتور على حسن الاستاذ بكلية الطب وكيلين . والدكاترة مصطفى مشرفه وعبد الرازق السنهورى وعلى بدوى وزكى عبد المتعال والاستاذ أمين الخولى مراقبين .. واسندت اعمال السكرتارية الى كل من احمد حسين وفتحى رضوان ومدحت عاصم » (٩) كذلك تولى مصطفى بك الصادق مدير مصلحة التجارة والصناعة منصب وكيل اللجنة (١٠) .

ودارت الماكينة سريعا وبصورة ملفتة للنظر .. ولابد ان ذلك كان يعود فى قسم منه الى حماس الشاب صاحب فكرة المشروع ، وايضا الى حماس الحكومة التى وجدت فيه نوعا من المخرج من مازقها الخانق وخاصة فى اوساط طلاب الجامعات الذين كانوا يشكلون الركيزه الاساسية لقوة التحرك الوفدية .. ذلك الحماس الذى وصل الى درجة ان اسماعيل صدقى رئيس الوزراء قد اعطى أحمد حسين موافقة كتابية على المشروع نجح الشاب فى استخدامها أحسن استخدام ، وكان هناك ايضا الطابع العام للمشروع الذى ابتعد عن السياسة وعن الخصومات الناشبة ، الامر الذى جذب الى المشروع عددا من الشخصيات الاجتماعية والاكاديمية ذات التوجه الوطنى غير الحزبى .

واسرعت الصحف التى سبق لها ان قابلت المشروع بالسخرية لتؤيد المشروع وتبشر له .. « واصدرت دار الهلال عددا خاصا من احدى مجلاتها خصصت ايراده للمشروع فجمعنا من هذا العدد ما يقارب الثلاثمائة جنيه مصرى فكان ذلك نواه رأس مال المشروع » (١١) .

---

(٧) احمد حسين ـ ايمانى ـ المرجع السابق ص ٥١

(٨) احمد حسين ـ حياتى السياسية ـ الكراسة الاولى . نقلا عن آمال السبكى ـ المرجع السابق . ص ٥٦

(٩) السياسة ـ ١٩٣١/١١/٢٧

(١٠) احمد حسين ـ ايمانى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٥

(١١) احمد حسين ـ ايمانى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٥

والحقيقة أن هذه المجموعة من الشباب قد نجحت منذ البداية فى ان تكسب الى صفها عطف وتشجيع ودعم العديد من الشخصيات الاجتماعية ذات الثقل الوطنى والسياسى ..

ويروى حافظ محمود واقعة ذات دلالة هامة ، لعلها تعبر بذاتها عن مدى الدعم الذى لقيه هؤلاء الشبان فى مستهل نشاطهم السياسى .. « فى اليوم الذى كان فيه طلب الطعن فى أمر حبسنا رهن التحقيق (فى قضية نشر متعلقة بمجلة الصرخة) معروضا على قاضى التحقيق فوجئنا بعدد مذهل من المحامين الذين جاءوا للمرافعة تطوعا وبغير دعوة . وكان أروع موقف فى هذه المرافعا هو موقف الاستاذ محمد علويه باشا الوزير السابق . وقف علويه باشا أمام القاضى يملى على كاتب الجلسة العبارات التى اعتبرتهـــا النيابة موضع الاتهام ، وما ان فرغ من املائه حتى وقع باســـمه تحت هـــذه العبارات امام جمهور الحاضرين فى محضر الجلسة ، ثم التفت الى القاضى قائلا : حضرة القاضى .. هذا الكلام كلامى ،كما هو كلام هؤلاء الشـــبان الثلاثة المتهمين ، وكما انه كلام الوطنيين جميعا ، وانا قلت هذا الكلام فى جلسة علنية ، ووقعت عليه بشهادتكم فى محضر رسمى ، فاما ان تقبض على فورا واما ان تفرج عن هؤلاء الشباب فورا » (١٢) .

الى هذا الحد كان هؤلاء الشبان وفى مقدمتهم أحمد حسين على علاقة حسنة بعدد من الشخصيات ذات الثقل الاجتماعى والسياسى ..

وايا كانت الدوافع .. فان عجلة مشروع القرش قد اندفعت بحيث هيمنتبالفعل على عقول الكثيرين واجبرت حتى خصومها على الرضـــوخ لهـــا ..

وحتى سياسى عنيد معتد برأيه كمصطفى النحاس باشا اضـــطر ان يمالىء الحركة ..

فبعد ان عارضها معارضة شديدة مؤكدا « أنها مؤامرة جـــديدة ، ودسيسه يراد بها صرف جهود الشباب عن قضية البلاد الحقيقيه ، (١٣) .. ما لبث ان استقبل فى منزله أحمد حسين وتبرع للمشروع (١٤) . « وكانت قيمة التبرع المعنوية اكبر بكثير من قيمته المادية فهو يعنى رضاء الوفد عن المشروع ، ويوضح قوميته التى ظهرت أسمى من الخلافات الحزبية » (١٥) .

واخيرا تحدد اليوم الاول من فبراير ١٩٣٢ موعدا لبدء الاكتتاب للمشروع فى مدينتى القاهرة والاسكندرية على ان يستمر بهما حتى اليوم الخامس من نفس الشهر ثم يتم فى الاقاليم حتى ٢٦ فبراير .

(١٢) حافظ محمود ــ المرجع السابق ــ ص ١٤١
(١٣) أحمد حسين ــ ازهار ــ المرجع السابق ص ١٤٣
(١٤) الاهرام ــ ١٩٣٢/٢/٢
(١٥) آمال السبكى ــ المرجع السابق ص ٥٨

ووجه أحمد حسين سكرتير عام اللجنة بيانا الى الشعب استهله بقوله « ساهموا بقروشكم لبناء استقلالنا الاقتصادى » لكن أحمد حسين يستخدم أيضا اسلوبه الخاص الذى تميز به .. فهو يلجأ الى تهديد كل من لا يتبرع لمشروعه « لا يفكر شخص فى الامتناع عن شراء طوابع القرش فالمتطوعون مكلفون بالتعرض لكل شخص لا يحمل طابع القرش ، والمتطوعون الوف ، الوف ، اذن فخير لك أن تدفع » (١٦) .

« .. واستيقظت القاهرة ذات صباح لترى الشوارع ومركبات الترام والسيارات العامة وقد غصت بالمتطوعين والمتطوعات من مشروع القرش يحملون اشارات على صدورهم وعلى اذرعتهم ويوزعون طوابع القرش التى رسم عليها مصانع تشاد وكتب عليها .. تعاون وتضامن فى سبيل الاستقلال الاقتصادى . واقبلت جماهير الشعب وخاصة فى القاهرة والاسكندرية على ابتياع طوابع المشروع . وكان قد أعلن عن اقامة مهرجان يخصص ايراده المشروع فى حديقة الازبكية فاقبل عشرات الالوف من طبقات الشعب المختلفة للاحتفال بهذا المهرجان العظيم بحيث اختفى كيان الحديقة .

.. وكانت جميع الهيئات من حكومية وشعبية وقد تسابقت للمساهمة فى هذا المهرجان فاحتشدت موسيقات الجيش بانواعها والبوليس وموسيقات الفرق الاهلية وقد جاءت كلهـــا متطوعة . وغصــت الحديقة بالبهلوانات والحواه ومروضى الحيوانات . كما اقيمت عدة مسارح تمثل عليها الفرق المسرحية ويغنى فوقها جميع مطربى مصر ومطرباتها ، وقيمت حلقات للشعر والخطابه والزجل لمنح جوائز للمتفوقين . وجاء الشعب يشهد ذلك كله ويدفع قروشه مساهمة فى المشروع » (١٧) .

.. ونتأمل هذا الوصف الذى يثير حقيقة . وسؤال

اما الحقيقة فهى أن أحمد حسين قد نجح وثبت اقدامه على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية والوطنية ، ولم يعد بعد ذلك الطـــالب الذى يثير السخرية قبل الدهشة بتصرفاته وأترافاته ..

والسؤال هو كيف كان ذلك ؟ ومن هى القوى التى يمكنها ان تمنح مشروعا ايا كانت سمة العمومية فيه كل هذا الدعم .. ابتداء من موسيقات الجيش والبوليس .. الى دعم الهيئات الحكومية .. الى طبعات خاصة من الصحف ؟

هنا يهز خصوم أحمد حســـين رؤوسهم .. ليطالبوننا بالموافقة على مقولة النحاس الاولى بان الهدف من المشروع كان « حرف جهود الشباب عن قضية البلاد الحقيقية » .

---

(١٦) الاهرام ـ ١٩٣٢/٢/١

(١٧) أحمد حسين ـ ازهار ـ المرجع السابق ص ٣٣٥

بينما يرى انصار أحمد حسين رأيا آخر « هذه أول حركة جديدة تغمر وجه الحيـاه المصرية بعد ان كانت تسرى بها لفافات من الظـــلال الجاهمة الكئيبة ، وتسرى فى ارجائها موجات رهيبة من الانحـــلال والركود والتفتت الذى اشاعه فيها رجال الجيل القديم من مدرسة سعد زغلول واحزابه من الزعماء الذين كانوا كل همهم قتل الروح ووأد الحياة فى نفس الشعب المصرى » (١٨) ·

نقرأ الكلمات السابقة لواحد من أصدقاء أحمد حسين فنكاد نأخذها دليلا يؤيدكل مقولات خصومه ·· فهـو يعترف بأن مشروع القـــرش كان يستهدف مقاومة نفوذ « الجيل القديم من مدرسة سعد زغلول واحزابه » ·

··· وهذا هو ما اكده الوفديون أنفسهم ·

ويبقى السؤال من كان صاحب المصلحة الحقيقية فى ذلك ؟ فهل يكون حماس حكومة الطاغية صدقى للمشروع ·· اجابة شافية ؟

·· المهم ان المشروع قد نجح ·· يؤكد ذلك أحمد حسين بكلماته المتسمة دوما بالحماس والمبالغة « نجح المشروع ، واهتزت له مصر من أقصاها الى اقصاها ، ورأيت بعينى رأسى صورا ومشاهد جعلت الدموع تطفر من عينى · رأيت شبابا ينتسبون الى الوزراء والى المستشارين والى كبار الاعيـــان يسهرون الليل وسط الصقيع كيما يستلموا اعداد الجرائد ، رأيت شبابا يعملون واصلين الليل بالنهار لا يكلون ولا يملون ، يسافرون من الاسكندرية حتى أسوان ليعملوا الطابع والشارات ويتصلوا باللجان ، رأيت حولى عشرات الالوانس والوف الشباب تلمع عيونهم ويهتفون بمجد مصر ، ويستعذبون العمل فى سبيل استقلالها وتحريرها · هذا هو نجاح مشروع القرش كما كنت أريد . هذه هى المعنوية التى رغبت فى اثارتها » (١٩) ·

ولم يكن النجاح المادى كثيرا ·

فبعد كل هذه الضوضاء والمهرجانات والخطب والمقالات وحشود التأييد المعنوى والمادى ·· لم يجمع احمد حسين الا ١٧ الف جنيه طوال عام كامل ·· و ١٣ الف جنيه فى العام التالى ·

واذا كان المبلغ ضئيلا ·· ولا يعكس نجـــاحا ماديا للمشروع ·· ولا حتى تجاوبا صادقا من الجمهور فإن احمد حسين قد كسب شهرة تكفيه كى يتصرف كزعيم سياسى · وكسب خبرة تنظيمية كبيرة وفوق هذا وذاك نجح فى أن يستجمع حوله عددا من الشبان الذين خاض بهم فيما بعد غمار تأسيس

---

(١٨) عبد العزيز الدسوقى ـ الحركات الجديدة ، أحمـــد حسين ـ الناشر عصمت شمردن ـ اكتوبر ١٩٥٢ ـ ص ٤٣

(١٩) أحمد حسين ـ ايمانى ـ الطبعة الثانية ـ المرجع السابق ـ ص ٥٢

(١٨) عبد العزيز الدسوقى ـ الحركات الجديدة ، احمد حسين ـ الناشر عصمت

جماعة « مصر الفتاة » وعلى اية حال فقد نجح احمد حسين فى اقامة مصنع للطرابيش بما جمع من أموال ٠٠

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٣٣ تم تركيب المصنع وبدأ الطربوش المصرى يطرح فى الاسواق (٢٠) وقد بدأ المصنع بطاقة انتاجية تقدر بثلاثمائة الف طربوش فى العام (٢١) ٠

واخيرا أمكن لاحمد حسين أن يزهو بأنه قد اسس لمصر مصنعا للطرابيش وأن يعتبر ذلك رمزا للاخلاص للوطن ودليلا على امكانيات اقامة صناعة وطنية ٠٠

لكننا وقبل ان ننتقل الى موضوع آخر يهمنا ان نشير الى واقعتين الاولى ان الشركة التى نفذت مشروع مصنع الطرابيش شركة المانية (كانت النازية تهيمن على المانيا فى ذلك الحين) واسمها شركة هارتمان ٠ والغريب ان احمد حسين يروى بنفسه ما يوحى بان الامر لم يكن تجاريا أو اقتصاديا صرفا ، فهو يقول « وعندما ترددت الشركة تدخل وزير المانيا المفوض فى مصر وكتب لوزارة الخارجية الالمانية طالبا اليها التدخل لصالح المشروع » (٢٢) ٠

اما الثانية فهى ان الضوضاء الكبيرة التى صاحبت المشروع ثم ضآلة المبالغ المتحصلة منه قد أعطت الكثيرين من خصوم احمد حسين فرصة التشكيك والتساؤل ٠

وظل سيف هذا التشكيك معلقا دون اجابة شافية ٠

ويروى عبد الحميد يونس فى « حكايات انتخابية » الواقعة التالية :

« خرج شبان مصر الفتاة فى مظاهرة منظمة من تشكيلات عسكرية ، وكان هتافهم ٠٠ اخرجوا احمد حسين من السجن ، ومرت المظاهرة أمام محل تجارى لاحد الوفديين المتعصبين ، فوقف على الباب وهتف : يسقط احمد حسين حرامى القرش ٠٠ وفى لحظات كان المحل قد أصبح كومة من الخشب الصغير ٠٠ وتحطم عن آخره » (٢٣) ٠

---

(٢٠) الصرخة ١٩٣٣/١٢/٩

(٢١) الصرخة ١٩٣٣/١٠/٤

(٢٢) احمد حسين ـ ايمان ـ الطبعة الثانية ـ المرجع السابق ٠ ص ٥٦

(٢٣) عبد الحميد يونس ـ حكايات انتخابية ٠ ص ٣٤

(٢٢) احمد حسين ـ ايمانى ـ الطبعة الثانية ـ المرجع السابق ٠ ص ٥٦

ثم .. مصــــر الفتاة

.. الأن المســـرح مهيأ . والفتى الشـــاب مســـتعد كي يلعب دور البطولة .

ولنستمع الى روايته .. « هؤلاء الذين عملوا معي طوال عامين في مشروع القرش ، بدأوا يفهمون ايماني الكامل برسالتي المقبلة ، فاذا بي لم اكد أخرج من الكلية متمما تعليمي العـــالي حتى رأيتهم يتطـــلعون الى ويطالبونني بخطوتي الثانية ، وأعني بها تأليف ما حدثتهم عنه ، وما وعدتهم به وهو جمعية مصر الفتاة ، عدت الى بيتي وجلست أكتب برنامج الاحياء ووسيلته كتبت كل ما جرى به القلم على القرطاس ، فكان ذلك برنامج مصر الفتاة ، عدت به الى اخواني وزملائي فوقعوا عليه في الثالث عشـــر من اكتوبر ١٩٣٣ ، وكان الموقعون لا يزيدون عن الاثني عشر » (١) .

وكان لابد للجماعة الجديدة من صوت تعلن به وجودها ..

فاعادت اصدار الصرخة من جديد ..

« ورأيت ان تكون الصرخة هي لسان حال هذه الحركة ، وهي التي جرى على صفحاتها في الاعداد الاولى أول آمالي في مصر الفتاة . رأيت أن تكون الصرخة وهي التي اسميناها بهذا الاسم منذ اربع سنوات معبرة عما في نفوسنا من ايمان ، وما لنا من برنامج فبحثت عنها حتى وجدتهـــا في حوزة شخص غير صاحبها القديم ، فكتبت معه عقدا بمقتضاه يضع الجريدة تحت تصرفنا مقابل ايجار معلوم .. وفي ٢١ اكتوبر ١٩٣٣ . وعلى صفحات العدد الثالث من الصرخة اعلنا برنامج جمعية مصر الفتاة » (٢) .

لكن الاوراق توشك ان تختلط على الباحث ..

فهل صدرت الصرخة أولا في عددين ثم اعلن عن تأسيس جماعة مصر الفتاة في العدد الثالث أم كما توحي كلمات أحمد حسين انه اعاد اصدار الصرخة ليعلن على صفحاتها ومنذ البداية قيام جمعيته .

ذلك ان شريك أحمد حسين في اصدار الصرخة يقدم رواية اخرى ..

يقول حافظ محمود « ما ان ظهرت الجريدة حتى اقتادونا نحن الثلاثة (أحمد حسين . فتحي رضوان . حافظ محمود) الى السجن رهن التحقيق . وفي ندواتنا الثلاثية الخاصة ونحن في مجلسنا بسجن الاستئناف كاشفنا زميلنا أحمد حسين بعزمه على انشاء الجمعية السياسية التي اسماها مصر الفتاة . فعارضت هذه الفكرة من حيث التوقيت ، فقد كان من رأيي الاكتفاء بالجريدة الى ان يجتمع لمبادئها رأى عام يلتف حولنا فيتحول هذا الالتفاف

---

(١) أحمد حسين — ايماني — ط ٢ — ص ٦٢

(٢) المرجع السابق — نفس الصفحة .

تلقائيا الى تشكيل سياسى ديمقراطى . لكن أحمد كان مصمما تصميم المؤمن بفكرته ، فقررت ان اعتزل رياسة تحرير الصرخة ما دامت ستتطور تلقائيا الى لسان حال حزب جديد فى الوقت الذى كنا فيه نحاول زحزحة الاحزاب عن مكانها ... » (٣) .

ويمضى حافظ محمود مؤكدا روايته « فاتخذت لى طريقا صحفيا آخر محتفظا بكامل الموده للزميلين .. وبعد فترة غير قصيرة عاد زميلنا الاستاذ فتحى رضوان الى قواعده فى الحزب الوطنى يجدد شبابه ويتولى رياسة التشكيل الشبابى الجديد للحزب الوطنى » (٤) .

على اية حال فان اختلاف الروايتين لا يغير كثيرا من الصورة الاساسية ..

والمهم ان العدد الثالث من جريدة الصرخة قد صدر فى ٢١ اكتوبر ١٩٣٣ . ليعلن ميلاد حزب جديد .

« يا شعب مصر ..

ايها الشعب الذى صاحب الزمن .. يا أمجد شعب فى الوجود وأعظمه ، لقد حانت ساعة اليقظة ، لقد حانت ساعة العمل ، بل لقد حانت ساعة الجهاد . وهذه هى مصر الفتاة تتقدم اليك لتجاهد عنك ، ولتزود عن حياضك ، ولترفع صوتك ، ولتطعم جائعك ، ولتعلم جاهلك ، ولترد عليك كرامتك ، ولتعيد اليك سابق مجدك .

يا شعب مصر ..

لقد طال ما رقدنا وها نحن أولا قد صحونا ، لقد طال ما اهملنا وها نحن اولاء قد حرصنا . لقد طال صمتنا ، وها نحن اولاء قد تكلمنا . واذن فليكن صوتنا مدويا ولتكن صرختنا من الاعماق ، وليكن ايماننا جبارا يدك الجبال وليكن شعارنا مصر فوق الجميع .

ثم يمضى البيان قائلا « لسنا نريد ان نتكلم كثيرا ، ولكننا ندعو الشعب الى الايمان بحقه وقوته ، ندعوه لعشر سنوات من الايمان والعمل لله والوطن ، نابذا الخلافات الحزبية مهملا ما اعتاد الناس ان يسموه سياسة » .

ولقد يجد البعض غرابة فى هذه العبارة الاخيرة .. حزب سياسى جديد يقوم ليبشر باللاحزبية واللاسياسة .. والحقيقة ان هذا الموقف قد تكرر عند جماعة اخرى نشأت ايضا فى ذلك الحين فى جماعة الاخوان

(٣) حافظ محمود - المرجع السابق . ص ١٣٩

(٤) المرجع السابق . ص ١٤٣ .

المسلمين ٠٠ (٥) بل ان أحمد حسين نفسه وحتى بعد ان انغمس فى الحزبية والسياسة الى قمة رأسه يجد انه من المناسب حتى فى عام ١٩٤٩ (أى بعد اكثر من عشرين عاما من اشتغاله بالسياسة الحزبية) ان يقف ليعلن فى احد مرافعاته « دعونى فى هذا المحراب المقدس اندد بالسياسة الحزبية التى اتلفت كل شىء فى هذا البلد ، والتى ســـاريكم ان هذه المأســـاة التى نحن بسبيلها اليوم ليست الا ثمرة من ثمارها ، فهذه السياسة الحزبية طغت على كل شىء ، وعميت عن كل حق » (٦) ٠

والحقيقة ان هذا الموقف كان يمثل نهجا متكاملا ٠٠ فالسياسة اذا ما اشتغل بها الخصوم (الوفديون اساسا) حزبية بغيضة ، واذا ما اشتغل بها احمد حسين أو حسن البنا ايمان ووطنية بل وجهاد فى سبيل الاسلام ٠

والمهم ان البيـــان الاول للجماعة يمضى بعد ذلك ليناشـــد الجمهور « لا تسخروا منها (جماعة مصر الفتاة) ان لم تعاونوها ، ولا تحاربوها لانها لن تمسكم بشر ، فهى عقيدة مخلصة مقدسة وستنتصر فى النهاية كما ينتصر كل ايمان واخلاص ٠٠٠ سننتصر لاننا سنتحمل كل شىء فى اجلك يا مصر ، ولاننا سنضحى فى سبيلك يا مصر ، ولاننا سنموت وكلمتنا الوحيدة ٠٠ مصر فوق الجميع (٧) ٠

وبعد هذا النداء المفعم بالحماس ٠٠ يقدم احمد حسين المحامى برنامج جماعته ٠٠ تحت عنوان « ايماننا » والبرنامج كالبيان التمهيدى كلمات مفعمة بالحماس ٠٠ لا اكثر ٠٠

« مصر التى علمت الانسانية ، واضاءت على العالمين ، مصـــــر التى رفعت لواء الاديان جميعا ، واعلت كلمة الله والاسلام ، مركز العالم وزعيمة الشرق ، بعد ان طهرتها الآلام وصقلتهـــا المحن ، بعد ان حاربهـــا الزمان فارتد وانهزم لن تموت ابدا بل ستبعث من جديد لتعيد سيرتها الاولى منارة للعالم وتاجا للشرق وزعيمة للاسلام ، وهى من أجل هذا فى حاجة الى دم الشباب الملتهب ، فى حاجة الى الايمان والعمل ، فى حاجة الى نفر من بنيها يقابلون الموت ويستعذبون الالم ويرحبون بالتضحية وتلك صفات لن تتوفر فى ابناء الجيل القديم ٠

---

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذا النهج واسبابه راجع — د٠ رفعت السعيد — حسن البنا ، متى كيف ولماذا ، مكتبة مدبولى ١٩٧٨ ٠

(٦) مرافعة احمد حسين المحامى فى قضية اغتيال المرحـــوم محمود فهمى النقراشى — الخيانة العسكرية رقم ٥/ ٩٤ — مطبعة منبر الشرق (١٩٤٩) ٠ ص ٦

(٧) الصرخة — ١٩٣٣/١٠/٢١ ٠

شـــــعارنا

الله · الوطن · الملك (٨)

يجب أن نعبد الله ، وأن نعلى كلمته ، ويجب أن نقدس الوطن ونفنى فى سبيل مجده ، يجب أن نعظم الملك ، وان نلتف حول عرشه ·

غايتنـــــا

ان تصبح مصر فوق الجميع ، امبراطورية عظيمة تتالف من مصـــــر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام ·

جهادنا العـــــام

١ _ يجب ان نشعل القومية المصرية ونملأ نفوســـنا بها ايمانا وثقة واعتزازا ، ويجب ان تصبح كلمة « المصرية » هى العليا ، وماعداها فلغو لا يعقد به ، ويجب ان يؤمن الجميع بأن ارادة الشعب من ارادة الله وان مصر يجب ان تصبح فوق الجميع ·

٢ _ يجب أن نضـع الاجانب فى مركزهم الطبيعى ضـيوفا فى مصر وليسوا اصحابها وذلك يكون بالغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة بجرة قلم ، وتمصير الشركات الاجنبية ، وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى الحياة التجارية ويوم الجمعة يوم عطلة عامة وعـدم التصريح للاجنبى بمزاولة عمل فى مصر الا بتصريح خاص ·

وعلى هذا المنوال يمضى البرنامج · كلمات عامة ، مليئه بالحمـاس ، خالية من المحتـوى المحـدد ، لكننا مع ذلك نلمـح فى البرنامج توجيهـات اجتماعية أو ذات صيغة محددة ·

_ « يجب أن نؤمن بأن الفلاح هو تاج مصر وسر قوتها ، وأنه الحقيقة الوحيدة التى لم تتبدل فى العالم منذ ستة آلاف سنة ، وهو الذى أبقى مصرنا نابضة قوية حتى اليوم ، فيجب ان نعظم الفلاح بأن نقضى على الامية والجهل ونرتقى بمعيشته فنضمن له اليسر والرخاء ، ونحفظ له صحته وندخل الى بيته الجديد النور والهواء والماء النقى ·

_ « يجب أن يعم نظـام التعـاون فى كل مدينة وفى كل قرية وفى كل ضيعه لاقراض الفلاحين وتوزيع البذور ، واستخدام الآلات · وبيع الحاصلات وتنظيم المعاملات » ·

---

(٨) لعله من المثير للسخرية ان انصار احمد حسين عندما حاولوا فيما بعـد ثورة يوليو ١٩٥٢ الكتابه عنه وعن تاريخه ، اسقطوا دون أية اشارة كل ما يتعلق بعبارات الولاء للملك وقد كانت زاخرة فى البرنامج وفى كل كتاباته التالية ·

وعندما اوردوا البرنامج اسقطوا من نصوصه كل ما يتعلق بالملك · كمثال على ذلك عبد العزيز الدسوقى المرجع السابق · ص ٥٠

وايضا : فؤاد نصحى _ من كفاح الشعب المصرى ، مصر الفتاة _ الحــــزب الاشتراكى _ المطبعة العالمية · اغسطس ١٩٧٨ ·

ـ « يجب أن نحتكر تجارتنا الداخلية ، فلا نأكل الا كل ما هو مصرى ، ولا نلبس الا كل ما هو مصرى ولا نشترى الا من مصرى ما استطعنا الى ذلك سبيلا » (٩) .

ـ « مصر التى ستتزعم الشرق وتضيىء على العالم يجب أن تستمد هذا النور من قرائح أبنائها فيجب أن يصبح التعليم الابتدائى مجانا ، وان تقل نفقات التعليم الثانوى والتعليم العالى لتكون فى متناول أفقر الطبقات » .

لكن البرنامج يتضمن فقرات غريبه .. فهو يطالب بالعناية « بالطفولة باعتبارها مصر المستقبلة مصر العظيمة ، فيجب أن نعد الاطفال ليكونوا علماء وغزاه ونوابغ » ولابد لنا أن نتوقف عن كلمة « غزاه » ونتساءل عن مغزاها فى برنامج كهذا ، ونستنتج منها منهجا ما فى التفكير .

أما الموقف من المرأة فهو عبارة انشائية صرفه « يجب أن نرقى المرأة ونعلمها العلم الكامل لكى تكون زوجة صالحة ولتكون أما تخلق الابطال ، وليكون بيتها نعيم الحياة » .

وعبارة انشائية أخرى عن الاغانى والفنون « يجب أن تتبدل الاغانى لتكون قوية وأن يحفظ المصريون النشيد القومى ، ويجب أن نعيد الى الفنون عظمتها الفرعونية والعربية حتى تقف فى خدمة البعث والاحياء ، لا أن تكون وسيلة للهو والفجور » .

ثم لا كلمه واحدة عن الدستور (وكان معركة الشعب الرئيسية فى ذلك الحين) ولا كلمة واحدة عن الديمقراطية أو حريات المواطنين .. الخ .. ولا حتى الاسلوب الذى يقترحه لتحرير الوطن من الاحتلال البريطانى .

وربما كان أكثر الاهتمام منصبا فى محاولة اثبات الولاء للملك وتمجيد العرش .

والحقيقة أن أحمد حسين لم يخف ذلك ، بل لعله حرص أشد الحرص طوال المرحلة الاولى من نشاط مصر الفتاة على التأكيد على ولائها للعرش .

يقول أحمد حسين فى « أيمانى » « كان أول اجراء فكرنا فيه لنبدأ كفاحنا أن نرفع صوره من برنامجنا الى جلالة الملك المغفور له أحمد فؤاد .. وكان لا يزال فى الاسكندرية حيث يمضى فصل الصيف ، فكلفت أحد الخطاطين المهرة أن يكتب لى البرنامج على ورق فاخر ، بخط جميل ، فأحسن القيام بهذه المهمة » .

---

(٩) يلاحظ أن هذه الدعوة كانت سائدة فى أوساط البرجوازية المتوسطة والصغيرة فى مطلع الثلاثينيات كامتداد لدعوة غاندى بالهند ، وكان أول من بشر بها المفكر سلامة موسى عندما أسس جمعية « المصرى للمصرى » وخصص الكثير من صفحات « المجلة الجديدة » للدعوة لها . وكل ما فعله أحمد حسين أنه صاغ هذه الفكرة فى قالب أكثر حماسا .

ويواصل أحمد حسين روايته فينقل عن زكى باشـــا الابراشى (كان الوفديون وخصوم مصر الفتاة يوردون اسم زكى باشا الابراشى ناظر الخاصة الملكية ورجـل القصر القوى باعتبـاره حامى حمى مصر الفتـاة فى أيامها الاولى) ٠٠ « ان جلالة الملك فؤاد تقبل برنامج مصر الفتـاة بقبول حسـن ، وابتهج ابتهاجا عظيمـا لروح الاخلاص الذى تفيض به كل عبـارة البرنامج المذكور ، وروح التعمق فى دراسة المشاكل المصرية ٠٠ وانه اســتدعى زكى باشا الابراشى ناظر خاصته وموضع سره واطلعه على هذا البرنامج مزهوا بالشباب المصرى الذى وصـــل الى هذه الدرجة من النضوج ، وقال ان هذه الروح يجب أن تزدهر فى مصر ٠٠ » وأمر جلالته « بأن يوصى بهـم وزير الداخلية لكى يبذل لهم كل عون مستطاع » ٠

ويواصـــل أحمد حسـين روايته المثيرة فى صراحتها وفى دلالاتها فيقول « استدعانى محمود فهمى القيسى باشـــا وزير الداخلية (فى وزارة عبد الفتاح يحيى باشا) واطلعنى على هذه الرسالة وقال ان القصر الملكى قد حولها اليـه ليتكلم معى فيهـا ٠ وقد اثنى الرجل على الروح التى انطوت عليها مبادىء حزب مصر الفتاة » (١٠) ٠

ولندع أحمد حسين يواصل حديثه دون تعليق ٠٠ « كانت الوزارة التى تتربع فى كراسى الحكم هى وزارة عبد الفتاح يحيى باشـــا ، وهى وزارة تألفت على أساس دسـتور اسـماعيل صدقى باشـــا وكانت تحكم البلاد بالقوانين الاستثنائية معتمدة على برلمانه ونوابه ٠ ولكنها فى نفس الوقت كانت احدى وزارات القصر التى تسـتمد كل نفوذها من القصر ولذلك فقد مرت الايام الاولى على مصر الفتاة دون أن تتعرض لها الحكومة فقد كان ما اشتهرت به من اســـتقلال عن الوفد واعتدال فى الرأى وما أعلنته فى برنامج مصر الفتاة بالذات من دعوة الى الالتفات حول العرش ، كان لذلك كله أكبر الاثر فى أن مرت الاســابيع الاولى على انشاء مصر الفتاة بدون معارضة أو مقاومة من الحكومة (١١) ٠

هكذا وبصراحة تامة وبوضوح كامل يضع أحمد حسين نفســـه فى « سلة » السراى بكل ما يعنيه ذلك بالنسبة للقوى الوطنية المصرية ٠

وحتى عندما يلقى القبض عليه بسبب مقال نشره فى الصرخة بعنوان « يا شباب ١٩٣٣ كن كشباب ١٩١٩ فانه يهرب من سجنه مقالا يحرص فيه على أن ابراز تفـانيه فى الولاء للملك ، بل يحاول القـول بأنه انما يتعرض للاضطهاد بسـبب هذا التفانى فى الولاء ٠٠ وخاتمة المقال « فى سبيلك يارب ، فى سبيلك يامصر ، فى سبيلك يامليكى أدخل اليوم السجن » (١٢)٠

(١٠) أحمد حسين _ ايمانى _ ط _ ٢ _ ص ٧٢
(١١) أحمد حسين _ ايمانى _ ط _ ٢ _ ص ٨٤
(١٢) الصرخة _ ١٩٣٣/١١/١٨ ٠

كذلك اســتقبلت بعض الدوائر المتطلعة نحو المحور هذا البرنامج بالبهجــة .

« وما زلت أذكر حتى هذه الساعة تعليق سعادة على باشا ابراهيم على برنامج مصر الفتاة . اذ وصفه لاعضاء مجلس ادارة جمعية القرش بأنه أشبه الاشياء ببرنامج موســوليني لاحياء ايطاليا . وراح على باشا ابراهيم يتحدث فى حماسه وحرارة عن الصدى الذى تركته فى نفسه تلاوة هذا البيان » (١٣) .

فهل تلقى هذه العبارة ضوءا ما على سر حماس على باشا ابراهيم المبكر لاحمد حسين ولمشروع القرش ؟

لكن ماذا عن موقف القــوى الاخــرى ، وبالتحديد ماذا عن موقف الوفد بالذات .

ولنعتمد أيضا على كلمات أحمد حسين « كان ميلاد مصر الفتاة قد أحدث انزعاجا فى دوائر الوفد العليا ، فقد نظرت اليها نظره شك وريبه ، وكان على أن أواجه هذه المشكلة أول ما أواجه .. فقد سبق للوفد أن أبدى عدم ارتياحه لمشروع القرش فى مراحله الاولى اذ توجس منه خيفه وساورته الشكوك والوساوس . وكان الوفد يحارب فى تلك الايام وزارة صدقى باشا . وكان أقصى ما يتمناه أن يكرس الشبان كل نشــاطهم ، وكل جهدهم لمحاربة صدقى باشا واسقاط حكومته .. فلما أن دعوت الى مشروع القرش .. لم ترق هذه الدعوة لدى الدوائر الوفديه ورؤى فيها محاولة لاضــعاف الوفد وصرف الشبان عن الاشتغال بالسياسية الحزبية » .

.. « على أننى لم أكد أجهر بدعوة مصر الفتاة حتى انفجر سخط الوفد ورأى فى ذلك ما يعزز شــكوكه القديمة وأوهامه .. فرأيت أن أسرع الى مقابلة النحاس باشا لكى أزيل كل لبس وغموض فى موقفى .. وقد قابلنى النحاس باشا فى بيت الامة .. واجهنى النحاس باشــا كعادته مهاجما بسيل من الاتهامات ، فلابد أن أكون صنيعه للابراشى باشــا ناظر الخاصة الملكية ، الذى كان يسيطر على السياسة المصرية فى ذلك الحين . وكان الوفد يعتبره خصمه اللدود .. وأخذ الباشا يتفحص مبادىء مصر الفتاة ويناقش محتوياتها ثم وقف طويلا أمام شعار « الله ـ والوطن ـ والملك » وقد كان من الواضح أن هذا الشعار المثلث يضايقه كل المضايقة ، ومازلت أذكر حتى الان اعتراضه على وضع كلمة الله فى برنامج سياسى وكيف رأى فى ذلك لونا من ألوان الشــعوذة . ثم حام حول كلمة الملك ولكنه لم يقل الا خيرا ... وانتهت المقابلة الى غير نتيجة حاسمة . فقد خرجنا منها كما دخلنــا غير متفاهمين . بل لعلنــا خرجنــا منها أكثر افتراقا ممــا

---

(١٣) أحمد حسين ـ ايمانى ـ ط ٢ ـ ص ٧٥

دخلناها ٠٠ » وبعدها مباشرة « بدأت حملة المجلات والصحف الوفدية تشتد على بعد هذه المقابلة ، وبدأت جهود الشبان الوفديين المضادة لمصر الفتاة يظهر اثرها فى الجو ، وكان مشروع القرش هو محور هجومهم فاشاعوا واذاعوا أننى اختلست بضعة ألوف من أموال هذا المشروع » (١٤) ٠

وتحت وطأة هذا الهجوم الوفدى ٠٠ اضطر احمد حسين الى تقديم استقالته من منصبه كسكرتير عام لجمعية القرش ٠

واذا كان أحمد حسين قد حصل على تأييد القصر وعلى عداء الوفد ٠٠ فثمة قوى ثالثة لها وزنها الهام وهى الاحتلال البريطانى ٠

وكان الانجليز يستريحون الى كل قوة جديدة تضعف من جماهيرية حزب الوفد ٠٠ لكن كان هناك عامل آخر بالغ الاهمية وهو تزايد النفوذ السياسى للمحور (العدو الرئيسى) سواء فى القصر أو صفوف هذه القوى الشابه المناوئه للوفد ٠ وكان هناك أيضا ذلك التوجه الجديد وهو الصوت البالغ الارتفاع فى العداء لهم ٠

فبمناسبة عيد الجهاد الوطنى (١٣ نوفمبر) أصـدر أحمد حسين عددا خاصا من الصرخة ضمنه لاول مره هجوما على الاحتلال ٠ ويعترف أحمد حسـين انه لم يكن صاحب الفكرة ، ويعترف انه قاومها وانه اضطر للكتابة ضد الاحتلال تحت ضغط شـديد بل وتجريح واتهامات من صديقه الوحيد فتحى رضوان ٠ « فقد كانت خطتى ترمى الى اصطناع الاعتدال ريثما تثبت أقدام جريدتنا وحركتنا ، ولكن ذلك لم يعجب الاسـتاذ فتحى واعتبره مظهرا من مظاهر الجبن » (١٥) ٠

وبرغم تأييد القصر ومسـاندته ، وبرغم مسـانده وزير الداخلية لاحمد حسين بناء على تعليمات القصر فما كان هناك احد يستطيع أن يحمى أحمد حسين من غضبه الرجل الاول فى جهاز الامن المصرى السيركين بويد « فقد سكت جنابه على مضض فى الايام الاولى لمصر الفتاة ، الى أن جاءته الفرصة بعد شهر واحد من تأليفها عندما أصدرنا عددا خاصا من الصرخة بمناسبة ١٣ نوفمبر » ٠

وكان المقال عنيفا بالفعل « يا شباب ١٩٣٣ كن كشباب ١٩١٩ ٠ كن كهذا الشباب الذى قدم نفسه وقودا للجهاد والوطن ، كن كهذا الشباب الذى اشـــعل الثورة فى وقت لم يتوقع فيه الناس الثورة ٠ ثورة جائحه ضـــد الانجليز والاجانب ، لا تعرف هواده ولا لينا ، لا تعرف تعقلا ، الا فى خلاص الوطن من ربقة الاستعباد ٠٠ » (١٦) ٠

---

(١٤) المرجع السابق ص ٧٧
(١٥) المرجع السابق ص ٨٧
(١٦) الصرخة ـ ١٩٣٣/١١/١٣

وأرسل أحمد حسين الى السجن .. ومن هناك كتب مقاله الذى يقول فيه « فى سبيلك يا مليكى أدخل اليوم السجن » .

وتولى كمال الدين صلاح رئاسة تحرير الصرخة ... وخرج أحمد حسين من السجن سريعا ليعلن عن صفحات الصرخة المبادىء العشرة « التى لخصت فيها آرائى وكفاحى فى كلمات قليلة لتكون لنا دستورا ومنهاجا » .

.. ويفتقد أحمد حسين القدرة على التواضع عندما يتحدث عن هذه المبادىء العشرة قائلا « سرعان ما أصبحت انجيل الوطنية فى هذه الايام»(١٧) اما انجيل الوطنية هذا فيدعو الى .

ــ لا تتحدث الا باللغة العربية ولا تتعامل داخل الوطن الا بها وقاطع كل من يحاول الغض من شأنها .

ــ لا تشتر الا من مصرى ولا تلبس الا ما صنع فى مصر ولا تأكل الا طعاما مصريا فان لم تجد فعربيا .

ــ اعمل ثم اعمل واعمل دائما .. واعلم أن وطنك لن يستفيد من عملك الا اذا كان متقنا .

ــ تطهر فصل لربك وأم المسجد يوم الجمعة ان كنت مسلما والكنيسة يوم الاحد اذا كنت مسيحيا ويوم السبت ان كنت يهوديا (١٨) .

ــ احفظ نشيد اسلمى يا مصر ورتله بكل نفسك فى كل حفل وليكن انشودتك فى كل مكان .

ــ احتقر كل ما هو اجنبى بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك الى حد الجنون .

ــ غايتك أن تصبح مصر فوق الجميع دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام .

وليكن شعارك دائما : الله والوطن والملك (١٩) .

ولعل كلمات مثل « احتقر كل ما هو اجنبى » و « تعصب لقوميتك الى حد الجنون » تكفى بذاتها لتوضيح القيمة الفعلية والاثر الحقيقى « لانجيل الوطنية فى هذه الايام » .

ويمضى أحمد حسين فى عملية البناء التنظيمى لجمعيته .

وبعد ثلاثة أشهر تقريبا من اعلان تأسيس الجماعة أعلن أحمد حسين شروط الانضمام اليها مقسما العضوية الى قسمين : عضوية لجان وعضوية

---

(١٧) أحمد حسين ــ ايمانى ــ ط ٢ ــ ص ٩٥

(١٨) من الغريب ايضا ان انصار أحمد حسين قد اسقطوا دون اى اشارة الى ذلك عبارة « ويوم السبت ان كنت يهوديا » عندما اعادوا فى فترات لاحقة نشر المبادىء العشرة .

(١٩) الصرخة ــ ١٩٣٣/١٢/٩ .

تشكيلات عسكرية • وعلى أعضاء اللجان الاجتماع كل فى منطقته وانتخاب رئيس وسكرتير وأمين الصندوق وأن يحرروا بذلك محضرا رسميا ويرسلوه للمركز الرئيسى لاعتماده • أما التشكيلات شبه عســكرية فقد أطلق على أعضائها اســم المجاهدين • ويجرى اختيار المجاهدين من بين أعضــاء الجمعية الاكثر نشاطا وولاءا ، وتكون منهم تشــكيلات منظمه « يكون لها أثر فعال فى تنفيذ خطط الجمعية وبرنامجها » وأعلن أن هؤلاء المجاهدين سوف « يخضعون لنظام شبه عسكرى أساسه الطاعة المطلقة والتفانى فى ســبيل مصر ، ويكون لهم زى خاص من قميص أخضر وبنطلون وحزام • ولا يقدم الزى لشــخص الا بعد أن يمضى مدة التجـربة ، ويعرف قواعد النظام ، ويحفظ الاناشيد والمبادىء » (٢٠) •

أما عن شكل بناء هذه التشكيلات فقد قال أحمد حسين أنها ستنقسم الى « فيالق والوية وفرق وكتائب وأقسام • ورؤساء الفيالق يكونون هيئة أركان الجهاد » • أما شروط العضوية فى التشكيلات شبه العسكرية والتى اسميت بتشكيلات المجاهدين فهى أن يقف العضو نفسه « على اعلاء كلمة الله وتقديس الوطن والالتفــاف حول عرش الملك » ومن ثم فيجب أن يكون المجاهد « من ذوى الاعمال الحرة وأن يكون قد أتم دراسته » •

ثم ينهى أحمد حسين هذا البيان التنظيمى بدعوه الشباب « الذى سد الاجانب فى وجهه طريق الحياة فلم يجد عملا بعد أن أتم دراسته ، والذى يتقد قلبه بنيران الوطنية المقدسة والذى يتألم مما يرى فى مصر ويعرف أن لمصر دورا عظيما ينتظره العالم •• الى الانضمام الى الجمعية والجهــاد معهــا » (٢١) •

ولا يستمر شهر العسل طويلا •• فبرغم رضاء القصر الملكى وتوصيته لوزير الداخلية ، فان ســلطات الاحتلال لم تكن تنظر لهذه الجماعة نظرة ارتياح لسببين •• أولهما الشعارات الوطنية المتطرفة التى ترفعها ، أما الثانى وهو الاخطر وربما الاهم فهو تشكيلاتها شبه العسكرية وتوجهاتها السياسية القريبة من المحور •

وهكذا توالت الضربات •

« ألقى القبض على أحمــد حســين وفتحى رضــوان وحافظ محمود وأودعوا الحبس الاحتياطى لمدة خمسة وعشرين يوما ، ووجهت اليهم تهمتى تحسين المظاهرات والتحريض على الاضراب ، ثم أفرج عنهم بكفالة بعــد أن حولت القضية الى محكمة الجنايات • وبعد شهر آخر قبض على أحمد حسين مرة ثانية بسبب مقاله عن الجيش المصرى • وقدم هو ورئيس تحرير

---

(٢٠) الصرخة – ١٩٣٤/١/٦ •

(٢١) المرجع السابق •

الصرخة احمد الشيمى الى محكمة الجنايات فى ١٩ ابريل ١٩٣٤ .. وفى هذه الفترة تولى رئاسة الجماعة فتحى رضوان ثم ما لبث ان سجن هو ايضا مع محمود حجاج فتولت مجموعه من الشباب صغار السن بعضهم طلبه فى المدارس الثانوية قيادة الجماعة » (٢٢) .

وكان الصرخة ماضية فى خطة الاثارة ضد الانجليز .. فهى مثلا تنشر فى صفحتين متقابلتين صورة ثكنات الاحتلال فى قصر النيل والقلعة وغيرها من انحاء القاهرة وتكتب تحتها « يا رجال مصر ويا شبابها . هل أصبحت هذه المناظر لا تزعجكم ؟ هل الفتم طعم الذل والهوان ؟ انها ثكنات بريطانية ، وجيوش انجليزية ، حتى قلعة صلاح الدين أصبحت بريطانية . ما أشبه اليوم بالبارحة ، ولكن ما أعظم الفرق بين جهاد اليوم وجهاد البارحة » (٢٣) .

وبالمقابل انتهجت الحكومة خطة مصادرة الجريدة .. ويروى أحمد حسين انطباعاته قائلا « ان الاضطهاد الذى كان يلاحق مصر الفتاة تحول الى اضطهاد مميت خانق . كان يصادر البوليس جميع أعداد الصرخة على التوالى أو أن يصادرها وهى فى المطبعة . ولم يكن باستطاعاتنا أن نتحمل هذه الخسارة المالية الفادحة فبدانا نفكر فى التوقف بعد أن كنا اقتصرنا على اصدار الصرخة فى ثمانية صفحات بدلا من ستة عشر ثم أصدرناها فى أربع صفحات بدلا من ثمانية ، ورحنا نكتب فيها من باب السخرية والتهكم على هذه الحالة مقالات عن البصل وفوائد النوم عقب الغذاء . ونعقد مقارنات بين شهيرات المثلات فى العالم . ومع ذلك فلم تكن الصرخة تسلم من المصادرة فى داخل المطبعة بالرغم من ذلك كله بحيث كدنا نكف نهائيا عن اصدار الصرخة حتى يقضى الله امرا كان مقضيا » (٢٤) .

.. ولنا كامل الحق فى أن نتوقف كى نتساءل لماذا ؟

لماذا غيرت الحكومة من نهجها تجاه الجماعة . وكف القصر يده عن مساندتها فى ذلك الحين .

كانت وزارة الطاغية اسماعيل صدقى قد استقالت . وحلت محلها وزارة عبد الفتاح يحيى باشا الذى حكم بدستور صدقى وببرلمانه لكنه أحنى رأسه اكثر فاكثر لسلطات الاحتلال مدركا أنهم السند والمبرر الوحيد لاستمراره فى الحكم . وكان نفوذ الملك فؤاد يتضاءل وينكمش فالانجليز

(٢٢) د. عبد العظيم رمضان ــ المرجع السابق . ص ١٩٧

(٢٣) الصرخة ــ ١٩٣٥/١١/١٣

(٢٤) احمد حسين ــ ايمانى . ط ٢ . ص ١٥٦

وقد راوا المحور يتطلع الى دور هام فى مصر حاولوا احكام قبضتهم اكثر كى لاتفلت من أيديهم ٠

وكان زكى باشا الابراشى ناظر الخاصة الملكية الشهير ومدير امور الملك قد رحل ٠٠ وهو أول من ساند واستخدم هذه الجماعات السياسية الصغيرة لمناوئة الوفد ولازعاج كل الخصوم ٠٠

وبدأ الانجليز يفرضون سلطانهم على اجهزة الامن المصرية لتكون اداة لحماية وجودهم ٠٠ واتى لمصر « بترسون » مفتشا للبوليس فراح يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة حتى فى اختيار الاطباء المعالجين للملك فؤاد ٠٠ وفى مناخ كهذا كان من الصعب السماح لجماعة مشبوهة باتجاهاتها الموالية للمحور بان تنشط دون مناوئة من سلطات الاحتلال ٠

واخيرا ادرك الملك ان حكومة عبد الفتاح يحيى يجب ان تذهب فلا هى اخافت الشعب واسكتته ، ولا هى اضعفت الوفد ولا هى ارضت الانجليز ٠٠

واتت حكومة توفيق نسيم باشا ٠٠ وكانت محل رضاء الوفد ٠٠ وعاد دستور ١٩٣٣ واستعدت البلاد لانتخابات جديدة وحدثت انفراجه عامة فعادت جماعة مصر الفتاة لتتنفس من جديد ٠

واتسعت حركة الجماعة وانتقلت من مقرها المتواضع فى حارة القربالة ٠٠ الى « شقة كبيرة فى ميدان العتبة الخضراء ٠٠ وكان يتبع هذه الشقة شرفة كبيرة جدا تتسع لبضع مئات من الجمهور » (٢٥) ٠

ومات الملك فؤاد ٠٠ واتى ابنه الشاب من لندن ٠٠

والان ٠٠ هناك على ماهر باشا فى القصر ٠٠ وهو يؤيد مصر الفتاة بكل حزم ٠٠ ويغدق عليها العون ٠ ويحميها من كل عنت ٠٠

وكان الانجليز فى حيرة من امرهم ٠٠

هم بالضرورة اعداء لحزب الوفد لانه الحزب الذى يستطيع ان يستجمع اكبر قدر من الشعبية فى مواجهتهم ٠ لكن القصر يميل باتجاه المحور تحت تأثير على ماهر والبندارى ويستخدم فى ذلك تنظيمين صغيرين ولكنهما بالغا النشاط ويملآن الشوارع ضجيجا ويمتلكان « ميليشيات » شبه عسكرية هما مصر الفتاة (القمصان الخضراء) والاخوان المسلمون (الجوالة) ٠

ويمكننا ان نلمح خط التفكير البريطانى فى ذلك الحين من متابعة عدد البرقيات السرية التى كانت توجهها دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى وزارة الخارجية فى لندن ٠

يقول لامبسون فى برقية الى ايدن « ولا شك فى أن النحاس باشا

---

(٢٥) احمد حسين _ ايمانى _ ٢ _ ص ١٥٨

يفقد حاليا شيئا من شعبيته .. والخطأ الكبير الذى ارتكبه حزب الوفد وكان سببا فى اضعاف مركزه لدى المصريين هو ضربه لهم فى اكبر نقاط الضعف لديهم وهى جيوبهم ، ولقد شرحت فى تقريرى رقم ٦٠ ، ٧١ فى ١٢ ، ١٥ يناير على التوالى الطرق المتعددة التى استخدمت فى جمع الاكتتابات للدفاع الوطنى فقد ارغم بالفعل جميع الموظفين على ان يكتتبوا بمرتب شهر يخصم منهم مقسطا على مدى عامين ، وحتى افراد الشرطة الذين لا يتقاضون الا مرتبات زهيدة قد استنزفوا بهذه الصورة » (٢٦) .

ويمضى لامبسون فى برقيته قائلا « وقد قال الامير الوصى على العرش خلال حديث له مع السكرتير الشرقى ان الملك (عندما يتولى العــرش) سيسبب المتاعب للوفد ولنا ، ومن جهة اخرى فانه متخوف اكثر من الوفد لان عدم كفاءته واعمــال دهمــائه قد تؤدى الى تطــورات ثورية .. ومن المتوقع ان التصادم سيحدث سريعا عند بلوغ الملك سن الرشد فى نهاية يوليو القادم . ويشاع ان الملك يرغب فى تعيين على ماهر باشا رئيســا للديوان الملكى على الرغــم من معارضــــة الوفد .. ونأمل الا يقــع الملك وعناصر المعارضة فى خطأ اتخاذ اجراءات متسرعة ، كما كان يحدث فى الماضى لان ذلك يفيد الوفد ويوحد صفوفه » .

.. هكذا تتضح بعض ملامح الصورة المعقدة ..

. فالانجليز يخشون الوفد ، ويخشون من « عدم كفاءته » والاهم انهم يخشون « من اعمال دهمائه التى قد تؤدى الى تطورات ثورية » ..

فما هو البديل ؟.. يكتب لامبسون ليشكو الى ايدن من ان زعماء الاقلية « ليس لهم اية شعبية ، ولا يمكن ان يعتد بهم . كما انهم لا يثقــون ببعضهم البعض » (٢٧) .. وكان البــديل هــو محــاولته تقــوية نفــوذ القصــــر .

ويكتب لامبسون الى ايدن مرة أخرى ..

« ان خصوم النحاس يلزمهم بشكل اساسى نقطة تجمع لا تتوفر الا فى القصر . وعلى ما هو حاليــا الذى يحرك القصر من اطــرافه .. وقد تم عمل كل شىء من شأنه جعل الملك الشاب شخصية شعبية ، مثل تأدية صلاة

(26) F.O- 407/221/Lampson to Eden Feb 1937 No. 20?.

(27) Fo-407/221- Lampson to Eden Jul. 1937-No. 902.

الجمعة فى مساجد الاسكندرية والقاهرة ، والمظاهر الملكية الرائعة فى الحفلات والمناسبات الرياضية ، والدعاية ذات التملق الزائف فى الصحافة . واخيرا الزيارة الملكية للوجه القبلى القائمة على اساس البعد عن مراسيم التقاليد لارضاء جماهير المصريين » (٢٨) .

كما ان الوفد يتعرض للانقسام . وبدأ المثقفون يفقدون ثقتهم فيه وفى قدرته ، وخصوصا بعد ان زاد نفوذ كبار الملاك فيه ، ويكتب ســـمارت السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية تقريرا سريا عن « الموقف السياسى فى مصر » يقول فيه « وفى السنوات الاخيرة كان الوفد يفقد بالتدريج العناصر المثقفة .. ان تكوين الوفد الان قد اصبح بدائيا لدرجة ان المثقفين لـم يعودوا ينظرون اليه نظرة جدية .. فالجامعة التى ظلت خلال العقد الاخير عاملا حاسما فى الاضطرابات السياسية ، اصبحت الان ضد الوفد ، واخذ شباب الوفد من المثقفين ينصرفون الى القصر » (٢٩) .

ويكتب لامبسون الى هاليفاكس « القصر فى الوقت الحاضر هو الفيصل فى الموقف السياسى . والقصر اليوم معناه على ماهر .. على ماهر يمثـل دور القصر السياسى فى الوقت الحاضر » (٣٠) .

واكثر فاكثر تتضح الصورة ..

الوفد هو حزب الاغلبية لكن الانجليز يخشونه ويخشـــون من اعمال قاعدته ذات التوجه الثورى . القصر يمكن التعامل معه والاستفادة من شعبية الملك ، من سيطرته على احزاب صغيرة ناشئة ذات ثقل ما وسط الشباب .. لكنه على علاقة ما بالمحور .. وكذلك تلك الاحزاب التى يؤيدها ..

وبين النارين تقف السياسة البريطانية .

لكن ما يهمنا فى هذه الدراسة هو ان وصول على ماهر الى القصر كان دليلا اضافيا عند الانجليز « على علاقته بأحمد حسين ومصر الفتاة . تلك العلاقات التى كانوا على علم بها من قبل . ذلك ان مصر الفتـاة كانت

---

(28) F.o. 407/2?1- Lampson to Eden Feb. 1937 No. 209.

(*) راجع لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع : د. جمال الدين المسدى ـ د. يونان لبيب رزق ـ د. عبد العظيم رمضان ـ مصر والحرب العالمية الثانية ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ مؤسسة الاهرام (١٩٧٨) ـ ص ١١٧ .

(29) Fo.-407/221 - inclouser 51. i.N. No. 222-Kellern to Eden oct. 28-1937

(30) Fo.-407/222 - Lampson t- Helifax May 6-1938 No. 510

من الادوات التى استخدمت فى التخلص من وزارة الوفد فى أواخر ١٩٣٧ ٠ وكان عز الدين عبد القادر عضو مصر الفتاة هو الذى اطلق الرصاص على النحاس قبل اقالة الوزارة وقد عبر النحاس للسفير البريطانى عن اعتقاده بان على ماهر ضالع فى محاولة اغتياله » (٣١)

والحقيقة ان أحمد حسين لم يحاول أبدا أن يخفى علاقته الوطيدة بعلى ماهر ٠٠ فهو يكتب فى ايمانى :

« وكانت وزارة على باشا ماهر ٠ وعلى باشا ماهر رجل من رجالات مصر النابهين ٠ وهو قد بين رجال الجيل القديم ٠ ولقد بادر بمناصرة مصر الفتاة منذ اليوم الاول الذى طلبت منه نصرته ٠٠٠ وقد استطاعت مصر الفتاة ان تتنفس الصعداء فى ظل وزارته لاول مرة فى تاريخها ، فرحنا نجتمع فى حرية ، ونجوب البلاد فى حرية ايضا ٠ وسرعان ما اشتد نشاط مصر الفتاة فى كل مكان ، فتألفت الشعب ، واقيمت الاجتماعات العامة ، ودعيت للخطابة فيها فى سرادقات تتسع للآلاف من المستمعين وبدأت روح مصر الفتاة تسرى فى كل مكان » (٣٢) ٠

والشىء الغريب الذى يتعين على الباحث أن يتوقف عنده هو ذلك التشابه الغريب فى عملية نشـوء كل من جماعتى مصر الفتاة والاخوان المسـلمين فكلاهما نشأت صغيرة ضعيفة ، وكلاهما توجهت نحو القصر وضد الوفد ، وكلاهما اقتربت بقدر ما من خطوط الدعاية للمحور ، وكلاهما ايضـــا انطلقتا فى موجة نشاط عارم بفضل مساندة وتأييد ودعم شخص محدد ٠٠ هو على ماهر ٠

على ماهر الذى اكدت ادلة متراكمة انه كان لفترة ما يتلقى دعما ماليا من المخابرات الالمانية وعن طريق بنك درسدنر الالمانى بالتحديد (٣٣) ٠



تبقى بعد لك نقطة لمسناها برفق اكثر من مرة ٠٠ ولابد لنا من ان نلمسها مرة اخرى وبرفق شديد ٠٠

---

(31) Fo. 409/281- Lampson to Edin Tel No. 156 Dec 31-3937

(٣٢) احمد حسين — ايمانى — ط ٢ — ص ٢٢٥

(٣٣) جورج كيرك — موجز تاريخ الشرق الاوسط — ترجمة عمر السكندرى — ص ٣٤ ٠

التمويل .. ذلك هو محور السؤال الذى ظل يحاصر احمد حسين منذ نشأته وحتى نهاية حزبه .

يقول أحمد حسين أنه عندما قابل النحاس باشا سأله أول ما سأله من أين له المال الذى ينفقه ؟

ويقول انه عندما مثل امام النيابة سئل « من اين لنا المال . المال ودائما كان وبقى منذ ذلك التاريخ أول ما يسال عنه من يريد اثارة الريبة فى مصر الفتاة . من اين لها المال الذى تنفق منه على هذه الدعاية الواسعة .. » (٣٤)

وثمة اقاويل كثيرة .. يرد بعضها حتى فى دراسات أكاديمية يفترض فيها الدقة « كانت مصادر المالية للجماعة (مصر الفتاة) اشتراكات الاعضاء (٥ قروش شهريا) ، والمجاهدين (١٠ قروش شهريا) اعضاء مجلس الجهاد (١٠٪ من الدخل) بالاضافة الى هبات الشخصيات السياسية البارزة والقصبيير » (٣٥)

ولا يترك أحمد حسين الامر دون تفسير ..

وفى بعض الاحيان كان يقدم تفسيرات ساذجة ..

فعندما دهش البعض من شرائه سيارة وهو شاب حديث التخرج قال ان صديقا اهداها له » (٣٦) ورفض الكثيرون ان يصدقوا تفسيرا كهذا ..

وفى أحيان أخرى يحاول أن يقدم تفسيرات سياسية فاذا بها تتحول فى نظر البعض الى ادلة ادانة ، تحيط كل الجماعة وكل توجهاتها بعلامات استفهام ..

يقول احمد حسين .. أو لعله يعترف .. « فى هذه الاثناء (٣٥ ـ ١٩٣٨) اقترب منا اشخاص من كل طراز ، وعلى كل صنف واقترب منا وزراء سابقون واعضاء فى احزاب . واتصلنا بمختلف الهيئات والجماعات نتعرف على اسرار الحياة المصرية ، ونقف على شئونها .. وكان الإضطهاد يصاحب مصر الفتاة ، تطاردها الحكومة ويقاومها الوفد . وكنا نرحب بالمعونة نتلقاها من اى ناحية ، ونتلمس مظاهر التأييد . وكانت الحركة دائما ابدا فى حاجة

(٣٤) ايمانى الرجع السابق ص ٨٩ .
(٣٥) آمال السبكى ـ المرجع السابق ص ٦٨ .
(٣٦) احمد حسين ـ ازهار ـ المرجع السابق ص ٤٠٥

الى المال ، وكانت وسيلتنا لجمع المال ان نقنع بعض الاغنياء والمشـــتغلين بالسياسة باعانتنا لمصلحة الوطن والامة · وطرقنا عدة أبواب وكان من بين هذه الابواب علويه باشا محمد محمود باشا ،و وبهى الدين بركات باشا ، وكان على رأس هؤلاء حماسه ورغبه فى تأييد مصر الفتاة على ماهر باشا ويليه محمد محمود ثم بهى الدين بركات · وهكذا مضت مصر الفتاة تشق طريقها وتواصل كفاحها · وفى هذه الاثناء تلخصت العقبة التى تعترض سير الايمان الجديد فى الوفد ·· فكان هؤلاء اعواننا على صرعه والتغلب عليه وازاحة البلاد من كابوسه · وكانوا اعـواننا على تحقيق هـذه الفـكرة وخاضوا المعركة الى جوارنا فى هذا السبيل كل بأسلوبه ، فى دائرة قدرته . ولم يكن يهمنا فى ذلك الوقت تفاصيل ما يعملون ، ولا الاهداف التى يسعون الى تحقيقها لانفسهم من هدم الوفد ، ولم يكن يعنينا اذا كانوا مخلصين فيما يوجهونه من اعتراضات للوفد أم لا » (٣٧) ·

·· ولا تعليق · فالكلمات ليست بحاجة الى تعليق · ومصادر الاموال الان واضحة تماما واهداف التمويل ايضا واضحة ·· فقط نريد ان نلفت النظر الى أن هؤلاء الاشخاص كانوا فى أغلبهم من عتاة الرجعيين ومن المقربين من السرای والاحتلال ·

فقط ياعزيزى القارىء ارجوك ·· ضع علامة على هذه الصفحة من الكتاب ·· وكلما تعثرت فى فهم شخصية أحمد حسين أو فهم بعض مواقفه المتناقضة ·· عد الى هذه الصفحة واقرأ هذه السطور السابقة وتذكر انها كلمات أو بالدقة اعترافات أحمد حسين نفسه ·

---

(٣٧) مصر الفتاة ١٩٣٩/٦/٢٢ · سلسلة مقالات لاحمد حسين بعنوان « من أجل الله والوطن ومن أجل الملك » ·

ثانيا :

الرجل والأفــــكار
المصرية الفرعونية ـ الفاشية
الاسلامية ـ وأيضا الاشتراكية ··

هل يمكن أن تتخيل كيانا مشدودا الى أربعة جياد قوية كل منها يحـاول ان يسرع باتجاه مضاد للاخر ٠٠ النتيجة الوحيدة لحالة كهذه هي اما التمزق ٠٠ واما التجمد المهتز بين هذه الاتجاهات وتلك دون تحقيق تقدم ما فى اى اتجاه .

والآن ٠٠ هل يمكن تطبيق هذا الوصف الادبى على حالة حزب سياسى تراوحت مواقفه بين مواقع ايديولوجية متناقضة ٠٠ انتمى الى كل منهـا ، فابتعد فى الواقع عن كل منها ؟

أم ان الامـر لم يكن تراوحا بين المواقف وانمـا هو مجـرد افتقـاد للانتماء اليقينى مجرد استخدام للكلمات الرائجة والتقلب مع الموج صعودا مع الصاعدين وتخليا عن كل من يهبط ؟

٠٠ أم هى شيـمة البرجوازى الصـغير ٠٠ المتلونه ، والتى وقبل ان تقترب من مدخل الحظيرة تبحث عن مخرج للهرب اذا اصبح الهرب ضرورة ؟ ٠ هذا ما سنحاول فى الصفحات القادمة تأمله ٠٠ بحثا عن الاجابة الاقرب ٠٠



لكننا وقبل أن نفحص الموقع الفكرى للجماعة (مصر الفتاة) وللرجل (أحمد حسين) ،نتوقف قليلا لنتساءل من هو ؟

هذا الرجل الذى كتب عنه أحد اتباعه كتابا ورفض ان يكتب عن الجماعة مبررا ذلك بقوله « هـذا ما جعلنى اكتب عن أحمد حسـين ، ولا اكتب عن مصر الفتاة او الحزب الاشتراكى مثلا ، لان فكرة أحمد حسـين امتزجت بشخصيته امتزاجا كليا ٠٠ وأصبح من العسـير أن اخرج الفكرة وحدهـا واجليها للناس بعيدا عن القائد ، بل أصبح من المستحيل أن اصـنع هذا ، فالفكرة اختفت فى شخصية أحمد حسين المتعددة الجوانب دونما تضـيع شخصية القائد طاغية او اكبر من فكرته ، تختفى فى أطوائها كل الافكار التى ينادى بها ، والدعوات التى يدعو اليها ويرى المؤرخ نفسه مضطرا الى ان يكتب عن القائد نفسـه .. وفى خلال ذلك سيكتب عن الحركات التى يدعـو اليها » (١) وهو يفاخر ايضـا بانه .. كان يحلو له أن ينادى « أحمد حسين بأبى الروحى » ٠٠ (٢)

---

(١) عبد العزيز الدسوقى ــ المرجع السابق ــ ص ١٤

(٢) المرجع السابق ــ ص ١٥ ٠

وأحمد حسين نفســـه يقرر أمام النيابة فى صراحة غريبـــة وربما فى كبرياء « ان الحزب الاشتراكى فى حقيقته ليس حزبا بالمعنى المفهوم ، وأنه حمل عبء الكفاح فيه طوال ثمانى عشر سنة منفردا تقريبا ، فهو الذى يكتب ، وهو الذى يخطب ، وهو الذى يحاكم ويسجن فيرتسم أمام الناس أن هناك نشاطا حزبيا واسع النطاق ولكن الحقيقة أن الامر لم يزد طـــوال هـــذه السنوات العديدة عن هذا النشاط الفردى » (٣) .

وحتى فى روايته الثلاثية يكتب عن نفسه بلسان زوجته « ارجوك أن تدع هذه اللهجة والتستر وراء القرارات ومجلس ادارة الحزب .. انك أنت كل شىء ، وما تريده يريدونه وما تقرره يقررونه ، ولو قلت لهم غدا انك عدلت عن الرحلة لانك وجدت المصلحة فى عدم القيام بها لهللوا وكبروا »(٤)

وبعيدا عن « الرواية » .. وفى كتابه المحبب الى قلبه « ايمانى » يتحدث عن جماعته وعن نفسه قائلا « ما هى مصر الفتاة ؟ أيها الســـادة ، أهى جمعيـــة ؟ أهى حـــزب ، أهى جيش ؟ أهى ثـــورة ؟ أهى حركـــة ؟ أم هى فكرة من الفكر ؟ قد تكون جمعيـــة مصر الفتاة مزيجـــا من كل ذلك فى الظاهر .. ولكنها فى نهاية الامر ليست الا ايمان شاب .. ليست الا ايمانى ! الذى نشأت عليه ودرجت عليه ، اختلط بلحمى وعظمى وسرى فى شرايينى سرى الحياة » (٥) .

.. هل هى الحقيقة ! أم المبالغة فى تقدير الانسان لدوره ؟ ذلك جزء من بحثنا .

لكن أى اقتراب سياسى فاحص لشـــخصية احمد حســـين يجعلنا فى حيرة .. فمن يكون ؟ والى أية فكرة ينتمى ؟ ويحاول مؤرخ المدافع عنـــه بحماس أن يقدم اجابة ما . لكنها لا تزيد الامور الا غموضا أمام الفحص المحايد ، ولعلها لدى أى قدر من التأمل تمثل تقييما سلبيا « للزعيم » الذى توله « المؤرخ » فى حبه . فيكون ايرادها على لسان اتباعه دليلا اضـــافيا الى نوعية الانتماء ونوعية فهم المغزى الحقيقى للانتماء ..

---

(٣) محضر تحقيق النيابة مع احمد حسين فى قضية حريق القاهرة ص ٢٥٣ جزء رابع من ملف ١ .

(٤) احمد حسين ــ واحترقت القاهرة ــ المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٥) احمد حسين ــ ايمانى ــ المرجع السابق ــ ص ٢٥ .

يقول عبد العزيز الدسوقى وربما بعد أن شعر انه عاجز عن تصنيف زعيمه وتحديد موقعه .. « بعد كل هذا أستطيع ان أقرر أن أحمد حسين ليس وطنيا يدعو الى التعصب الوطنى ، وليس رجل دين يدعو الى جعل الاسلام اســاس الحكم . وليس اشتراكيا يؤمن بالتحليل المادى للتاريخ . وليس عالميا يدعو الى الاخوة البشرية » .

وهكذا بالنفى وليس بالايجاب تناول المؤرخ موقــع زعيمه .. فأين وضــعه بعد أن نفى عنه صــفات الوطنية ـــ ورجل الدين والاشــتراكية والعالميــة ؟

« انما هو عبقرى .. اداته العمق والشمول فى الدراسة ـــ هذا هــو ايمانه الموحد وجوهره المتوحد ، ونفسه المتحدة ، ولذلك يجب لمن يريد ان يحكم على احمد حسين أن ينفذ الى هذه المنطقــة ليعرف أنه ثــابت وليس متقلبا كما يحاول خصومه أن يصفوه » (٦) .

.. هل استطاع الرجل أن يدافع عن زعيمه ؟ وهل برر بشكل مقبول او نصف مقبول تنقله بين الافكار والمواقف . وهل « العبقرية » وهل الفاظ مبهمة من « ايمانه الموحد » و « جوهره المتوحد » و « نفســه المتحدة » يمكنها أن تفسر شيئا او تقنع احدا . ؟

لست أعتقد ذلك ..

فماذا اذن لو حاولنا أن نفحص الجانب الشخصى فى تكوين الزعيم ؟

هنا نستشعر الحرج . ولقد تكون مهمة الكاتب والمؤرخ معــا فحص الجوانب الشخصية بحثا عن المبرر والسبب والاساس . ولقد تكون المواقف السياسية والاجتماعية مجرد تداعيات للتكوين الشخصى للزعيم أو القائد !

لكن هذا الفحص محرج بقدر ما هو ضرورى .. وليس أمامنا سوى أن نحاذر الاقتراب منه الا بقدر يسير ، وحتى هذا القدر يسير ، وحتى هــذا القدر اليسير سنتركه للزعيم نفسه ، فى محاولاته المتعددة للحديث عن نفســه بهذا نقدم جانبا من الصورة .. ونتلافى الحرج .

(٦) عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩

كيف يرى الانسان نفسه ؟

هذه مسألة مهمة ولعلها بذاتها كافية لالقاء ضوء على مختلف الجوانب الاخـرى ...

احمد حسين يكتب فى « ايمانى » قائلا « كانت شهرتى كشاب نابغ (!) عامل تسبقنى فى كل مكان أصل فيه ، فلا أرى الا الاعجاب والتقدير ومبادرة الكل الى معاونتى على تحقيق ما أريد » (٧) .

وهو يقول عن نفسه « عندما صرخنا صرختنا الاولى منذ سبعة عشر عاما ... كان سلاحنا فى ذلك قلوب قوية وعزائم حديدية تستهين بالسجن وبالموت فى سبيل القيام بالواجب وها أنذا بعد سبعة عشر عاما من هـذه الصيحة انظر الى اعماق نفسى فأرى قلبى وقد قد من حديد .. وأنظر الى عزيمتى فاذا بها صلب وفولاذ » (٨) .

لكن أحمد حسين يصف نفسه أيضا بلسان آمال فى روايته ازهار وهى تهنئة بعد كسب الجولة فى مناظرة اشترك فيها « مبروك يا أسـتاذ فوزى (أحمد حسين) على النجاح الباهر ولكنى لا اكتمك اننى منضمة الى الاستاذ محيى وأوافقه على قوله من انك كسبت الجولة بالتهويش والمغالطة واستغلال الناحية العاطفية فى الجمهور ، وحساسيته من ناحية الدين » (٩) .

هكذا وبصراحة تامة يكشف أحمد حسين أسلحته فى مخاطبة الجمهور .

بل انه يتحدث عن نفسه وبلسانه شخصيا فيكول موجها فى « ازهار » الحديث الى امال « من الواضح أنك جئت اليوم تعتزمين أمرا ، انك تعرفين حماقتى وسرعة تهيجى واندفاعى » (١٠) .

وأحمد حسين يؤمن بدور بالغ الاهمية للعاطفة والاحاسيس العاطفية ، ولهذا فقد كان يوجه كل حديثه نحوها ونحو استثارتها فهو يتصور « ان العاطفة هى كل شىء فى حياة الامم ، وما الاستقلال والمجد والعزة الا مجموع عواطف الشعب متخذة هذه الصورة المادية » (١١) .

---

(٧) أحمد حسين ـ ايمانى ـ ط ٢ ـ ص ٩١

(٨) الاشتراكية ـ ١٩٥٠/٧/٢٦ ـ مقال احمد حسين .

(٩) أحمد حسين ـ ازهار ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٩ .

(١٠) المرجع السابق ـ ص ٤٢٦ .

(١١) عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ـ ص ٤٢ (من خطاب احمد حسين يوم افتتاح مصنع الطرابيش) .

وهو يقول ايضا فى عبارات مبهمة « مصر الفتاة يا حضرات المستشارين هى صرخة فى عالم مضطرب ينحدر نحو الهاوية ، أو هى ناقوس اليقظة فى مجتمع خامل منحل وهى نداء المجد لشعب الف الخنوع والمذلة » (١٢)

ومن هنا كان قول منتقدى أحمد حسين بأنه « خاطب الاحاسيس دون الافكار » (١٣)

لكننا بذلك نبتعد عن المكونات الشخصية للزعيم فلنعد اليها .. ولنترك حديثه عن نفسه الى حديث الاخرين عنه ·· أورد منه مجرد نماذج نتحاشى فيها التحليل وانما نركز على الوقائع المحددة تاركين تفسيرها والبحث عن مدلولاتها لغيرنا ..

« حضرة صاحب السعادة عبد المجيد عبد الحق باشــا شــهد أمام النيابة (فى قضية حريق القاهرة) بأنه فى اجتماع للجنة الكفاح تمت الموافقة على وضع الكتائب تحت اشراف الحكومة (فى عام ١٩٥١) لكن أحمد حسين بعد ان وافق قال يجب أن يكون مفهوما ان هذا المبدأ وهو وضع الكتائب تحت اشراف الحكومة وان كنت مؤمنا به . ولكن سأهاجمه فى صحيفتى فقال له الشاهد (عبد المجيد عبد الحق) كيف تهاجم مبدأ أنت تقره ، فقال أنا رجل جورنالجى ، أنت عايز أقول الكلام ده لبتوع الشوارع علشان يموتونى » (١٤)

اما فتحى الرملى فيكتب أن أحمد حسين كان « يشترى فى كل أسبوع قصيدة من عبد الحميد الديب يكتبها عن « جهاد الرئيس » أو « بطولة الزعيم » أو فى أى موضوع من هذا القبيل يحدده له أحمد حسين نفسه (وتنشر هذه القصائد فى مجلة الحزب) ، ولعل من باب الطرافة حقا ، ان شبان هذا الحزب ايضا ، كانوا يكلفونه باعداد بعض القصائد عنهم وعن بطولتهم اسوة بالرئيس ، فكانت عنده قصيدة معينة اسمها « الجندى المجهول » ، ولم يكن عليه الا ان يغير الاسم كل مرة ويبيعها باسم جديد حتى أصبح جميع شــبان الحزب جنودا مجهولين » (١٥) .

---

(١٢) مرافعات الرئيس احمــد حســين فى عهــد حكومة الوفــد ـ المرجع السابق ص ٢٢ ·

(١٣) د· سيد عشماوى · تاريخ الفكر السياسى المصرى (رسالة دكتوراه غير منشورة) (١٩٧٧) ص ٢٤٩ ·

(١٤) جمال الشرقاوى ـ حريق القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة (٧١٩٦) ـ صـ ١٥٠

(١٥) فتحى الرملى ـ شعر الحرمان ـ ص ٢٣ ·

هذا فى مجال الوقائع فماذا عن تحليل المواقف ..

يقول د عبـد العظيم رمضـــان ، « وتعتبر تقلبـات أحمـد حسـين السياسية والسريعة فى بعض الاحيان أحد المعالم البارزة فى حياته ، حتى انه فى أولى مراحل حياته السياسية قطع المسافة من أقصى الاعتدال ، الى أقصى التطرف فى فترة قياسية لا تتجاوز سنتين فقط » (١٦) .

وحتى كاتب اشتهر بين الجميع بالدقة والحيادية والترفق فى اصدار الاحكام هو محمد زكى عبد القادر يكتب قائلا « انتقل الصراع السياسى الى نطاق جديد لم يؤلف فى الحياة المصرية من قبل هو محاولة التأثير بالاهداف البراقة المظهر والاعتماد على التنظيمات شبه العسكرية والتعصب للفكـرة لا تعصب الاقتناع ولكن تعصب العاطفة المبهورة بالبريق الناتج من روعة الاهداف الغامضة ، غير المحددة ، كمجد الاسلام والعروبة » (١٧) .

.. على أية حال فان الهدف من هذه الصفحات ليس تقييم شـــخص أحمد حسين ولا جماعة مصر الفتاة وانما فقط افسـاح المجال للقارىء كل يقترب بفهم أوضح من التوجهات الفكرية المتناقضة التى دعا اليها وتحمس لها أحمد حسين الذى حاول أحد اتباعه تعريفه قائلا انه :

« أحمد حسـين رئيس حزب مصر الفتاة ..

« أحمد حسين رئيس الحزب الوطنى الاسلامى ..

« أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى ..

« أحمد حسين الذى يدعو الى بعث المجد الفرعونى ..

« أحمد حسين الذى يدعو الى الامبراطورية العربية المتحدة ..

« أحمد حسين الذى يدعو الى زعامة الامة الاسلامية ..

« أحمد حسـين الذى يدعو الى النظم الاشتراكية ..

« أحمد حسين الذى يدعو فى نهاية المطاف الى الاخوة العالمية .. » (١٨)

.. كيف تأتى ذلك ؟

هذا ما سـنحاول بحثه .

---

(١٦) د٠ عبد العظيم رمضان ٠ المرجع السابق ــ ﺟ ٢ ــ ص ١٧٦

(١٧) محمد زكى عبد القادر ــ محنة الدستور ــ ص ٨٧ ٠

(١٨) عبد العزيز صدقى المرجع السابق ص ٢

المصرية ·· الفرعونية

« دوى البوق مؤذنا بميعاد انزال العلم .. ولست أرى أن فى الدنيا بأسرها ما يخفق له الفؤاد كرؤية علم الوطن العزيز بعيدا عن العمران والمساكن .. العالم يصبح مصدرا الحياء والقوة والسعادة ، فهو يؤنسك فى وحدتك ، وهو يشجعك ويشد أزرك .. ولست أحسب أن موسيقات الدنيا بأسرها لو أنها عزفت تكون أشجى على النفس والروح من حفيف العلم وهو يرفرف فوق الرؤوس ، ولذلك فقد وقفت لأول مرة فى حياتى أمام العلم كأننى فى صلاة .. » (١)

« جلسنا أمام هذه البوابة الشامخة (بوابة معبد الكرنك) .. كنت مبهورا ازاء هذا الجلال وهذا الشموخ الذى يملأ النفس احساسا بالعظمة والقوة .. قوة هؤلاء الذين رفعوا هذه الاحجار فأصاروا هذه الجدران المتسامية نحو السحاب وأقاموا هذه البوابة الشمخة الرائعة .. هذا المكان وقفت فى ظله يوما من الايام عشرات الالوف من الناس تلتمس البركة وتدعو الله .. هذا المكان الذى شاهد جيوش مصر الظافرة تروح وهى ممتلئة بالقوة والحماسة وتعود وهى تهزج أهازيج النصر .. والذى شاهد ملوكا تجىء من آخر الدنيا مصفدة بالاغلال لتقدم خضوعها للامبراطور المصرى .. فاذا باحساسات قوية تغمرنى .. فأخذت أهتف من الاعماق بصلاحبتى بعض الرفاق ..

سودى على رغم الزمن	يامصر يا نعم الوطن
دوسوا العدا يوم الردى	لبوا الندا كونوا فدا

.... وفجأة اذا بى أرى نفسى فوق صخرة من هذه الصخور المبعثرة هنا وهناك ووقفت خطيبا أخطب الزملاء .. هذه العظمة التى تحيط بكم ليست غريبة عنكم .. هؤلاء الذين شادوا كل ذلك قد أورثوكم عزمهم وقوتهم . ومصر التى حملت لواء الانسانية فى يوم من الايام يجب أن تبعث من جديد كما تعيد سيرتها الاولى وأخيرا يجب أن ننفض عنا غبار الخمول والكسل .. ويجب أن نملأ أنفسنا ايمانا وعزما .. يجب أن نتذرع بالشجاعة والقوة ..يجب أن نعمل وأن نعمل حتى نبعث مصر بكل قوتها بكل عظمتها » .

---

(١) أحمد حسين ـ ايمانى ـ ط ٢ ، ص ١٢ .

واخذ الفتى الشاب ينشد بحماس دافق .. الابيات السابقة ..

سودى على رغم الزمن   يا مصر يا نعم الوطن

« لقد كان انشادى لها من قبل تمثيلا وغناء وتسلية ، أما الان فقد كنت اقولها وهى تخرج من اعماق قلبى كنت أغنيها وانا أؤمن بكل حرف . حروفها .. وانا ارفع ذراعى ورأسى مقسما ومعاهدا .. لقد بعثت ، لا بعثت ، وهكذا يجب أن يبعث كل شــاب فى مصر .. لقـد خلقت خلقا جديد ، وهكذا يجب أن يخلق كل شاب فى مصر .. لقد كنت انظر الى أعمدة الكرنك وآثاره لا على اعتبار أنها آثار بل كأنها شىء حى يتكلم .. وكأنما اتلقى الاوامـر والتعليمـات وقد كان كل متر من الارض .. كل شبر يحدثنى عن القوة والمجد .. وكنت أرى الجيوش المحتشـدة التى سارت خلف تحتمس ورمسيس والتى فتحت دنيا ذلك الزمان .. وكنت اسمع اهازيج الانتصار واتمثل النور الذى كان يسطع من هذا المكان .. وفى كل لقد بعثت .. لقد بعثت .. ولقد صرت مخلوقا جديدا » (٢)

هكذا كانت البداية ..

هكذا فى بهو الاعمدة بالكرنك ، ووسـط الشـموخ الفرعونى المليء بالعظمة ، انسكبت فى أعماق الفتى أحلام المصرية الفرعونية ..

وهو يعود فيؤكد ذلك فى روايته ازهار « بدأ هذا الانقلاب الجديد فى حياة فوزى (أحمد حسين) عقب اشـتراكه فى رحلة كشـفية الى الاقصر وأسوان ولم يكد يرى اعمدة الكرنك الرهيبة فى ضوء القمر حتى وجد نفسه يندفع فى غير وعى فيعتلى احدى الصـخور ويخطب فى اخوانه لاول مرة مرتجلا : على ابناء هذا الجيل أن يكرسوا حياتهم لبعث مجد مصر القديم للعودة بمصر قائدة وسيدة وزعيمة العالمين » (٣) .

. منذ مصطفى كامل لم تنسكب فى آذان مصر نغمات وطنية دافقة كهذه .. والفارق أن مصطفى كان يستصرخ أمة تكاد أن يكون مغشيا عليها والفارق أن أحمد حسين التقط أيضا خيط الفرعونية .. فمزج المحبة الدافقة التى تغمر قلوب المصريين ازاء وطنهم .. بمجد عريق القدم بالغ العظمة والبهــاء ..

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٣) أحمد حسين — ازهار — ص ١٣ .

وعندما أصدر « الصرخة » (المجموعة الاولى عام ١٩٣٠) وجه حديثه في العدد الاول منها تحت عنوان « طريقنا الى العظمة فقال « يا شـباب النيل ، ويا سلالة الفراعنة يا أحفاد المجد ، ويا أرباب العبقرية ، هذه الاهرام تظلنا ، وهذا أبو الهول يرمقنا ، وهذه الراية ترف فوقنا ، وها هى الشمس تلهب نفوسنا كلها . تسألكم لماذا تخليتم عن الزعامة بين الامم ، هل كللتم ، أو أصابكم الملال أم استسغتم طعم الذلة والهوان ؟ فدوى صوت الجموع لاجبار صارخا كلا والنيل والاهرام ، سنعيد المجد وندرك أسباب السماء » .

وينادى أحمد حسـين فى نفس المقال الملتهب حماسـا « بمليشـيا فرعونية » .. مؤكدا انه بهذه الطريقة استقلت الممالك وارتقت » (٤) .

ومصر عند أحمد حسين هى ؟

« مركز العالم ومعلمة الانسانية وأم الحضارات وهى منبع الحكمة وموئل الاديان جميعـا . فمنها خرجت الديانة الموسـوية ، وبها احتمت المسيحية ، وهى التى رفعت لواء الاسلام عاليا .. وهى التى حـاربت أوربا الصليبية فهزمتها وأسرت ملوكها ، وهى التى انقذت المدنية والعـالم من شر التتار والمخربين ... وهى التى ستصـبح فوق الجميع ورغم أنف الجميع » (٥) .. وباختصار كان أحمد حسين « يرى أن مصر يجب أن تكون هى العليا ، وما عداها لغو لا يعتد به » (٦) .

... ولقد يتصور البعض فى هذه النفحة الوطنية الدافقة قفزا فوق الواقع المرير . فمصر التى هى فوق الجميع .. ونحن المصريين « أسـياد العالم قديما » .. ونحن الذين علمنا الانسانية العلوم والنور ، نحن الذين حملنا مشعل الحضـارة » (٧) انما نعيش فى بلد محتـل ، والانجليز جاثمون فوق صدره وصدورنا ، والاجانب يهيمنون على كل مرافق حياته وحياتنا .. ويصبح الحديث عن « العظمة » تخطيا للواقع وابتعادا عنه ، وطموحـا حالما بل لعله هروبا ..

(٤) الصرخة ـ ١٩٣٠/٣/٧ .
(٥) عبد العزيز الدسوقى . المرجع السابق ـ ص ٣٧
(٦) د. عبد الرحيم مصطفى ـ تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة (١٩٧٣) ص ٨٢ .
(٧) أحمد حسين ـ ايمانى ـ ط ٢ ص ٢٥٢ .

وكانت هذه معركة أحمد حسين الاولى .. فهو يريد أن يستمر متغنيا بأناشيد العظمة متجاهلا أى حديث عن الاحتلال .. راغبا عن الاصطدام به .. لكن زميله فتحى رضوان يمسك بيده عنوة ويضعها فوق الجرح الدامى فى قلب الوطن .. ويدفعه دفعا لان يربط بين معركة اقناع المصريين بعظمة وطنهم وبأن مصرهم هى سيدة العالم وفوق الجميع بمعركة الهجوم على الاحتلال وعلى الاجانب ..

وتخرج الصرخة .. لتكشف حقيقة الحال .

« الاراضى المصرية مرهونة للاجانب — رؤوس الاموال المصرية جلها ملك للاجانب — الديون المصرية كلها فى يد الاجانب . التجارة المصرية فى يد الاجانب — البرلمان المصرى قاصر عن التشريع للاجانب — القضاء المصرى قاصر عن الحكم على الاجانب — تجارة السموم فى مصر يروجها الاجانب — البوليس المصرى قاصر عن ايقاف المجرمين الاجانب — الحكومة المصرية قاصرة عن فرض ضريبة على الاجانب — الشعب المصرى لا يحترمه الاجانب .. هــذا هو ما يهدم السيادة القومية ، هذا هو ما يسد علينا طريق الحياة ويعرقل الاصلاح — هذا هو ما يؤخرنا عن بلوغ المجد » (٨) .

وهو يدعو المواطنين الى كراهية الاحتلال .. والى الغضب .
لكن كيف ؟ وبأية وسيلة ؟

هنا يقف احمد حسين حائرا فهو يكتفى بكلمات مجردة .. لا تحــرر وطنا ، ولا تحرك شعبا ..

« ســنكره الاجانب حتى يتنــازلوا عن امتيــازاتهم » (٩) « ثم هو يدعــو اليونانين فى مصر الى التنــازل عن امتيــازاتهم ليقــدموا البرهان على حسن نواياهم » (١٠) .

وعندما يشن هجماته على بيوت المال الاجنبية لا يلمس جرح الاستغلال ولا جرح الهيمنة على مقدرات الوطن وانما يضرب فى الظل .. فيما لا يجدى « ففى مصر ما يزيد على خمس آلاف بيت من البيوت الاجنبية ، ما بين بنوك وشركات ودور تجارة وصناعة . وهذه كلها لا تعرف العربية فى معاملاتها

(٨) الصرخة ١٩٣٣/١٢/٢ .
(٩) الصرخة ١٩٣٣/١٠/٢٤ .
(١٠) الصرخة ١٩٣٤/١/٦ .

وتحتقر كل ما هو مصرى ، وكل ما هو عربى ٠٠ ارغموا هذه البيوتات على الا تتعامل بين المصريين الا بالعربية ٠ ارغموها بقوة الرأى العام ٠ يجب ان نقاطع هـذه الشركات التى لا تتفاهم معنا بالعربيـة ، يجب أن نتجاهل اللغات الاجنبية حتى ولو كنا من اربابها ٠٠ وعندها فستوجد الوف الوظائف تكون من حق المصريين المشروع » (١١) .

واقصى عمل ايجابى اســتطاع أحمد حسين أن يسـتخلصه من كل الصراخ المنفعل ضد الاجانب والاحتلال والتغنى بعظمة مصر وضرورة أن تكون فوق الجميع ٠٠ اقصى عمل اسـتطاع احمد حسـين أن ينادى به هو « مقاطعة السجائر الاجنبية والعدول عن دور الســينما الاجنبية الى دور السينما المصرية » (١٢) .

وحتى عندما تفجرت الحركة الوطنية فى صـــورة جماهيرية عنيفة فى عام ١٩٤٦ ٠ ظل أحمد حسين ممعنا فى الابتعاد عن الوســائل الصحيحة لتحرير مصر .. فهو تارة يتعلق بعرض القضية أمام مجلس الامن ٠٠ أو بمخاطبة الرأى العام الامريكى .. أو حتى بالمناداة « بالغاء اللغة الانجليزية والفرنسية من مدارســنا ، لانه من العبث أن نعلم اولادنا ثقافة اعدائنـــا ولغة اعدائنا » (١٣) .

ولقد بذل اعضاء مصر الفتاة جهدا كبيرا لتفريغ الحماس الوطنى فى ذلك الحــين باتجاه احراق الكتب الدراســية الانجليزية والفرنســية فى مهرجانات كبيرة ..

لكن أحمد حسين يعلن « أن طرد الانجليز والقذف بهـم فى البحــر هو غايتنا » (١٤) .

مرة أخرى .. كيف ؟

يحاول احمد حسين الاجابة « واذا سألنى سائل وكيف نحقق المطالب القومية ؟ أو كيف نحقق وحدة وادى النيل ؟ وكيف نجلى الانجليز عن بلادنا قلنا له اننا يتحقق ذلك عن طريق الشجاعة والجرأة والاقدام » (١٥) .

---

(١١) الصرخة ١٩٣٣/١٠/٢٨ ٠

(١٢) الصرخة ١٩٣٣/١٢/٢ ٠

(١٣) احمد حسين ـ الخطاب الوطنى الذى منعت الحكومة القاءه فى المؤتمر الوطنى بشكنات قصر النيل ١٩٤٧ (القاهرة ١٩٤٧) ص ٢٤ ٠

(١٤) المرجع السابق ـ ص ٨ ٠

وهكذا فاذا كان اليمين المصرى منغمسا فى لعبة التفاوض مع الاستعمار ، واليسار المصرى يرفع أعلام الكفاح المسلح ضد الاحتلال .. اما احمد حسين فهو فى الخطب يدعو الى كلمات مجردة ، لا يمكن الامساك بها مثل « الشجاعة والجرأة والاقدام » ومثل « الغاء الامتيازات الاجنبية بجرة قلم » .

وفى الواقع يكتفى بالدعوة لمقاطعة السجائر ودور السينما الاجنبية .. وعرض القضية على مجلس الامن ، أما الخطوات العملية .. فكانت رحلة سياحية طويلة .. الى أمريكا ليقنع الرأى العام هناك .. ثم احـــراق الكتب الانجليزية ..

والايمان بعظمة مصر يتخذ عنـــده طابعا توســـعيا فهو يدعـــو الى « امبراطورية مصرية تضم كل أرض يجرى فيها ماء النيل وتمتد من البحيرات الاستوائية جنوبا الى البحر المتوسط شمالا ، ومن أعالى الحبشة والبحر الاحمر وحدود سيناء ، الشرقية شرقا ، الى الحدود الغربية لمصر والسودان غربا ، بمعنى أن مديرية خط الاستواء تعتبر جزءا من المجال الحيوى لمصر ، هذا بالاضافة الى بحيرة تانا المنبع الهام للنيل » (١٦) .

كذلك فان النظرة لتوحيد وادى النيل تتخذ هى أيضا طابعا « نفعيا » اى « توسعيا » وليس « وطنيا » بمعنى الاحساس بوحدة تراب وطن واحد .

فأحمد حسين يصرخ « لا يمكن أن توجد قوة على ظهر الارض يفرض علينا أن نموت جوعا وهذه الارض فى السودان واسعة ، لقد أصبح سكان مصر يناهزون الثمانية عشر مليونا فالى أين يذهب هؤلاء ، وأى ســـــبيل يسلكون » (١٧) .

وهنا نتساءل هل كانت وحدة وادى النيل بنظر احمد حســـين مطلبـــا وطنيا أم توسعيا ؟ لكن أحلام احمد حسين تمتد « فنحن لا ننظر الى أوغندا الا باعتبارها جزء لا يتجزء من السودان . وعندما نطالب بالسودان فنحن نعتبر أوغندا جزء لا يتجزأ منه . وليس ذلك بالامر الجديد ، فأوغندا هى مديرية خط الاستواء التى كانت أقدام المصريين هى أول من وطأتها ، والتى

---

(١٥) مصر الفتاة ـ ١٩٤٥/٨/١٥ مقال لاحمد حسين .
(١٦) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ـ المرجع السابق ـ ص ٨٢ .
(١٧) احمد حسين ـ الخطاب الوطنى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤ .

ارتفع العلم المصرى عليها منذ أكثر من سبعين سنة ، اننا نتحدث عن نهــر النيل على انه وحدة واحدة ، وحيث جرى ماء النيل ، او ينبع النيــل .. فهى مصر » (١٨) .

وردا على هذه المقولات التوسـعية والتى كانت تنفر القوى الوطنية السودانية من دعوة الوحدة كتب اليساريون المصريون منددين ..

« هناك اتجاه رجعى استعمارى يمثل المدرسة القومية التى رأت فى السودان ارضا بكرا للاستغلال ووقفت بالمرصاد فى فترة من الفترات لتقرير مصير السودان فى الاستقلال .. ومن اتباع هذه المدرسة أيضا — ولا نقول من الطابها — الاستاذ / احمد حسين رئيس مصر الفتاة » (١٩) .

على أية حال .. لقد تعودنا مع احمد حسين الشـعارات الممعنة فى الحماس .. أما فى التطبيق فالامر يختلف ..

فاليمين المصرى كان أيضا فى مسألة وحدة وادى النيل يعتمـد على التفاوض .. أما اليسار فكان أيضــا يدعو الى « الكفاح المشـترك بين الشعبين ضد العدو المشترك ثم حق تقرير المصير للشعب السودانى » .

أما احمد حسين صاحب شعار الامبراطورية الشـاملة الممتـدة حتى أطراف أوغندا فقد تصور أن تحقيق هذه المسألة أمر سهل .. بل ويسير .. وهو لا يتطلب نضالا ولا كفاحا .. فقط على الحكومة المصرية « أن تقرر أن وادى النيل وحدة لا تتجزأ ، وأن يصدر البرلمان المصرى قراراته لجعل هذه الوحدة حقيقة مقررة فلا جمارك بين مصر والسودان كما انه يجب أن يعدل الدستور ، كما أن قانون الجنسية المصرى يجب أن ينسحب على السودانى مثل انسحابه على المصرى بحيث يصبح السودانى مصريا له كل ما للمصرى من حقوق ، وعليه ما على المصرى من واجبات ، فجيش مصر وحكومة مصر وبرلمان مصر ومدارس مصر كل هذه يجب أن تكون مفتوحة للسودانى .. وهذه قرارات يستطيع الجانب المصرى أن يقررها » (٢٠) .

---

(١٨) المرجع السابق — نفس الصفحة .
(١٩) اسعد حليم — قضية السودان — ص ٣٤
(٢٠) مصر الفتاة — ١٥—٨—١٩٤٥

هكذا ببساطة تتحقق وحدة وادى النيل .

وينسى احمد حسين ان مصر يحتلها الانجليز وأن السودان يحتله الانجليز وأن الحكومة المصرية خاضعة للانجليز ، بل وينسى رأى الشعب السودانى نفسه وايضا رأى الشعب الاوغندى والجيش ..

.. بل هو يمضى فى تبسيط المسائل بطريقة مضحكة « فاذا اعترض الانجليز فليعترضوا ، واذا حاولوا أن يصبوا جام غضبهم فليفعلوا » (٢١)

وعلى اية حال فقد جربت الحكومة المصرية اسلوب احمد حسين .. فأعلنت بقرار من جانبها استقلال مصر تحت حكم « جلالة الملك المعظم فاروق الاول ملك مصر والسودان » .

ولكن لا مصر استقلت ولا السودان اتحد معها .

وهكذا قدر لاحمد حسين دوما أن يرفع شعارات هى رنين بغير صدى . وصراخ مجدب بغير ثمار .. أو ثمار مريرة المذاق .

---

(٢١) المرجع السابق

الفاشـــــية

الآن .. نحن نقترب من منطقة الشوك .

ففى هذه البقعة بالذات يستشعر أحمد حسين وكل رجال مصر الفتاة حساسية خاصة . لكن لا حيلة أمامنا سوى التمسك بما هو علمى وبما هو موضوعى ، وأيضا بما هو ضرورى حتى تستكمل هذه الدراسة بعدها الاكاديمى المفترض فيها ..

اى حديث عن الفاشية يثير عند المدافعين عن أحمد حسين وعن مصر الفتاة احساسا بأننا مقبلون على اتهامهم .. أو ممسكون بتلابيبهم ، وأى تجاهل له فى كتاب عن أحمد حسين يبدو تخليا عن الحقيقة أو تجنيا عليها .. ومحاولة لدفن الرؤوس فى الرمال .

وليس امامنا سوى أن نجرب السير على الشوك . أن نقول كل ما هو ضرورى ، وأن نتجنب كل ما ليس منسوبا لاهل الدار أنفسهم أى لاحمد حسين ورجاله .. وعلى كلماتهم فقط سنعتمد فى كل ما يمس انتمائهم الى هذه الفكرة أو تلك ولهذا الموقف او ذاك .

★ ★ ★

وابتداءا يتعين علينا أن نفرق بين محاولات متعددة للاقتراب من المحور نكاية فى الانجليز .. وقد حدث هذا فى صفوف الحركة الوطنية المصرية — وبغض النظر عن خطئه أو صوابه — فهو موقف سياسى أو تكتيكى يختلف عن محاولة الانتماء المعتقدى .. أو المذهبى لفكرة النازية أو الفاشية .

وأيضا يتعين علينا أن نميز بين الطموح المصرى .. أو المغالاة فى هذا الطموح الى حد المناداة بمصر فوق الجميع ، والاعلان عنها « سيدة للعالم فوق الجميع ورغم أنف الجميع » وبين التمذهب الفاشى . فهذه المناداة وان اقتربت فى الشكل من الدعوة النازية « المانيا فوق الجميع » الا أن الدخول الى حظيرة الفكر الفاشى بمقولاته المختلفة والمستندة الى بناء فكرى متكامل . هو مسألة اخرى تماما .

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار هذه الموجة الجارفة التى اجتاحت مصر اعجابا باليابان ، ونهضتها والتى اتخذت نزعة مشرقية واضحة .. توحى بامكانية نهوض مصر كدولة شرقية عظمى مثلما فعلت اليابان .

وكثيرا ما وقف تلاميذ المدارس يرتلون

هكذا الميكاد وقد علمنا   نجعل الاوطان أما وأبا

.. ويفسر هذه المشاعر أحد رجال مصر الفتاة فى كتاب أصـــدره عن اليابان قال فى مقدمته .. « اليابان عندى أمة شرقية ، بينى وبينها أصـالة القريب لقريبه ، وهى عندى أمة عظيمة بينى وبينها صلة الطموح المشترك ولئن غبطنا نحن المصريين وأبناء الشرق الادنى اليابان على ما يسير لها من رفعة وعزة جانب فلأنها حققت أملا ننشده وســارت فى طريق ينبغى أن نســلكه » (١) .

وكان لابد لهـذه النزعة الشرقية المعجبة باليابان وبتوجهاتها من أن تترك آثارا على الموقف العام من المحور .. الذى كانت اليابان جناحه الشرقى.

وأيضا فان ما اعتدنا عليه مع البعض .. من أن النفى اللاحق لا يعنى تجاهل الموقف ساعة وقوعه ـ ينطبق هنا أيضا .

وأخيرا فان أى حديث عن « الفاشية » والتوجهات نحوها فى مصر الثلاثينات لا يمكن ان يستقيم أو أن يكون موضوعيا دون محاولة للاحاطة بمختلف جوانب الصورة .. والا فاننا نظلم هؤلاء الذين تورطوا فى الدفاع عنها . ونظلم الحقيقة ذاتها .

والملاحظة الاولى فى هـذا الصـدد هى قوة الجالية الايطالية بمصر وتاريخية علاقاتها مع مختلف الطبقات والفئات . وكانت هذه الجالية واحدة من أكبر الجاليات الاجنبية فى مصر وأكثرها تنظيما وارتباطا بوطنها الام .

« وكانت الجالية الايطالية يقدر عددها بحوالى ٦٠ أو ٧٠ ألفا منتشرة فى الوجه البحرى مع تركيز فى القاهرة والاسكندرية والسويس وبورسعيد . وكان نفوذها فى مصر يعتمد على كثرة عددها وانتشارها واتصـالاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالمصريين . كما يرجع الى عاملين آخرين هامين أحدهما تأثيرها داخل القصر نتيجة وجود بعض الايطاليين ضمن الحاشية أو قيامهم ببعض الاعمال داخله منذ أيام الملك فؤاد الذى تربى فى ايطـاليا . ومن هؤلاء أنطون بوللى الذى كان كهربائيا ثم انضم الى الحاشية وهـارو

(١) محمد صبيح ـ اليابان ـ ص ٣

الحلاق ، وكانوتشى مدرب الكلاب ، ومنهم شخصيات كان لها بعض النفوذ فى القصر مثل ميلانيزى رئيس فرقة الموسيقى وفيرونشى كبير مهندسى القصر وانجلو سان ماركو المؤرخ ..

والعامل الاخر هو أن جانبا كبيرا من تلك الجالية كان يتعاطف مع الحركة الوطنية فى مصر منذ ثورة ١٩١٩ ، يتمثل ذلك فى نشاط جمعية الصداقة المصرية الايطالية ونادى خريجى الجامعات والمدارس الايطالية وبعض الصحف التى تصدر فى مصر بالايطالية مثل جورنال دى اورينتى ، والمساجيرو وروما ، ومديتارنيو ، وكوربير ديتاليا » (٢) .

ومنذ ان وصل موسولينى الى الحكم فى ايطاليا وهو يتطلع الى مصر كمجال حيوى يحقق به الجانب الاكبر من طموحه الامبراطورى .. ومن ثم نقد بذل « جهودا جبارة لتاسيس المدارس الايطالية ذات النمط الجديد فى عدد من المدن المصرية » (٣) .

وهكذا نجد انه وفق احصاء رسمى لعدد المدارس الاجنبية فى مصر فى عام ٣٣ — ١٩٣٤ كان هناك ٥٧ مدرسة ايطالية تضم ٦٢٩ مدرسا و ١٠٦٨٨ طالبا (٤) . ثم ما لبث عدد المدارس — الايطالية أن ارتفع فى عام ٣٧ — ١٩٣٨ ليصل الى ٦٤ مدرسة (٥) .

وكان رجال المفوضية الايطالية البالغ عددهم مائة يلعبون دورا بالغ النشاط وعلى رأسهم جميعا « الوزير الايطالى المفوض والمبعوث فوق العادة ماتزولينى ، والذى كان من أنصار الفاشية المتحمسين ومن أركان النظام الفاشى فى ايطاليا منذ ١٩١٩ ، وشارك فى الزحف على روما ، كما كان سكرتيرا مساعدا للحزب ، يضاف الى ذلك أن الكابتن أوجوواسون رئيس مركز الاستعلامات الايطالى كان ايضا من كوادر الحزب الهامة وكان يتخذ مركز الاستعلامات وسيلة لتنظيم طابور خامس كبير النشاط ولجمع المعلومات » (٦) .

(٢) د. محمد جمال الدين المسدى (وآخرون) — مصر والحرب العالمية الثانية — المرجع السابق — ص ٧٥

(٣) د. احمد عبد الرحيم مصطفى — المرجع السابق . ص ٨١

(٤) عبد الحميد فهمى مطر — التعليم والمتعطلون فى مصر — مطبعة محمد على الصناعية (١٩٣٩) — ص ١٩١ .

(٤) المرجع السابق — ص ٢٦٣ .

(٦) د. محمد جمال الدين المسدى وآخرون — المرجع السابق ص ٧٧ .

« وكثيرا ما شوهد ماتزوليني فى مدن مصر الكبرى وهو يستعرض قميصه الاسود الشباب الناشى (من ابناء الجالية الايطالية) وهو يردد شعارات الدعاية للامبراطورية المقدسة » (٧) .

والحقيقة ان التشكيلات الفاشية المنظمة فى شكل فرق القمصان السوداء قد عرفت طريقها سريعا الى الجالية الايطالية بمصر .. وفى وقت مبكر (١٩٢٧) نطالع احدى المجلات المصرية الخبر التالى « صوره الطيارة الايطالية البحرية التى وصلت الى مصر يوم الجمعة الماضى فى طريقها الى مصوع . وقد حطت رحالها على ضفة النيل المبارك واقبل الشبان الفاشست الايطاليين فى القاهرة للاحتفال بطياريها » (٨) .

وكان لايطاليا فى مصر منشئات اقتصادية عديدة وهامة مثل « البنك التجارى الايطالى ، والبنك الايطالى المصرى ، وشركات الادرياتك ، وشركة تريستا للتامين ، ... كما كان العنصر الغالب فى جمعيات الاسعاف من الايطاليين » (٩) .

وفوق هذا كله .. فقد كانت هناك شبكة تجسس قوية تمد شباكها ابتداء من القصر الى مختلف مناحى الحياة فى مصر ..

وثمة دراسة عن هذا الموضوع تقول « ان القاهرة هى احد المراكز الرئيسية للتجسس لحساب الفاشست الايطاليين والالمان . وفى اجتماع عقده العملاء الفاشست فى القاهرة وضعت خطة عاجلة لنشر الدعاية الفاشستية فى الشرق الادنى . وقد رصدت وزارة الدعاية الالمانية مبلغ ٣٠٠٠ جنيه استرلينى شهريا للدعاية الفاشستية بالقاهرة . ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان فى مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس » (١٠)

أما تقارير الامن المصرية فتقول انه قد تكونت تحت رعاية المفوضية الالمانية بالقاهرة منظمة نسائية تسمى AuslandNozi Frounseh وتضم النساء الالمانيات المتزوجات من غير آريين ومن أغراضها الدعاية للمبادىء النازية

(٧) د. عبد المنعم رمضان ـ المرجع السابق ص ٢٤٥ .

(٨) اللطائف المصورة ـ ١٩٢٧/٣/٧ .

(٩) الاهرام ١٩٦٧/٢/٩ ـ دراسة خاصة عن ٤ فبراير للدكتور محمد انيس .

(10) The Communist internotionla- Vol XVII. No: 6- 1939- pp 476 by-O-DAVOS

ونشر الاشاعات واعمال التجسس » (١١) .

لكن النجاح الحقيقى لهذه الشبكة كان كما اشرنا من قبل هو قدرتها على الامتداد بل والتمركز فى داخل القصر الملكى المستودع الحقيقى لكل الاسرار والمعلومات ، الامر الذى دفع المعتمد البريطانى الى توجيه برقية سرية الى وزير خارجيته يقول فيها « والحق انه يخشى ان عملاء ايطاليا والمانيا قد يؤثرون بواسطة صنائعهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما ـ برلين (١٢) .

وقد نشرت مجلة آخر ساعة محذرة ومنذرة « ان السفارة البريطانية قد بعثت الى الجهات المصرية المختصة بصور مستندات حصل عليها قلم المخابرات البريطانية وهى تثبت بالدليل القاطع وجود صلة بين الايطاليين وبين بعض المعارضين فى مصر » (١٣) .

ثم ينتقل التلميح الى اتهامات مباشرة ومحددة فقد اذاعت مصادر قريبة من الانجليز « أن فيرونشى بك كبير المهندسين بالسراى والذى كان فى نظرهم من عناصر قلم المخابرات الايطالى كان يطلع فى مكتب البندارى باشا بالقصر الملكى على تقارير الدولة وتقارير الوزراء المفوضين ومذكرات السفارة البريطانية ومختلف وثائق الدولة الهامة (١٤) .

وكانت هناك أيضا ترسانة الدعاية الفاشستية التى تمثلت فى محطتى اذاعة برلين وبارى باللغة العربية . وسيول الكتب التى انهمرت باللغة العربية متناولة قضايا المحور او مدافعة عن مواقفه .. مثل :

---

(١١) تقرير سرى من القسم المخصوص بمحافظة القناة الى وكيل وزارة الداخلية لشئون الامن العام رقم ٢٦٠٢ سرى ٢٠ ابريل ١٩٤٠ . وراجع ايضا حول النشاط المعادى للصحافة الايطالية فى مصر ومصادر تمويلها وارقام توزيعها :

Cairo City Police-Special sectirn to under Secretary of state public Security I'er-Ministery of Ittorior, No. ss/181/41 - Crufi dentirl 3 A pril 1941 ,No ss-1941.

(12) Lampson to Hali Fax, No. 41-, 16 January 1939 - Fo, 407/223 - p - 7 - 9.

(١٣) آخر ساعة ١٨/١٠/١٩٣٦

(١٤) المصور ١٤ ، ٢١/٤/١٩٣٩ .

ـ ادولف هتلر زعيم الاشتراكية الوطنية مع بيان المسألة اليهـودية (١٩٣٤) لاحمد محمد السادات .

ـ بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى (١٩٣٥) لاحمد لطفى جمعة .

ـ الامبراطورية الايطالية (١٩٣٧) لرياض جيد .

ـ موسولينى (١٩٣٧) لفتحى رضوان .

ـ المانيا اليوم (١٩٢٨) لثابت ثابت (١٥) .

ـ هتلر (١٩٣٧) لمحمد صبيح عبد القادر .

وقد توجهت هـذه الدعاية الى لمس وترين بالغى الحساسـية اولهـا الوتر الوطنى باعتبار ان المحور هو الخصم الحقيقى لبريطانيا عدوة البـلاد الاولى . وثمـة امثلة كثيرة على ذلك سنكتفى هنا بمثال واحـد منهـا هو عبد الرحمن عزام باشا الذى عارض خلال مشاركته وزيرا فى حكومة على ماهر باشا اعلان الحرب على المانيا .

« وطبعا لم يعجب ذلك السير مايلز لامبسون ولذلك لم يتمالك نفسه عندما اتهمنى فى حديث له مع على ماهر بأننى لم اتخذ موقفى .. الا لسـبب واحد وهو أن لى ميولا نازية ، وقال له ان كل التقارير التى تجمعت لدى المخابرات البريطانية تؤكد ان عزام له ميـول نازية » « ولا يلبث عزام أن يلتقى بأحد اركان السفارة البريطانية ليقول له « اننى قد سمعت ان السفير لامبسون قال لعلى ماهر أن لى ميولا المانية واننى لارجوك ان تذهب اليه وان تقول له اننى لا اخجل من ان يكون لى ميول المانية ، لان الالمان لم يكونوا فى يوم من الايام أعداء بلادى ، ولكن الذى يخجلنى حقا أن تقول عنى أن لى ميولا انجليزية » (١٦) .

أما الوتر الثانى فقـد كان اسـتخدام الدين الاسـلامى سـلاحا فى المعركة حيث روجوا اشـاعة غريبة عن اعتنـاق بعض قادة المانيـا وايطاليا للاسـلام سرا .

---

(١٥) عايده ابراهيم نصير ـ الكتب العربية التى صدرت فى مصر بين عامى ٢٦ ـ ١٩٤٠ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(١٦) جميل عارف من المذكرات السرية لاول امين عام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام ـ المكتب المصرى الحديث (١٩٧٧) ص ٢٥٦ .

وقد بذل موسولينى جهدا خاصا فى هذا الصدد ومن بين محاولاته أنه زار ليبيا عام ١٩٣٧ « وكانت مظاهرة سياسية قدمت له الادارة الايطالية اثناءها سيفا من الذهب أطلقت عليه سيف الاسلام » (١٧) .

واذا عدنا الى النقطـــة الاولى والخاصـــة بالروح الوطنيـــة وعلاقتها بالاقتراب من المحور فان أحد الباحثين يلاحظ أنه « منذ بداية الثلاثينات وحتى الحرب العالمية الثانية بدأت الحركة القومية العربية تقع تحت وطأة العداء لليبرالية ، واتجهت على وجه الخصوص نحو الفكر النازى والفاشستى بتأثير من عمليات التفسخ المستمدة التى تعرضت لها مسيرتها » (١٨) .

يضاف الى ذلك كله ان الرجعية المصرية وقد استشعرت رعبا مبالغا فيه من نمو الحركة الشيوعية المصرية فقد لجأت الى الفاشية باعتبارها مرنا وحصنا من الشيوعية ..

وفى وقت مبكر جدا (١٩٢٤) نجد مجلة يفترض أنها ذات توجه قانونى هى مجلة المحاكم المختلطة تنشر مقالا يقول « بينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها ازاء الدسائس الشيوعيه ، قد يكون مفيدا القاء نظرة الى الحرب العوان التى أعلنهـــا الفاشســـت فى ايطاليا على العدو المشترك » (١٩) .

ويكتب أحد الباحثين مؤكدا أن كل مجد موسولينى فى أنه « اســـكت المعارضة فى البرلمان الايطالى وصان بذلك حياة الملكة التى كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية » (٢٠) .

ومجلة أخرى تكتب « الفاشيزم مدينة بنجاحها الى مســـاعدة الظروف والاحوال ، اذ فزع المتمولون فى ايطاليا عن عجز الحكومة عن قمع الحركات الشـــيوعية فى البلاد والتفوا حول الفاشست . حيث رأوا أن تحميل عبء مطاردة الشيوعية على عاتق الفاشست أولى من تركه الى الحكومة التى كانت عبءا فوق ماهى ضعيفة ولا ريب فى أن الفاشيزم لو لم تكن مؤلفة من

---

(١٧) المرجع السابق — ص ٣٤

(18) M AJid Khaddurí - politcal Trends in the ARAB World ; London (1972) p 179

(١٩) الاهرام — ١٩٢٤/٩/٨٨ .

رجال شـــديدى البأس والعزيمة لما كانت تنال هذا الفوز الباهـــر فى وقت قليل » (٢١) .

ومجلة ثالثة تقول « اصبح موسولينى حديث اوربا بأسرها بل العـــالم اجمع وهو فى الحقيقة من اعظم رجال هذا العصر ان لم يكن أعظمهم طرا . وقد اتى منذ توليه زمام الامور فى ايطاليا أعمـــالا مجيدة ، وجعل الشـــعب الايطالى يقلع عن كثير من العادات القديمـــة التى كادت تؤدى بايطاليا الى الثورة والخراب » (٢٢) .

ومجلة رابعة تقول كان « قيام الفاشسست فى ايطاليا ونهوضهم بهـــذه البلاد التى كادت تهوى الى هاوية الشيوعية ويتقوض عمرانها ... وقد سمعت كثيرين يعربون عن الاسف على أن لا يكون عندهم موسولينى من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد الى العمل والنجاح » (٢٣) .

.. هذا هو المناخ الذى كانت تموج به أجواء السياسة والحياة العامة فى مصر ، نضعه فى اعتبارنا قبل ان نسوق اللوم هنا أو هناك ..

وليس هذا فقط .

فقد كان هناك موقف القصر الملكى .. والذى كان أحمد حسين وثيـــق الصلة به ، بل كان معجبا متيما بسيديه فؤاد ثم فاروق ..

وكان فاروق قد وقع فريسة لتوجيهات على ماهر والبندارى .. لكن على ماهر كان يعرف كيف يضع حدودا دقيقة للخلاف بين القصر والســـفير البريطانى دون تصعيد أو تسخين .. وهكذا يمكن امساك العصا من منتصفها الدقيق . لكن على ماهر يسافر فى يناير ١٩٣٩ الى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين وأصبح البندارى باشا هو المستشـــار الاول للقصر ، فاذا بسياسة التصادم مع الانجليز تتصاعد الى درجة كبيرة وتتواكب

---

(٢٠) قسطاكى اليـــاس عطاره — تكوين الصـــحف المصرية — مطبعـــة التقـــدم (١٩٢٧) — ص ١٩٧ .
(٢١) كل شىء ١٩٢٦/٥/١٧ .
(٢٢) اللطائف المصـــورة ١٩٢٧/٢/٢٨ .
(٢٣) ملحق مجلة الفلاح المصرى — سبتتمبر — اكتوبر ١٩٢٨ .

معها اتصـــالات مكثفة برجالات الحـــور .. وفى نفس الوقت تعزيز لعلاقة البندارى أى القصر بأحمد حسين ومصر الفتاة .

وقد بدأ القصر (البندارى) سياسة التصعيد بسحب الحرس الرسمى الذى كان يرافق موكب الســـفير البريطانى ، ثم بتوجيه اللوم للحكومة لأن السفير البريطانى عندما زار أسوان استقبل — جريا على العادة القديمة — استقبالا رسميا فوجه البندارى باشا رسالة رسمية لوزير الداخلية محمـــود فهمى النقراشى باشا يسأله فيها عن صحة هذه المعلومات وكيف تمت ، وعلى أى أســـاس أقرتها الحكومة ؟ .ولما أراد النقراشى باشا الرد على البندارى تليفونيا طالبه البندارى برد مكتوب فلم يسع النقراشى الا أن يجيب بصـــحة الوقائع وأن يعد بعدم تكرار ذلك مستقبلا (٢٤) .

وليس من شك فى أن الانجليز لم يكونوا مرتاحين لمثل هذا التطور فى مواقف القصر .. خصوصا وانهم كانوا يعتقدون — كما يؤكد د. محمـــد حســـين هيكل — « أن القصر محورى الهـــوى ، وان فى خدمته طائفة من الايطاليين يتجســـسون لحساب المحور » (٢٥) .

وفى نفس الوقت يســـجل وزير خارجية ايطاليـا شيانو فى مذكراته « ان نبأ مثيرا قد وصله عن مقابلة تمت بين مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض فى برلين والسفير الايطالى بها اتوليكو استفسر فيها الوزير المصرى باسم مليكه — الذى يناصب الانجليز الكراهية — عما اذا كان المحور سوف يكون على استعداد لمساندته اذا أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر أو غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى .. وبناء على مشاورة مع الدوتش ارسل الى السفير الايطالى يفوضه فى الاستمرار فى مباحثاته موضحا له ان أى جهد يبذل لاضعاف العلاقات بين القاهرة ولنـــدن ســـوف يقابل بالتأييد والدعم من جانب ايطاليا » (٢٦) .

ونظرا لان البوليس السياسى التابع لوزارة الداخلية كان فى قبضـــة الانجليز وتحت هيمنتهم . واذ عرفت الدوائر المســـئولة بالقصر عن تكوين « لجنة مشتركة يمثل وزارة الداخلية المصرية فيها وكيل الوزارة لشئون الامن

(٢٤) د. عبد العظيم رمضان — المرجع السابق . ص ٢٤٨ .

(٢٥) د. محمـــد حسنين هيكل . مذكرات فى الســـياسة المصرية . جـ ٢ — دار المعـــارف (١٩٧٧) ص ١٨٦ .

(26) The Ciano Diries-1943- Newyork- (1946) P. 32.

العام حسب باشا رفعت ورئيس القلم المخصوص ويمثل الجانب البريطانى فيها مدير المخابرات والمستشار الشرقى للسفارة البريطانية ومندوب من قيادة الحلفاء . وكانت هذه اللجنة تبحث فى نشاط المحور والعناصر الموالية له فى مصر » (٢٧) .

فقد عمد القصر الى تكوين بوليس خاص به . وثمة وثيقة ضمن وثائق القصر الملكى تقول أن عدد افراد هذا البوليس الخاص ٩٠٠ شخص مقسمين الى أربعة فرق منهم فرقة ميكانيكية تضم ٦٠ سيارة وتحدد الوثيقة أسماء قيادات هذا البوليس فالقيادة العامة تتكون من محمد طاهر باشا (قائد عام) النبيل سليمان داود (قائد ثان) وابراهيم شاهين المحامى مستشار قضائى، والنبيل عمرو ابراهيم ومحمد عرفى بك وحسين فريد بك ووحيد يسرى بك قادة للفرق(٢٨) .

وما أن علم الانجليز بذلك حتى سارعوا هم أيضا الى تكوين فرقة بوليس خاصة من المدنيين الانجليز والمالطيين اسميت « قوة الدفاع السلبى داخل القاهرة » .

وهكذا أصبح القصر ضالعا فى التوجه نحو المحور الامر الذى دفع جريدة المصرى (الوفدية) الى نشر مقال بالغ العنف ضد القصر وضد توجيهاته الفاشية جاء فيه « نحن الان ازاء حركة خبيثة تتولاها بالنشاط والتوجيه أيد خفية مستهترة ، غايتها أن تثبت فى نفوس الشيوخ وأوساط الناس أن الديمقراطية قد أفلست فى مصر ، وأن البلاد فى حاجة الى ديكتاتور يهدم الدستور ويلغى البرلمان ويتولى وحده الحكم بيد من حديد على نحو ما يفعل فى ايطاليا موسولينى وفى المانيا هتلر وفى تركيا مصطفى كمال ... ثم تمضى المصرى نحو القصر الملكى مباشرة لتشن ضده الهجوم « فلم يكن موسولينى رئيسا لديوان جلالة الملك فيكتور عمانويل ، ثم قيل له كن دكتاتورا فكان . فالديكتاتورية اذا كانت شرا فى صورتها الشعبية كما هى فى ايطاليا والمانيا فان شرها ليجاوز الحدود والقيود اذا تولاها رجال السراى وقد

---

(٢٧) جمال سليم ـ البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ ــ ١٩٥٢ ــ دار القاهرة للثقافة العربية (د.ت) ص ١٥٨ .

(٢٨) وثيقة محفوظة بمركز تاريخ مصر المعاصر مؤرخة ١١ نوفمبر ١٩٤٠ مرفوعة الى جلالة الملك فاروق من محمد طاهر باشا .

صدق زعيم الامة حيث قال فى خطابه التاريخى بالجزيرة « ليس اسوأ من حكم رجال السراى فى اى بلد من البلاد » (٢٩) .

ولم يكن مصادفة أن تتصدى « مصر الفتاة » للرد على المصرى .

وفى خضم الحياة السياسية المتلاطم ارتبط احمد حسين وحزبه بعدة شخصيات من بينها على ماهر وعزيز المصرى .

ولعله من المفيد ان تلقى بقعا صغيرة من الضوء على منهج هاتين الشخصيتين ازاء قضية العلاقة بالمحور انتظارا لفحص أكثر دقة فى فصل قادم ..

— على ماهر وقد رأينا كيف كان الانجليز يتهمونه بموالاة المحور ... كذلك اتهمه باحثون عدة .

يقول د. محمد أنيس « من المعروف أن على ماهر كان المستشار الاول لفاروق .. وكان على ماهر ومجموعته يميلون نحو المحور . ولذلك فالصراع بين احمد حسنين وعلى ماهر الذى قد يكون من ناحية صراعا شخصيا فانه يعكس بالضرورة وبالذات فى الحرب العالمية الثانية الصراع بين المحور والحلفاء داخل دوائر القصر » (٣٠) .

ويأتينا تأكيد آخر لهذه الملاحظة فى مذكرات فاطمة اليوسف « كان على ماهر واحمد حسنين يتبادلان الكراهية وقد لمست ذلك بنفسى اذ ذهبت الى احمد حسنين مرة احدثه عن خلافه مع على ماهر فأخذ حسنين يقول عن على ماهر كلاما شديدا ويكرر : ده هوه اللى ضرب البلد .. ده راجل ألمانى .. ده كان حيودينا فى داهية » (٣١) .

لكن للصورة جانبها الاخر الذى يوضح حقيقة الرجل .. فهو يتقلب مع الموجة الصاعدة ..

وهو يروى بنفسه أنه « قبل دخول ايطاليا الحرب بست أسابيع

---

(٢٩) المصرى ١٩٣٨/٧/٣١ .

(٣٠) د. محمد انيس — ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسة — المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت (١٩٧٢) ص ٥٦ .

(٣١) فاطمة اليوسف — ذكريات روزا اليوسف — العدد الاول — ديسمبر ١٩٥٣ — ص ٢٣٦ .

استحضرت السفير البريطانى والجنرال ويلسن وأخبرتهما أن لدينا معلومات دقيقة بأن ايطاليا داخلة الحرب حتما ، فقالوا أن المعلومات الى عنـدهم من سفيرهم فى روما تنفى ذلك ... وحببت أن أستعد وكان يوجد ٧٠,٠٠٠ ايطالى بمصر منهم ١٢,٠٠٠ فى سن الجندية ومدربين تدريبا حسنا .. ولذلك صدر منى أمر بنزع السلاح الموجود فى يد جميع السـكان .. وأبلغت ذلك للسفير البريطانى وكان الانجليز ممنونين جدا لما توصلنا اليه من ضبط أسلحة عنـد الايطـاليين دعـانا الى تفتيش كل بيت أو نـاد ايطـالى حتى القنصليات »(٣٢) هذا بينما كان فى نفس الوقت تقريبا ــ كما يقول البعض ــ « يتفق شخصيا مع ماتزولينى الوزير الايطالى المفوض على أن تثور مصر على الانجليز فى الوقت المناسب لتمهيد السبل لجيوش المحور » (٣٣) ويستمر على ماهر فى اللعب على الحبال فاذا كان يعتقد فى بداية الحرب بفوز الانجليز فقد قدم لهم كل مساعدة ممكنة الامر الذى حدا بالجنرال ويلسون القـائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط الى أن يرسل له ٣٣ خطاب شكر « على الولاء الصادق والتعاون المخلص » . وقد ظل على ماهر على ولائه واخلاصه لبريطانيا من شهر ١٩٣٩ وحتى يونيو ١٩٤٠ (٣٤) فاذا ما بدأت الانتصارات الألمانية الصاعقة » تقلبعلى ماهر ظهر المجن . فكان الماتيـا أكثر من الالمان ، كما انحاز الملك الى ايطاليا حليفة برلين فكان ايطـاليا أكثر من الطليان » (٣٥) .

والحقيقة أن الانجليز لم يخدعوا أبدا فى على ماهر فحتى وهو يتملقهم ويقدم لهم كل عون ممكن ويتلقى منهم رسائل الشكر « على الولاء الصـادق والتعاون المخلص » كان السفير البريطانى اللورد كيلرن يكتب فى مذكراته قائلا « وقبيل نشوب الحرب بأسابيع قليلة اسـتقال رئيس الوزراء الذى تعاون معنا باخلاص لاسباب صحية وخلفه على ماهر باشا الذى كان رجل الملك بنسبة ١٠٠٪ والذى كان فوق ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بسـبب تقلبه ومناوراته » (٣٦) .

(٣٢)ملف القضية الجنائية ١١٢٩ لسنة ١٩٤٦ المتهم فيها حسين توفيق وآخرين (قضية اغتيـال أمين عثمان) شهادة على ماهر باشا .

(٣٣) جمال سليم ــ قراءة جديدة لحـادث ٤ فبراير ــ مطبـوعات الشـعب (١٩٧٥) ص ٢٥ .

(٣٤) روزاليوسف ١٩٥١/١/٢٣ . مذكرات د. الطبيب الناصر .

(٣٥) د. ابراهيم عبده ــ الديقراطية بين شيوخ الحارة ومجالس الطراطير ــ سجل العرب (١٩٧٨) ص ١٣٠ .

(36) The Killenrn Dairies, 1944-1946 London (1976) p. 6

هذا هو الرجل الاول .

اما الرجل الثانى عزيز باشا المصرى والذى كان معتبرا ابا روحيـا لمصر الفتاة .. والذى يقال (فى رواية منقوله عن محمد صبيح) أنه وضع المسدس فى يد عز الدين عبد القادر (عضو مصر الفتاة) ليقتل به النحـاس باشا . وكان يأور عزيز المصرى باشا حاضرا هذه المقابلة فأمن على ذلك (٣٧) بل أن البعض يؤكد أن عزيز المصرى هو صـاحب فكرة تبنى القصر لدعوة مصر الفتاة وتأييدها (٣٨) .

عزيز المصرى هذا كان رجلا معروفا بميوله نحو المحور .. ولكن هل كان منقطع الصـلة بالانجليز ؟ الدلائل تقول لا . فحتى فى حـادثة هروبه الشهيرة والتى انتهت بالقبض عليه .. يقول عزيز المصرى فى التحقيق حول سـبق اعتزامه الهرب الى بيروت .

« س : ألم يكن هناك غرض آخر بعد وصولك الى بيروت ؟

ج : لا شك انه كان لى غرض آخر .. وهذا الغرض متفق عليه بينى وبين جهة اجنبية هى جهة انجليزية » .

نسأله المحقق مزيدا من التفاصـيل عن هذا الغرض فقال : انه كان بخصـوص اجراء صـالح فى العراق لصـالح الطرفين وربما توسـع لصالح حلف عربى » .

ويلح المحقـق ..

« س : الا يمكنك أن تذكر أسماء من كنت تتحدث معهم فى مصر عن هـذا الشـأن ؟

ج : آسف لست حرا فى ذكرا الاسماء » (٣٩) .

ويواصل المحقق الحاحه ولكن مع شخص آخر من زملاء عزيز المصرى

---

(٣٧) د. عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ حاشية ٥ ـ ٢ صفحة ١٧٠ مشيرا انه حديث اجراه مع محمد صبيح فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٨

(38) Heywor th-Dume Religious Political Trends in Egypt pp. 36

(٣٩) جمال سليم ـ المرجع السابق ص ٦١

هو عبد المنعم عبد الرؤوف الذى أكد أن عزيز المصرى أخبرهم أن قائمقاما انجليزيا اتصل به وقال له « انهم مش مبسوطين من الحركة التى قامت فى العراق (حركة رشـــيد عالى الكيلانى) وأنهم يودون لو أن عزيز باشـــا يتوسط فى حل الاشكال القائم بين العراق وبين الانجليز فقال عزيز باشـــا لهم ان هذا ممكن اذا أرضـــوا العراقيين بما يطلبونه فرد عليه القائمقام الانجليز أن هذا كلام نظرى واحنا عايزين حاجة عملية » وســـال المحقق ضابط بوليس ورد اسمه فى أوراق عزيز المصرى هو الملازم أول عبد الحميد خيرت فقال انه ذهب لزيارته فى العيد الصغير للتهنئة فقالوا له فى بيتـــــه « ان معه واحد ضابط انجليزى فتركت له كارت وانصرفت » (٤٠) .

ويزيد زميل آخر لعزيز المصرى هـــو حسين ذو الفقار صبرى الامر وضوحا فيقول ان عزيز المصرى قال لهم « لو رحت بواســـطة الانجليز أنا خايف ان العراقيين يفتكروا انى جاى كجاسوس فايه رأيكم انى أروح بنفسى من غير واســـطتهم ومن بلد محايدة وأعرض عليهم التوسط . أظن ده يكون أوقع » .

ولم ينف الانجليز أيا من أقوال عزيز المصرى أو أقوال زملائه .

ولسنا نريد بذلك سوى أن نشير الى دقة المواقف واختلاف مواقعها باختلاف الاحداث بحيث لا يمكن الجزم بتسكين شخصية أو جماعة فى هذه الخـــانة أو تلك دون مجـــازفة .

فقد كان الواقع بذاته معقدا وزاده السياســـيون بتقلبـــاتهم الغير متوقعة — من حيث المبدأ — تعقيدا على تعقيد .

وحتى « الى الامام يا روميل » .

تلك الصيحة الشهيرة التى ترددت فى بعض المظاهرات يؤكد البعض أنها ليست من صنع شباب موال للمحور .. وانما بتدبير آخر .. أو بالدقة بتدبير من الانجليز الذين أرادوها مبررا لتنفيذ مخططهم ..

يقول حافظ محمود « مظاهرات تقدم يا روميل افتعلتها الجاسوسية البريطانية فى القاهرة لاســـقاط الوزارة وتنفيـــذ مخطط جديد للسياســـة

(٤٠) المرجع الســـابق ، ص ٦٢ .
(٤١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

البريطانية فى مصر » (٤٢) .

ويقول محجوب ثابت « اقسم أن لبسون يعلم ان الذين نادوا الى الامام يا روميل يا روميل كانوا محسوسين من قبل صنائعه .. ولعل مكافأة الشباب الذى نعق بهذا النداء لاصدق شاهد على ذلك » (٤٣) .

.. هذا هو مسرح الاحداث بتعقيداته .

وفوق هذا المسرح بدات دعوة أحمد حسين ..

فهل كان ممكنا أن نقترب من فحص هذه الدعوة .. قبل أن نلقى هذه النظرة السريعة على المسرح ؟ . لست اعتقد .

★ ★ ★

والآن هل يمكننا الاجابة على ذلك السؤال الشائك ؟

هل كان أحمد حسين فاشيا حقا ؟

والجواب ليس مجرد نعم أو لا وانما هـو محـاولة للتامل فى تفكير الرجل منذ ان كان طالبا فى المدرسة الخديوية الثانوية .

« نظرية واحدة تسود العالم من اقصاه الى اقصاه ، عبر عنهـا الفيلسوف الالمانى نيتشه بصراحة اذ قال الارض ارث القوى والمسـتقبل للشعب الظافر وللصالح وحده حق الحياة .. فى هذا الصراع المخيف حول الموت والحياة .. فى هذا السباق الذى نشترك فيه كافة المخلوقات تتقدم مصر العتيدة كأمة قوية خالدة ، ما خلدت الايام . فمن بين أمم الارض طرا لا توجـد أمة واحـدة تضـارع الامـة المصرية .. تلك هى رسـالتى وذلك هو ندائى » (٤٤) .

ومنذ ان نادى فى أول برنامج له بامبراطورية مصرية على أسـاس التوسع والضم .. وبالاهتمام بالاطفال ليصبحوا « غزاة » ..

---

(٤٢) حافظ محمود ــ المرجع السابق ــ ص ١٦٩

(٤٣) صالح على عيسى السودانى ــ الاسرار السياسية لابطال الثورة المصـرية وآراء الدكتور محجوب ثابت ــ شركة فن الطباعة (د.ت) ص ٣٢٤ .

(٤٤) مجلة المدرسة الخديوية ــ العدد الاول ــ العـام الثامن . اول ديسمبر ١٩٢٨ . مقال لاحمد حسين .

فلنحاول معا ٠٠

وابتداءا فاننا سنحاول التخلص من احكام الآخرين على أحمد حسين وعلى موقفه المعتقدى ٠ فهى وان كانت كثيرة وصارمة الا انهـــا تأتى من خصوم على أية حال ٠٠ (٤٥) .

وسوف نتجه مباشرة الى كلماته هو ٠٠ وبرامجه ومواقفه ومقالاته وخطبه هو ٠٠ ونعتقد ان فى هذا ما يكفى من الالتزام بالدقة والموضوعية والبعد عن اى غرض ٠

والحقيقة ان أحمد حسين قد هاجم ايطاليا فى بداية الامر ٠٠

وعندما دعا الايطاليون الطلبة الشرقيين الدارسين فى أوربا الى عقد مؤتمر لهم فى روما هاجمهم أحمد حسين على صفحـــات الصرخة ووصف ايطاليا بانها « الدولة التى لا يعرفها الشرق الا طاغية جبارة فىطرابلس تقتل أبناءه وتستحل حرماته وتستعمر أرضه ، والتى يعرفها طامعه فى غير طرابلس من بلاد الشرق » (٤٦) »

ثم يعود الى الهجوم من نفس الموقع فى العدد التالى كاشفا الاهداف الدعائية من عقـد مثل المؤتمر (٤٧) كانت الصرخة قد هاجمت موسـوليني قائلة انه « آخر من يجب ان نتحدث عنه فى مصر ، فهو الذى اغتصب منـا جغبوب والذى يتهيأ فى أقرب فرصة لغـــزو مصر ٠ والذى يقتل ابطـــال المسلمين فى طرابلس بلا حساب والذى لا يمثل لنا حتى شيئا قليلا » (٤٨) .

وفى عام ١٩٣٤ زار أحمد حسين ايطاليا وعاد منها ليواصل نفس حملته ٠٠ فنشر مقالا بعنوان « لقد خيبت ايطاليا ظنى فيها » وآخر بعنوان « العبرة الاستعمار الايطالى فى طرابلس الغرب وفظائعه » مما اعتبـــرته

(٤٥) وصف كيلرن فى مذكراته (المرجع السابق ص ١٣٥) احمد حسين بأنه زعيم فرق القمصان الخضر شبه الفاشية ٠ بينما قال والتر لاكور أن برنامج مصر الفتاة كان نسخة طبق الاصل من المذهب النازى راجع مؤلفه :
Communism and Nationalism in the middle east. pp. 247

(٤٦) الصرخة ـ ١٩٣٣/١٢/٢٣

(٤٧) الصرخة ـ ١٩٣٣/١٢/٣٠

(٤٨) الصرخة ـ ٧ /١٩٣٣/١٠

ايطاليا تحريضا على كراهيتها وتحقيرها وطلبت من وزارة الداخلية ان تتدخل فى الموضوع ، فكلفه الوزارة النيابة برفع الدعوى العمومية »(٤٩) .

لكن احمد حسين لا يلبث ان ينقلب الى النقيض داعيا لتمجيد موسولينى وايطاليا ومؤيدا النازية والفاشية ومنجزاتها .. فلماذا كان الانقلاب ؟

التفسيرات كثيرة .. لكن اغلبها يأتى من عند الخصوم وهم يربطونها دائما بقصة التمويل قائلين ان احمد حسين هاجم ايطاليا كى تدفع . فلما دفعت ارتمى فى احضانى ، لكننا لا نأخذ بمثل هذه الاتهامات دونما دليل .. وليس ثمة دليل قطع .

المهم اننا نرصد الواقعة .. فجأة ودون مقدمات انتقل احمد حسين من عدو لايطاليا الى اكبر مؤيد لها ..

لكننا نلاحظ ان احمد حسين قد تظاهر فيما بعد انه انما تقدم فى هذا الطريق مستندا الى حائط العداء للانجليز ..

« لم يكن هناك احد فى الدنيا لا يتوقع هزيمة انجلترا من ساعة لاخرى ، وانها توشك ان تجثو على قدميها ، وكنت انا واحدا من هؤلاء الملايين الذين يترقبون فى نشوة الساعة التى يغزو فيها هتلر الجزيرة البريطانية بجحافله لكى تقوم بدورها فى دق مسمار فى نعش هذه الامبراطورية الراحلة »(٥٠) .

وهو يقول بصراحة اكثر « سوف يصبح اقوام بعد سماعهم كلامى هذا قائلين ما هذا التبشير بفلسفة القوة وسياسة وقوة ؟ انها عودة الى التعاليم الفاشستية ، وأريد ان أعلن هذا من فوق هذا المنبر اننا لن نسمح لاحد بعد اليوم ان يخيفنا بهذه التهمة تهمة الفاشستية . واذا كان الكفاح فى سبيل الحرية والاستقلال هو الفاشستية فاننى أعلن للدنيا اننى أول الفاشست »(٥١) .

لكن العودة للتواريخ تضع الامور فى نصابها فالكلمة الاولى من خطاب القاه فى لندن فى عام ١٩٤٩ ، والثانية من خطاب كان يزمع القاءه عام ١٩٤٧ . اى بعد هزيمة النازية . ومن هنا يكون العودة لموضوع الفاشية

---

(٤٩) مرافعات الرئيس احمد حسين – المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٥٠) عبد العزيز الدسوقى – المرجع السابق . ص ٨٦ نقلا عن خطاب لاحمد حسين فى انجلترا عام ١٩٤٩ .

(٥١) احمد حسين – الخطاب الوطنى – المرجع السابق . ص ١٠

والعطف على المانيا فى ارتباط متعمد بالقضية الوطنية والعداء للانجليز هو فى اعتقادنا مجرد محاولة مستترة لتبرير مواقف سابقة لا يمكن الدفاع عنها باختلاق الاعذار والمبررات .

فما هى حقيقة المواقف ؟

يقول احد اتباع احمد حسين واصفا بداية تأسيس مصر الفتاة ، رابطا اياها بالحركة الفاشية العالمية « .. وكانت النازية والفاشية فى المانيا وايطاليا تبعثان الروح وتشعلان اللهيب » ..تلك الانطباعات والانعكاسات مضافا اليها ما فى نفس احمد حسين من ايمان موحد بعظمة مصر ..

اخرجت مصر الفتاة الى حيز الوجود » (٥٢) .

ويقول احمد حسين « ولقد أثر فى نفسى بصفة خاصة كفاح ايطاليا .. ويظهر ان هذا الشعب يقترب الى حد ما من الشعب المصرى ، ولقد اعجبتنى هذه العبارات التى تنبض ايمانا وحماسة والتى ملأ بها مازينى صدور الشباب الايطالى .. وهزت نفسى هزا حملات جهاده من أجل ايطاليا الفتاة »(٥٣) .

ومازينى كان الملهم الاول لأحمد حسين عندما كتب برنامج مصر الفتاة ..

وهو الذى يقرر ذلك فى روايته ازهار « ولم يجد فوزى (أحمد حسين) اية صعوبة عندما امسك بالقلم فى هداة الليل ليكتب (برنامج مصر الفتاة) . بل ولم يجد اية صعوبة فى معرفة من أين يبدأ . فقد كانت كلمات مازينى مؤسس حركة ايطاليا الفتاة ترن فى اذنيه فاستبدل ايطاليا بمصر وانطلق يكتب « مصر التى علمت الانسانية واضاءت على العالمين .. لن تموت ابدا بل ستبعث من جديد لتعيد سيرتها الاولى » (٥٤) .

..هكذا ببساطة استبدل ايطاليا بمصر وانطلق يكتب .. !

وتبدا العلاقات العملية مع الايطاليين ..

---

(٥٢) عبد العزيز الدسوقى ــ المرجع السابق ــ ص ٤٥ .
(٥٣) احمد حسين ــ ايمانى ــ ص ٢ ــ ص ٦٤
(٥٤) احمد حسين ــ ازهار ــ ص ٣٦٠

يقول احمد حسين « اثناء تجولى المعتاد للحصول على مشتركين وجدت نفسى فجاة بالقـرب من أدارة جريدة دوربانتى الايطالية فخطـر لى أن اقابل مديرها لعلى أحصل على بعض المعلومات عن السياسة الايطالية فلم يكد مدير الجريدة دوريانتى يتسلم بطاقتى ويعلم اننى ســكرتير مجلة الصرخة حتى قابلنى على الفور بالترحـاب العظيـم وراح يثنى على حركتنـا ومحاربتها للانجليز وعلى أنه يتابع أخبارها باهتمام ويترجمها الى الايطالية ويوزعها فى انحاء العالمين (٥٥) .

واذا كنا نعرف حقيقة دور الصحف الايطالية فى مصر ٠٠ علاقتها بالفوضية الايطالية ٠٠ فهل كانت هذه بداية لعلاقة امتدت وتطورت فيما بعد ؟

على اية حال فان احمد حســين بدأ فجاة عمليـة التمجيد المبالغ فيها لالمانيا وايطاليا وللفاشية والنازية معا ٠٠

وفى حفل افتتاح المقر الجديد لحزبه (يلاحظ دور على ماهر فى هذه الفترة) بحرص احمد حسين على القول » ٠ كانت المانيا تسير خلف زعمائها الذين كانوا يفهمونها انها ضعيفة وانها غير قادرة على شىء ٠ اما اليوم فقد تبدل الحال غير الحال وأصبحت المانيا هى التى تتوعد وهى التى تخيف المانيا هى التى ركلت عصبة الامم بقدمها ومزقت معاهدة فرساى ٠ المانيا هى التى تتجع اليوم تحت متســمع العالم ــ وبصره دون أن يجترىء مجترىء على الاعتراض ، وما ذلك ال لان المانيا قد اقتنعت أن لا طريق الا القوة ، ولن تحل مشاكلها الا بالقوة ، والتلويح بالقوة ، فظفرت على طول الخط وهى اليوم تخطو خطوات عظيمة لاعادة مركزها القديم » (٥٦) .

وفى عام ١٩٣٧ يكتب أحد اقطاب مصر الفتاة (محمد صبيح) كتابا عن هتلر يقول أنه أصدره « لكى يعطى للقارىء العربى صوره عن سير الابطال المحدثين عبر البحار ، ما لمحته فى بدء حركاتهم من آيات الكفاح الصادق ، وما انتهى اليه كفاحهم من نصر » (٥٧) .

ونصـل الى عام ١٩٣٨ ٠٠ الآن على ماهر والبنـدارى فى القصر ٠٠

---

(٥٥) المرجع السابق ــ ص ٣٩٠

(٥٦) أحمد حسين ــ ايمانى ــ ط ٢ ٠ ص ١٦٤

(٥٧) محمد صبيح ــ هتلر ــ دار الثقافة العامة ــ ١٩٣٧ ــ ص ٣

وتوجه السراى نحو المحور واضـح ·· وهتلر نجمه يصعد مغريا الكثيرين بالولاء له ·· باعتباره الجواد الرابح ··

هنا يتحدث أحمد حسين فى جراة معلنا ولاءا حقيقيا للفكر الفاشى ·· وايمانا بمختلف ابعاده وتوجهاته ·

·· احمد حسـين يصرح لجريدة « لافوروا شيستا » معلنـا ان حزبه يســير « على مبادىء العصر الجديد » وان « مبادئه تتشـابه مع مبادىء روما وبرلين » ويقول صراحة « نحن نرغب فى ان نقلد زعيمكم الدوتش فيما ادخله من الاصلاحات الاجتماعية ، ولهذا فاننى ســادرس قوانين العمـل والنقابات التعاونية والاعمـال الاجتمـاعية الســارية فى بلادكم » وقال « شبيبة مصر الفتاة تعتقد أن الدوتش هو منشىء قواعد السياسة الاجتماعية الجديدة فى هذا العصر »(٥٨) ·

والى ايطاليا يسافر احمد حسين وهناك يصرح لجريدة جرنال دى جنوا قائلا « انا لا اعتقد أن هناك فى اوربا نظاما ديمقراطيا ، ونظاما ميكتاتوريا ، وان انجلترا وفرنسا تختصان بالديمقراطية وايطاليا والمانيا بالديكتاتورية · كلا يا صديقى هى ديمقراطية واحدة · لكنها مختلفة الصور حسب تقاليد كل امة وعاداتها وما يتفق مع طبيعة شعبها ، دعنى اقول لك ان ما أراه هنا هو الديمقراطية بعينها اذ ما هى الديمقراطية ؟ اليس معناها حكومة من الشعب تعمل لاجل الشعب لا لمصلحة فرد او جماعة ؟ وهذا ما اراه مطبقا هنا على أجمل الصور » وهو لا يكتفى بمديح ديمقراطية موسولينى وانما يهاجم « النظم البرلمانية كما رسمتها فرنسا فهى بضاعة اجنبية لن تعيش فى مصر ، ولن تروج ولا يمكن تطبيقها تطبيقا كاملا · ومع ذلك سوف تسعى بهذه الطرق الدستورية الموجودة فى مصر للوصول الى الحكم وبعدها يكون لنا راى آخر اذ يجب ان يعاد النظر فى هذا الدستور ليكون اكثر اتفاقا مع حاجات مصر الحقيقيـــة(٥٩) ·

وقبل ايطاليا كان احمد حسين يزور المانيا حيث اسهب فى مديح النازية ونظمها ·· وقد أعلن فى بداية الزيارة انه « جاء لتحقيق غرضين الاول زيادة

---

(٥٨) مصر الفتاة ـ ١٩٣٨/٨/١
(٥٩) مصر الفتاة ١٩٣٨/٨/١١

معلوماته الخاصة وتجاربه ، اما الغرض الثانى فهو مقابلة اقطاب الحزب النازى ومعرفة تاريخ الحزب وتحوله ومنشآته » (٦٠) .

وهناك ايضا اعلن « اننا ســوف نثبت جدارتنا بالســير ببلادنا فى هذا الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى » (٦١) .

ولم يكتف احمد حسين بالمديح المجرد ، لكنه بدأ فى تمجيد الاســس النظرية للنازية وأيديولوجيتها .. وحول نظرية العمل النازية قال « انها تمحو التناقض بين العامل ورب العمل وتسلكهما جميعا فى سلك واحد تبعا لنظرية التصاعد .. ففى المصنع يشتغل رب العمل كمرشد والموظفون والعمال كتابعين له من اجل تحقيق الاغراض الخاصــة بالمصــنع ومن اجل صــالح الشعب وصالح الدولة » (٦٢) .

ثم يقود جريدة مصر الفتاة التى نفس النغمة فى بحث بعنوان « فلسفة النازية فى نظرية القادة ومبدأ التصاعد » جاء فيه ان هذه النظرية تقوم على اساس « ان الرئيس الاعلى رجل شــاءت العناية الالهية ان تخلقه من ابناء الشعب لكى يعبر عن روح الشعب ، ويمثل ارادة الشــعب ، ويكون ضمير الشعب ، فهو شخص يفرض نفسه على هذا الشعب فرضا بما له من صفات سامية ، ومميزات عالية ، وخصائص قدســية ترتفع به الى مقام الانســان الاعلى ، بل الى مقام انصــاف الآلهة . هذه الصفات وتلك الخصــال تجعل الشــعب كوحده واحده وكل واحد على الاعتراف به وتســليم زمامه اليه والاخلاص له والطــاعة له طاعة لا نهــاية لها » وتمضى « مصر الفتــاة » فى تبشــيرها للنظرية النازية قائلة « ان هذه النظرية تتعارض طبعا مع نظام الديموقراطية البرلمانية ، الذى هــو نظام هبــوط ونزول تتحكم فيه الطبقــة السفلى فى الطبقة العليا ، وتسيطر عليها وتوجهها ان شاءت ، بينما الدولة النازية تسير على منهج التصاعد الذى هو تدرج من اسفل الى اعلى على شكل طبقات متراصه متماسكة تظل فى رقيها وسموها حتى تصل الى القمة » ثم تحدثت مصر الفتاة عن مسالة الاستفتاء العام التى ابتكرتها النازية كبديل عن الانتخابات وقالت ان هــذه الطــريقة هى الديمقراطيــة الحقيقية لا تلك المهازل البرلمانية التى تفتخر بهــا الدول الديمقراطية المزعومة التى يســيطر

---

(٦٠) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/٢١

(٦١) مصر الفتاة ٤ /١٩٣٨/٧

(٦٢) مصر الفتاة ١٩٣٨/٨/١١

عليها تجار الكلام المنمق واصحاب الاقوال » (٦٣) .

هل نكتفى بذلك اجابة على سـؤالنا القـديم .. هل كان أحمد حسين فاشيا ؟ أم نواصل فحص الامر وجمع المزيد من الادلة .. ؟

لنواصل .. ان لم يكن من اجل تاكيد مالم يعد بحاجة الى تأكيد فمن أجل استكمال البعد الاكاديمى للبحث ..

والمهم ان احمد حسين لم يكتف « بالترويج » للنظرية النازية لكنه التزم بها .. فلنقارن الكلمات السابقة بمقالات احمد حسين نفسه فى هذه الفترة « فهو يكتب تحت عنوان » يا من بايعتمونى لابد من انقلاب ، لابد من قوة ، ولا قوة بغير تضحية ، قائلا اذا اردنا اصلاح هذه العجلة القديمة عبثا نحاول ترميمها او تغيير بعض أجزائها ، لابد من تحطيمها تحطيما واعادة بنائها . ذلك هو الانقلاب الذى تحتاجه البلاد » ثم قال « كل ما فى مصر الآن يدعو الى عملية جراحية : نظام الحكومة ، وتوزيع الثروة ، عقلية الناس ، طباعهم وتقاليدهم ، كل شىء يحتاج الى انقلاب ، لابد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفدا أو نحاسا أو مكرما أو برلمانا » (٦٤) .

أما محمد صبيح فانه يكتب هو الآخر — وفى نفس الفترة — فى « مصر الفتاة » « ان البلاد تريد كرامة لا دستورا ، وتريد ثروة لا برلمانا ، وتريد صحة لا نوابا وشيوخا ، وتريد جيشا ودفاعا لا خطبا وتصفيقا » (٦٥) .

ولم يزل لدينا الكثير من الادلة ..

أحمد حسين يكتب مؤيداً للنظرية النازية مؤكدا أن « نظرية العمل فيها هى الحل لمشاكل العمال » ويقول « العمال ، مشاكل العمال ، أجور العمال ، نقابات العمال اتحادات العمال ، اصـحاب الاعمال ، اصـحاب الاعمال اليدوية ، أصحاب المهن الحرة ، المشتغلون بعقولهم ، الرؤساء ، الفلاحون ، كل هذه الاسماء المختلفة لم يعد لها وجود فى المانيا الهتلرية ، ذلك كله بفضل جبهة العمل التى انشـأها هتلر . جاء هتلر الى الحكم وفى المانيا نقابات

---

(٦٣) مصر الفتاة ١٩٣٨/٩/١

(٦٤) (٦٥) تقرير النيابة العمومية فى الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لسنة ١٩٣٩ .. نقلا عن مصر الفتاة ١٠/١١/ ، ١٩٣٨/١٢/٨ .

المهن المختلفة فالكل هؤلاء عمال تجمعهم صفة واحدة ، وتلك هذه صفة العمل ، فلست أريد أن اقضى على نظام الطبقات لاخلق مكانة تطاحن المهن والحرف • واذن فيجب أن يصبح الجميع عمالا من طراز واحد ، يخضعون لنظام واحد وقانون واحد » •

ويواصل احمد حسين امتداحه للنازية التى هى باعتراف الجميع اعلى قمم النظام الرأسمالى الاستغلالى مؤكدا انه منذ ١٩٣٥ فان « جبهة العمل فى المانيا تحوى كل عامل سواء كان مرؤوسا او رئيسا •• وهكذا قضى على الاحزاب ، ولا شيوعية ، فلا كبير ولا صغير ، الكل اعضاء فى جبهة واحدة ، والكل عامل يعمل لمصلحة الجماعة المشتركة ، صاحب المصنع قبل العامل يعمل للدولة وللمجموع » ثم يقول أحمد حسين أن هذا النظام « هو الحل الطبيعى لمشاكل العمل فى جميع انحاء العالم » بل ووعد بأنه عند عودته الى مصر سوف يدعو لقيام هذه الجبهة » (٦٦) •

ويمضى احمد حسين فى طريق تمجيد النظام الفاشتى موهما قراءه بأنه هو الحل الامثل لمشاكل العمال •• « ماذا فعل هتلر وموسولينى من اجل العمال فى المانيا وايطاليا ؟ لقد تولى موسولينى الحكم بعده هتلر ، وفى بلد كل منهما ملايين من العاطلين ، فاذا بهما يجعلان عملهما الاول ان يوجدا عملا لكل عاطل ، فكان فى ايطاليا خمسة ملايين عاطل فاستطاع موسولينى ان يوجد لهم العمـــل فى يوم وليلة (!) وكان فى المانيا اكثر من هذا العدد فاســـتطاع هتلر أن يوجد لهم العمـل فى يوم وليلة (!) وقد رأت الدولة ان تتداخل لحماية العامل فلم يعد من الممكن فى ايطاليا او المانيا فصل عامل •• الا بعد الرجوع للهيئات الرســمية •• وزادوا اجور العمل وحددوا ســاعات العمـــل » (٦٧) •

بل ان تمجيد الفاشية يصل الى درجة القول علانية بأن « الفاشية فيها الكثير من الاســـلام » (٦٨) •

وتنشر « مصر الفتاة » سلسلة مقالات لموسولينى احدها بعنوان « مذهب الفاشية » يقول فيه « الفاشـــية تستنكر الاشتراكية والديمقراطية والمذهب

---

(٦٦) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٧/٢٨ — مقال احمد حسين

(٦٧) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٨/١٨

(٦٨) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٨/١١ — حديث لاحمد حسين مع « جورنال دى جنوا » الايطالية •

الحرب » و « الدولة الفاشية تعتبر الدين مظهرا من أعمق مظاهر الروح وهى من اجل هذا لا تحترمه فحسب ، وانما تحبه وتزود عنه » و « الدولة الفاشية ارادة وقوة وسيطرة ، والميل الى الامبراطورية ، اى توسع الامم هو فى نظر الفاشـــية مظهر من مظاهر الحيوية » ثم يقول « مذهب القرن الحالى هـــو الفاشسية • اما انها مذهب حياة فيدل عليه انها بعثت ايمانا ، واما أن هذا الايمان قد غزا النفوس فالدليل عليه أن للفاشسية شـــهداءها ومن ضحوا فى ســـبيلها » (٦٩) •

هذه هى كلمات « الزعيم » موسولينى • فهل تتأملها وتقارنها بكلمات « الزعيم » احمد حسين سوف تجد أوجه شـبه كبيرة ربما نفس التوجيهات التوجه الدينى — الامبراطورية والتوســـع الخ • ولربما لو قارنا الكلمات والمفردات فاننا سنجدها واحدة ••

والالتقاء ليس مجرد تقارب فكرى •• أو حتى التقاء حول ايديولوجية واحدة •• لكن البعض يرى أن احمد حسين حرص فى هذا العام بالذات عام ١٩٣٨ أن يضع نفسه تماما فى « سله » موسولينى ••

وحتى عندما قامت الجيوش الايطالية بالاعتداء على الحبشة متمركزه على البوابة الجنوبية لوادى النيل مهدده بذلك أمن مصر ووحدة وادى النيل ، فان احمد حسين يرفض أى لوم لايطاليا فى ذلك ، بل هاجم بشـــده هؤلاء الذين « يدينون » العدوان الايطالى على الحبشة قائلا فى بساطة « ان مصر لا تكسب قليلا أو كثيرا فى معاداتها لايطاليا واظهار خصومتها •• » وانه « على هؤلاء الذين يريدون الدفاع عن الحبشـــة أن يبرزوا شـــجاعتهم فى مصر » (٧٠) •

يعترف أحمد حسين بأن موقفه هذا قد جلب عليه سخط الجماهير ويقول اخذ الرأى العام يهجس بأنها دعوة مدسوسة وأن للايطاليين بها صله •• حتى لقد اشارت الى ذلك مجلة « اللطائف المصورة » اشارة صريحة (٧١) •

لكن أحمد حسين لم يكن مهتما فى هذه الفترة بالذات « بالرأى العام »

(٦٩) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٧/٢١
(٧٠) احمد حسين — ايمانى جـ٢ — ص ٢٣٠
(٧١) المرجع السابق — ص ١٨٧

وانما باقامة علاقة « ما » بموسوليني وان يكسب رضاه ·· بينما كان لموسوليني حساباته الخاصة ··

يعترف بذلك في صراحة غريبة احد رجال احمد حسين المقربين « وفي اثناء زيارة أحمد حسين لايطاليا عرض على موسوليني فكرة تعاون حركة مصر الفتاة مع ايطاليا ، ولكن الدوتش اعتذر احتراما لاتفاق « الجنتلمان » الذي عقده مع انجلترا لتهدئة الحرب الباردة ، وكان اعتذاره لبقا مهذبا (٧٢) ·

لقد عرض أحمد حسين نفسه على موسوليني ·· لكن الزعيم رفض رفضا لبقا مهذبا والسبب أن أحمد حسين قد جاء متأخرا أربعة أشهر فقط ·· ففي ابريل ١٩٣٨ (تمت زيارة أحمد حسين في أغسطس ١٩٣٨) كان موسوليني قد اتفق مع انجلترا على تهدئة الحرب الباردة ، ولا بد أن مصر كانت طرفا في هذه الصفقة ، وكان من نتائج هذا الاتفاق أيضا نقل محطة اذاعة باري الموجهة ضد بريطانيا الى المانيا (٧٣) لكن اتفاق الجنتلمان يسقط سريعا ، وتشتعل الحرب الباردة بين ايطاليا وانجلترا ، فهل قامت العلاقة التي حاول أحمد حسين ان يقيمها مع السلطات الايطالية ؟ انه مجرد سؤال ·

يبقى بعد ذلك كله كلمة عن علاقة التوجه نحو الفاشية بالارتماء على أعتاب القصر الملكي ··

فلقد لاحظ بعض الباحثين ارتباط الموقفين ·· ولقد أكدت جريدة مصر الفتاة ذلك وهي تتباهى بان احدا غيرها لم يناد بالديكتاتورية ·· قائلة « ان النظام البرلماني في مصر لم ينجب غير الوزارات الفاسدة أو الوزارات الضعيفة ·· مؤكدة أن « الملك يريد لبلاده حكما قويا (٧٤) ·

— فما هي العلاقة اذن بين التوجه الفاشستي والولاء للملك ·· ·

يقول — المفكر ساطع الحصري « هذا الاهتمام بالملكية (عن الفاشست) مستمد في الواقع من نشأة الفاشية الاولى في ايطاليا كفكرة على يد انريكو

---

(٧٢) محمد صبيح — صفحات عن الحرب العالمية الثانية — الكتاب الاول — ص ٢٣

(٧٣) جورج كيرك — موجز تاريخ الشرق الاوسط · ترجمة عمر السكندري · مراجعة د· سليم حسن — سلسلة الالف كتاب — ص ٣٠٥

(٧٤) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٨/١ ·

كورادينى والذى الف ما اسماه بالجمعية القومية الايطاليـــة ، وكان من اهدافها تقوية سلطة الدولة ضد عوامل التفتت ورفع مكانة النظام الملكى وتقوية التنظيمات العسكرية وتذكير الايطاليين بالامبراطورية الرومانيـــة ، وحشد وتوحيد طاقات الشعب الايطالى نحو الفتح الاستعمارى » (٧٥) ٠

* * *

وليس فقط لاستكمال الشكل الضرورى لاى تنظيم فاشى ٠٠ اعلن احمد حسين تكوين فرق « القمصان الخضر » او كما اسماها خصومها من الوفديين « الذئاب الخضر » ٠

ويقول البعض ان اول من فكر فى مصر فى تكوين تشكيلات تلبس قميصا محدد اللون كان حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ٠٠ (٧٦) وان احمد حسين التقط هذه الفكرة ثم نفذها ٠٠

لكن الحقيقة ان احمد حسين كان منذ البداية كما راينا ينادى بتكوين « جيش الخلاص » او « الميليشيا الفرعونية » ٠

وكان منذ البداية يعلن « اننا نعيش فى فوضى فيجب ان نعيش فى نظام ، وعلينا ان نجمع الشباب فى صعيد واحد وان نعودهم النظام والطاعة وان نلبسهم زيا واحدا وان ننطقهم نشيداً واحدا وان نجعل لهم شعاراً واحدا وغاية محددة » (٧٧) ٠

وقال ايضا « ان العمل الذى نعنيه هو ان ننظم جموع الشباب فى جماعات شبه عسكرية تخضع لتعاليم ونظم عسكرية ، تفهم معنى الجهاد وتتدرب عليه ، وتنفذ كل ما يلقى اليها من تعاليم ، هذه الجماعات المنظمة وما نسميها فى جمعيتنا كتائب المجاهدين هى التى سوف تحقق الاستقلال بل وســـوف تعيد بناء الامبراطورية المصرية وترفع مصر فـــوق العالمين ٠ وسوف تعيد بناء الامبراطورية المصرية التى تالقت على مر الدهور ، والتى تتالف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام » (٧٨) ٠

---

(٧٥) ساطع الحصرى ـ حول القومية العربية ـ دار العلم للملايين بيـــروت (١٩٦١) ص ٣٦

(٧٦) اخر ساعة ١٩/٩/١٩٣٧

(٧٧) الصرخة ـ ٣/١٢/١٩٣٣

(٧٨) احمد حسين ـ ايمانى ـ ط ٢ ـ ص ٢٠٦

وهكذا ظهر عدد الصرخة فى ١٦ ديسمبر ١٩٣٣ وفى صدره صورة لجندى مصر الفتاة مرتديا القميص الاخضر موجها اليه تحية الاجيـال الغابرة وتحية الامة التى تريد على يديه رفعة ومجـدا (٧٩) وبدأت أولى تشكيلات القمصان الخضر تظهر فى شـوارع العـاصمة فى أوائل عام ١٩٣٤ .

ويقول احمـد حسـين ان افرادها كانوا فى البـداية لا يستخدمون الا القميص الاخضر يلبسون على البنطلون الطويل العادى « اما بعد ذلك فقد تطور لباس لمصر الفتاة الى زى عسكرى كامل يخلب الالباب بجمـاله واناقته وقوته فى نفس الوقت » (٨٠) . وكانت « شـارة مثلثه جميلة تزين القميص » (٨١) .

وسرعان ما اصـبحت القمصـان الخضراء محـورا لاهتمـامات الكثيرين ..

انصارها يقولون عنها انها كانت رمزا لقوة جيل جديد وحيويته « وكان منظر هذه الكتائب وهى تسير فى خطوات عسكرية رتيبة فى الشوارع يبعث فى النفوس الحنين الى شىء مجهول ويثير فى الماقى الدموع ويهز الاعماق هزا عنيفا » (٨٢) .

واحمد حسين يقول انها سبيل لكى « نجعل من انفسنا شعبا حيـا قويا . وهذا سبيلنا لا لاخراج الانجليز من وادى النيل فحسب ، بل لقيادة الدنيا كلها » .

ويربط كل الباحثين بين « القميص الملون » والتوجه الفاشى للجماعة .. بل ويتخذونه واحدا من الادلة الرئيسية لاثبات توجهها الفاشستى ..

يقول محمد زكى عبد القادر « جاءت مصر الفتاة والاخوان بنوع جديد من التفكير قائم على التكتل من أجل مذهب من المذاهب وكفالة الانتصار له ، لا عن طريق الظفر باغلبية برلمانية فى انتخابات حرة ولكن عن طريق تأليف

---

(٧٩) الصرخة ١٩٣٣/١٢/١٦

(٨٠) احمد حسين — ايمانى — ط ٢ — ص ١١٢

(٨١) عبد العزيز الدسوقى — المرجع السابق ص ٦٢

تشكيلات عسكرية وشبه عسكرية والتعصب الى درجة الخصومة للمخالفين » (٨٣) ٠

وقد اصدر بعض خصوم الجماعة كتابا يهاجم القمصان الخضر بعنوان « الشباب الخضر اعداء الوطن فانبذوهم » (٨٤) ٠

ويؤكد خصوم أحمد حسين ان القمصان الخضر كانت مجرد استكمال للبناء والفكرة الفاشستية تقول النيابة العامة فى مرافعتها ضد أحمد حسين « انشأ المتهم مصر الفتاة فى عام ١٩٣٣ ، والحق بها كتائب سميت فى ذلك الحين القمصان الخضراء على مثال الكتائب التى استخدمها موسولينى فى ايطاليا والميليشيا التى استخدمها هتلر فى المانيا » (٨٥) ٠

بينما يحاول انصار مصر الفتاة تبرئتها من تهمة الفاشستية ٠٠ ومن ثم فانهم يقولون (فى دفاعاتهم التى اعدت بعد اندحار الفاشية على النطاق العالمى ومن ثم بعد ان غسل أحمد حسين يديه من الولاء للفاشستيه) ان القمصان الملونة كان مجرد توارد خواطر ، وانها لم تكن نزوعا نحو الفاشية او تقليدا للقمصان الفاشستية ٠

يقول محمد صبيح « ليس الذنب ذنبنا ٠ وليس ذلك بدعة من البدع ٠ ولكنه توارد الافكار » (٨٦) ٠

ويقول حافظ محمود « ان هذا الحزب « مصر الفتاة » يهاجم فى تاريخ الاحزاب باعتباره حزبا فاشيا لسبب بسيط هو ان جماعة مصر الفتاة بعقلية شبابية مبكرة كانوا قد اتخذوا لانفسهم زيا خاصا هو القميص الاخضر ، وكانت القمصان الملونة آنذاك هى شعار الفازية فى المانيا الهتلرية وشعار القيصرية فى ايطاليا موسولينى ، والمقارنة هنا مقارنة ظالمة فالفاشيون فى المانيا وايطاليا آنذاك كانوا يحكمون او يطلبون الحكم بينما كان حزب مصر الفتاة يطلب التحرر كل ما هنالك ان هذه الجماعة من الشباب كانوا يتطلعون الى الجندية فى وقت لم يكن التدريب العسكرى فيه قد ظهر فى معاهد التعليم ، وقاموا هم بهذا التدريب لانفسهم » (٨٧) ٠

---

(٨٢) المرجع السابق ٠ نفس الصفحة ٠
(٨٣) محمد زكى عبد القادر — محنة الدستور ص ٦٠ ٠
(٨٤) محمد طاهر العربى — هذا المجتمع الظالم — القاهرة (١٩٥٠) — ص ٢٠٢
(٨٥) مرافعة النيابة فى قضية حريق القاهرة — المرجع السابق ٠ ص ٤٩ ٠
(٨٦) محمد صبيح — هتلر — المرجع السابق ٠ ص ٣
(٨٧) حافظ محمود — المرجع السابق ص ١٤٤

هل يمكن ان نصدق مثل هذه الحجج · وهل ننسى ان احمد حسين صرح علنا انه يطلب الحكم بل واكد انه سيصل للحكم خلال ثلاث سنوات على الاكثر ··

لكن لماذا لا نرد على هؤلاء المدافعين او المبررين بكلمات « الزعيم » نفسه الذى صرح « اننا سوف نثبت جدارتنا بالسير بالبلاد فى الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى » (٨٨) والذى قال « ان الفكرة التى اوحت الى موسولينى بالقميص الاسود والتى اوحت لهتلر ان يبتكر بالقميص البنى فى المانيا هى التى اوحت الينا ان نفعل مثلما تعلوا » (٨٩) ·

والفارق بين كلمات الزعيم والمبررين هو فارق زمنى بحت هو تكلم فى اوج مجد الفاشستية فتمسح بها وهم تكلموا بعد ان هزمت فتنصلوا منها ··

على اية حال لقد قامت « القمصان الخضر » واصبحت واقعا سياسيا فى الشارع المصرى ·· واداة ردع ضد خصوم مصر الفتاة الذين كانوا فى ذلك الحين هم خصوم القصر الملكى واحزاب الاقلية ·

وعندما حاول النحاس الضغط على الملك بمظاهرات شعبية تهتف « الشعب مع النحاس » خرجت القمصان الخضر وجوالة الاخوان المسلمين لتصطدم بهذه المظاهرة بالقوة وتهتف فى وجهها « الله مع الملك » ·

وهكذا فوجىء الوفد بمنافس خطر له فى الشارع ··

ومع تشكيلات شبه عسكرية كهذه يصبح العنف هو اداة التعامل مع الخصوم السياسيين ··

وعندما تحدثنا فى فصل سابق عن مشروع القرش شاهدنا كيف دمرت مليشيا القمصان الخضر احد المحال لان صاحبه اتهم احمد حسين بانه « حرامى القرش » · وعندما صدر كتاب « النئاب الخضر اعداء الوطن فانبذوهم » اتهم احمد حسين واعوانه محمود طاهر العربى بانه هو مؤلف الكتاب بسبب سبق انضمامه لهم ثم انفصاله عنهم ·· وهدده احمد حسين

---

(٨٨) مصر الفتاة ــ ١٩٣٨/٩/٤
(٨٩) احمد حسين ــ ايمانى ــ ص ٧٤

شخصيا بالانتقام .. وتوالت عليه اعتداءات القمصـــان الخضر خمس مرات » (٩٠) .

ويمساندة القصر ، ودعمه انتشرت فرق الردع المسماه « القمصان الخضر » وبدات تستشعر من القوة والدعم ما يســتحثها على البحث عن السلام .. من اجـل المـزيد من الـردع للخصــوم الـذين هم بالتحـديد الوفديون ..

(واوفد احمد حسين احد كبار اعضاء الجماعة (المشهدى) للاشراف على شعبه بالاسكندرية القوية ، وان كان الهدف الحقيقى من مهمته هو الاتصال ببعض مهربى السلاح فى المدينة . ومن الواضح ان الملازم ثان عبد الله صادق (صديق احمد حسين الحميم) والذى كان يعمل بجمارك الاسكندرية قد حاول مساعدة المشهدى فى هذه المهمة بحكم وظيفته . وان كان المشهدى لم يستطع الحصول على الاسلحة برغم بقائه فى الاسكندرية لفترة طويلة .. وفى سنة ١٩٣٦ تمكنت الجماعة من الحصول على بعض المسدسات عن طريق بعض التجار والضباط السابقين) (٩١) .

وفى صفحات سابقة طالعنا كيف كان عزيز باشا المصرى أحد مصادر هذه الاسلحة .. وكيف انه ناول بيده مسدسا لعز الدين عبد القادر ..

وما ان امتلأت يد عز الدين عبد القادر عضـــو مصر الفتاة) على المسدس حتى أسرع ليفرغ رصاصاته محاولا اغتيال النحاس باشا رئيس الوزراء ، وعندما قبض عليه اعترف بمحاولته هذه معلنا انها ترويع للنحاس لانه وقع معاهدة ١٩٣٦ (٩٢) .

وادرك النحاس المصدر الحقيقى للرصاصات .. وبالغ الســـفير البريطانى كما طالعنا فى صفحات سابقة ان المحرض هو القصر وعلى ماهر بالتحديد ..

والغريب ان أحمد حسين يورد فى بعض احاديثه ما يمكن وصفه بانه تفاخر باستخدام القوة بل والقتل .. ضد الخصوم السياسيين .. فعندما

---

(٩٠) محمود طاهر العربى ــ المرجع السابق . ص ٢٠٢

(٩١) على حامد شلبى ــ مصر الفتاة ودورها فى المجتمع المصرى ــ (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ١١٧ .

(٩٢) عبد العزيز الدسوقى ــ المرجع السابق ــ ص ٧٥

تصادمت القمصان الزرقاء (الوفد) مع القمصان الخضراء فى دمنهور ما لبث ان اغتيل قائد القمصان الزرقاء واتهم رجال مصر الفتاة باغتياله ٠٠ ويتباهى احمد حسين قائلا « ان مصر الفتاة اثبتت ان لحمها مر يستعصى على الآكلين ، وان الخير كل الخير فى الاقـــلاع عن كل تحرش بها او محـــاولة للاعتداء عليهـــا » (٩٣) ٠

★ ★ ★

لكن احمد حسين كان واهما ٠٠

فلا لحم مصر الفتاة كان مرا يستعصى على الآكلين ٠٠

ولا القصر الملـكى ورجـاله كانوا قادرين عـلى حمـــايته من غضـبة الوفد ٠٠

فالوفديون بعد ان فوجئوا بالقمصان الخضر تقلل من هيمنتهم السياسية على الشارع المصرى ٠٠وتتحول الى اداة ردع وترويع لهم خدمة للقصـــــر وهوائه لجأوا وبعد تردد شديد الى طرق الحديد بالحديد ٠٠ أو كما يقولون وداونى بالتى كانت هى الداء ٠٠ »

وفى فبراير ١٩٣٦ عاد احمد حسين من رحلته الى لندن ليجد الوفد وقد أسس هو الآخر ميليشيا شبه عسكرية اسماها « القمصان الزرقاء » فاظهر سروره فى البداية مدعيا ان ذلك انتصار « لفكرة مصر الفتاة فى النظـــام والعســـكرية » (٩٤) ٠

لكنه ما لبث ان استشعر الخطر ، فبدأ فى الهجوم عليها مؤكدا انها « حركة زائفة » وقال « ففى عشية وضحاها اذا بهم يلبسون قميصا أزرق ، وفى عشية وضحاها اذا بنا نسمع عن القيادة والفرق والالقاب الضخمة والتى لا تعرف لها معنى الا الطبل والزمر كانعاده القوم ٠ هؤلاء هم الذين يقلدون غيرهم ولذلك فان حركتهم زائفة لا تلبث ان تزول كما زالت غيرها من الحركات الزائفة ٠ وستبقى مصر الفتـــاة لتواصل مهمتهـــا ولتؤدى رســـالتها» (٩٥) ٠

---

(٩٣) احمد حسين ـ ايمانى ط ٢ ـ ص ٢٨٩

(٩٤) د٠ عبد العظيم رمضان ٠ المرجع السابق ـ ص ٢٠١

(٩٥) احمد حسين ـ ايمانى ط ٢ ـ ص ٣١٥ ـ من خطاب لاحمد حسين فى سفح الاهرام يوم ٤ مارس ١٩٣٦ ٠

وعندما ينزل الوفد الى ميدان كهذا فان ثقله يكون مختلفا عن تلك الفقاعات الصغيرة ..

وسرعان ما تشكلت مئات الفرق .. وعشرات المعسكرات .. « لكل حى معسكره الخاص تقام فيه الخيام ويتناوب اعضاؤه نوبتجيات الحراســـة والتعليم ويرتفع وسطه علم الفرق الاسود والاحمر ، وكان المعسكر الرئيسى فى ميدان الاسماعيلية (التحـــرير) مكان المجمع وكان يتسع للالوف من الشباب ، واقيمت معسكرات فى ميدان السيدة زينب ، الخليفه ، وعابدين ، وبولاق ، وشبرا ، والعباسية ، وحلوان ، والبساتين ، وطره ، والمعادى ، والدرب الاحمر ، ومصـــــر القديمة ، وفم الخليج ، والجمالية ، والوايلى والموسكى ، والجيزة ، وباب الشعرية ، وبين السريات ، وامبابه ، والزيتون ، والمطرية ، وروض الفرج ، والعتبه ، والازبكية ، والظاهر ، والشرابية ، و.. وكانت هناك فرقة شرطة خاصة بهذه الفرق مهمتها مراقبة تصرفات وتحركات الاعضاء وضبط المندسين » (٩٦) .

وقد اختير اللون الازرق رمزا للفلاح (ذو الجلباب الازرق) وهناك ايضا « بادج » يوضع على الذراع وشارة معدنية صغيرة تمثل قبضة قوية تطبق على مفتاح النيل ..

وفى ١٠ يناير ١٩٣٦ قام محمد بلال باستعراض على رأس ١٥٠٠ من شباب القمصان الزرقاء واصطفت الجماهير على جانبى الطريق لتستمع الى هذه الجموع من الشباب وهى تنشد كلمات مصطفى صادق الرافعى والحان رياض السنباطى ..

حماة الحما يا حماة الحمى

هلموا هلموا لمجد الزمن

فقد صرخت فى العروق الدما

نموت نموت ويحيــا الوطن .

---

(٩٦) المصور ١٩٧٨/٤/٢١ صبرى أبو المجد مقال « قصة القمصان الزرقاء من الالف الى الياء » .

بلادى أحكمى واملكى واسعدى

انا لبلادى وعرشى فدا

لك المجد يا مصر فاستمجدى

بعزة شعبك طول المدى

ونحن أسود الوغى فاشهدى

وثوب امتودك يوم الصدام

•• وبعد انتهاء النشيد يهتف القائد « جهادنا » فيردد الطابور « لمصر » فيصيح « شبابنا » ويردون « للملك والوفد » فيهتف « شعارنا » فيقولون « طاعة وجهاد » (٩٧) •

•• وبدأ الحديد بطرق الحديد

ويكتب أحمد حسين معربا عن انزعاجه « لم يكد الوفد يؤلف كتائبه من شباب الاقمصة الزرقاء حتى زاد عدد المنضمين اليها على بضعة الوف فى القاهرة وحدها ، فى الوقت الذى لم يتجاوز فيه ذوو الاقمصة الخضراء بضعة مئات فى مصر كلها » (٩٨) •

واستمر الحديد يطرق الحديد ••

وبدأ أحمد حسين الذى كان يتباهى بالقوة ، ويهدد خصومه بالعقاب ، ويستعد المحكم خلال ثلاث سنوات ، بدأ يشكو فى استعطاف « شرع كل مصرى يعتدى علينا ، فلا نجد بوليسا يجرؤ على مؤاخذته ، ولا نيابة تجرؤ على محاسبته لانه يضرب فى اشخاص قال عنهم رئيس الوزراء (النحاس باشا) انهم خونة » (٩٩) •

ويرفع أحمد حسين شكواه الى اعضاء مجلس النواب والشيوخ قائلا « ان أعضاء الجمعية (مصر الفتاة) كانوا محل اعتداء على طول الخط فى جميع انحاء القطر ففى المحلة وفى منوف وفى بور سعيد وقعت حوادث كان

(٩٧) كوكب الشرق — ١٩٣٦/١/١١ •

(٩٨) أحمد حسين — ازهار — ص ٤٧٧

(٩٩) مرافعات الرئيس أحمد حسين — المرجع السابق ص ١٢٢

جنود مصر الفتاة فيها محل اعتداء شنيع » (١٠٠) ٠

وحتى هؤلاء الذين شجعوا القمصان الخضراء ومولوها واستخدموها بدءوا يخافون هم أيضا ٠٠ فبعد أن كانت القمصان الخضر أداة ردع فى أيديهم ضد خصمهم العنيد الوفد ٠٠ وبعد ان كانوا يستخدمون فرق القمصان الخضر لحمايتهم وحماية اجتماعاتهم ، فقد كانوا كما عبرهم أحمد حسين فيما بعد « لا يستطيعون عمل اجتماع صغير أو كبير الا بعد ان يمدهم جنود مصر الفتاة بحمايتهم » (١٠١) ٠

بدأ الحديد (الوفدى) يطرقهم هم ٠٠ ولم يكن أحمد حسين بقادر حتى على حماية نفسه أو رجاله ويكتب محمد حسين هيكل قطب الاحرار الدستوريين قائلا « فكما شكل موسوليني قمصانا سوداء تدافع عن نظامه وكما شكل هتلر قمصانا من لون آخر تدافع بالبطش عن نظامها أقام الوفد فرق القمصان الزرقاء ، وطبيعى الا يتلاءم وجود هذه القمصان التى تقوم بالاعتداء على خصوم الحكومة مع حرية الرأى ، ولا مع أى معنى من معانى الديمقراطية ، (يلاحظ ان الاحرار الدستوريين كانوا يؤيدون القمصان الخضراء ويستعينون بها ضد الوفد) ٠

وانى لاذكر يوما كنت اجتاز بسيارتى ميدان الاسماعيلية الى ميدان الازهار قاصدا محكمة الاستئناف لبعض أمرى ، وانا فى طريقى اذ هجمت شرذمة من هذه القمصان الزرقاء على سيارتى وانهالت عليها بعصى غليظة لم ينجنا منها الا أن أسرع السائق حتى لا يدركنا المعتدون » (١٠٢) ٠

وهكذا انتقلت المطرقة الى يد النحاس ٠٠ واختفت القمصان الخضر من الشوارع أمام جحافل القمصان الزرقاء ٠٠

وكان الانجليز انفسهم مرتعبون من هذه القمصان الزرقاء ٠٠ فهذا السلاح فى يد جماعة صغيرة مثل مصر الفتاة يمكن التحكم فيه أو حتى

---

(١٠٠) السياسة — ١٩٣٦/٨/٢٠ — مذكرة مصر الفتاة الى أعضاء مجلس النواب والشيوخ ٠٠

(١٠١) مصر الفتاة — ١٩٣٩/٢/٢١

(١٠٢) د٠ محمد حسين هيكل — مذكرات فى السياسة المصرية — المرجع السابق — ﺟ ١ ص ٣٥٢ ٠

يمكن الاستفادة منه ·· اما فى يد حزب كاسح الشعبية كالوفد فانه يصبح سلاحا يخيف الجميع ··

ويكتب السير مايلز لامبسون وزير خارجية مستر ايدن فى تقريره السنوى عن عام ١٩٣٦ ما يلى :

فقرة ٢٠٦ : اتخذ مؤتمر الشباب الوفدى قرارا فى ٩ يناير بتأسيس منظمة للشبيبة على النهج الفاشستى وقد ايد الوفد هذا الاتجاه بعد ان وجد ان الاحزاب الاقليـــات قد بدأت فى تجنيد عديد من الطـــلاب فى تنظيمات فاشستية بهدف حشدهم فى حركة مناهضة الوفد ·

فقرة ٢٠٨ : تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم واعداد القمصـــان الزرق الذين وصلتنا تقارير تفيد ان عددهم قد بلغ فى يوليو ١٠٫٠٠٠ شخص والذين تقوم نسبة ضئيلة منهم بنشاط جدى وقد تكونت لجنة من ثلاثة من الضباط السابقين للاشراف على التدريب العسكرى واختير النحاس باشـــا رئيسا للحركة ·

فقرة ٢٠٩ : وفى يوليو قام القائد العام بتحذير مكرم عبيد من السماح لهذه الحركة بالنمو دون رقابة · ورد الاخير بأن تعليمات قد صدرت لقادة القمصان الزرق بأن يوجهوا نشاطها نحو المسالك القانونية فقط مثل الرياضية واعمال الكشافة · واشار مكرم الى ان الحزب حريص على الا يتولى احد السياسيين اى منصب قيادى فى القمصـــان الزرق · لكن هذه التأكيدات لم تنجح فى ان تمحوا وحتى ان تقلل من خوف المسئولين المصريين من تطور هذه الحـــركة » (١٠٣) ·

بل ان هذه الحركة كانت مصدر قلق لقيادات الوفد ذاتها أو لبعضها على الاقل ·

تقول الاهرام نقلا عن المورتنج بوست الانجليزية التى نشرت تقريرا

---

(١٠٣) وثيقة مودعة فى المتحف البريطانى مكتوب على صفحتها الاولى « هـذه الوثيقة مملوكة لحكومة صاحب الجلالة الملك تستخدم فقط فى وزارة الخارجية · ملف رقم ٣٧١ ــ ٢٠٩١٩ ــ سرى ــ ١٥٢١٧ أرشيف رقم ٨ ــ مصر ــ التقرير السنوى عام ١٩٣٦ (ل ــ ٣٥٢٢ ــ ٢٥٣٢ ــ ١٦) من سير مايلز لامبسون الى مستر ايدن ــ استلم فى ١٩ اغسطس تحت رقم ٩٠٦ ·

لمراسلها بالقاهرة جاء فيه : « ان هنـــاك دلائل تشـــير الى ان النحاس باشا سيتخذ بعض التدابير لتنظيم حركة اصحاب القمصان الزرقاء » ٠٠

ثم قال « ان الحركة قد قامت من دون موافقة النحاس باشـــا عليها رسميا ، ولكنه لما رأى التقدم الكبير الذى حققته لم يبد رغبته فى التبرؤ منهـــا » (١٠٤) ٠

كذلك كانت هناك خلافات فى صفوف القيادات الوفدية حول أسلوب عمل الفرق ٠٠ فقد اقترح يوسف الجندى تقسيم الفرق الى ثلاثة اقسام : قسم للطلبه وآخر للعمال وثالث خليط من الطبقات ، فاعترض البعض على ذلك لدى النحاس باشا معربين عن مخاوفهم « من ان تنظيم العمال على هـــذه الصورة يجعلهم اداة لتنفيذ مآرب طبقتهم ونقاباتهم » (١٠٥) ٠

وعلى ذلك اتفق على ضم الموظفين الى العمال فى فرق واحدة حتى لا يبرز الطابع الطبقى للعمال فى فرق بذاتها » (١٠٦) ٠

بل ان البعض يرى ان القمصان الزرقاء كانت احد اسباب دفع السراى الى تشكيل فرق بوليسها الخاص بعد ان اكتشفت عجز رجال القمصان الخضر عن الصمود أمام هذه الموجة الجديدة (١٠٧) ٠

وباختصار فبرغم ان الكثيرين ـ بما فيهم الوفديون انفسهم ـ ينتقدون فكرة القمصان الزرقاء (ينسب جمال سليم الى فؤاد باشا سراج الدين قوله ان انشاء الوفد لهذه الفرق كان خطأ لا سبيل الى انكاره) (١٠٨) ٠

فان الذين يعرفون النحاس باشـــا ويعرفون اســـلوبه ٠٠ وطريقته مواجهة خصومه يمكنهم ان يدركوا الى اى مدى استخدم النحاس الحكمة القائلة « وداونى بالتى كانت هى الداء » ٠٠ وكيف انه لقن القصر واحزاب الاقليات درسا لم ينسوه ، وكف يدهم عن العبث بالتشكيلات العسكرية ٠٠

---

(١٠٤) الاهرام ـ ١٩٣٦/١١/١٥

(١٠٥) البلاغ ـ ١٩٣٨/١/١٧ ـ من بيان لممدوح رياض

(١٠٦) البلاغ ـ ١٩٣٧/١١/٥ ـ من تقرير لمحمد بلال

(١٠٧) جمال سليم ـ قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير ـ المرجع السابق ـ ص ٢٩

(١٠٨) المرجع السابق ـ نفس الصفحة ٠

وقد كان ‥ فان ظهور القمصان الزرقاء حسم مستقبل القمصـــان الخضراء التى لم تستطع الصمود فى وجهها فتبعثرت ‥ ولم يبق فى الساحة سوى القمصان الزرقاء وحدها ‥

هنا فقط تذكر محمد باشا محمود (الذى شجع وموّل احمـــد حسين اكثر من مرة) « ان هذه التشكيلات العسكرية او الشبيهة بالعسكرية لا وجود لمثلها فى بلد ديمقراطى ، وانما لجأت اليها الدكتاتورية الفاشية ، ثم لجأت اليها الدكتاتورية النازية ، ثم استبقتها الدكتاتوريتان لهما دعامة وعماداً »‥ فأصدر قرارا بحل هذه التشكيلات (١٠٩) ·

★ ★ ★

ويربط الكثيرون بين انتشار ظاهرة القمصان الملونة (الخضراء فالزرقاء) وبين انتشار ظاهرة البطالة وتفشيها بين المثقفين والمتعلمين بالذات ‥

فاذا كانت الدعوة لارتداء قميص ملون ‥ وان يصبح الانسان جنديا فى جيش الخلاص براقة بذاتها فانها تكون مغرية ايضا لانسان متعطــل خصوصا اذا ما كانت هذه الفرق حسنة التمويل ‥

والحقيقة ان هنــــاك تواكبا فعليا وواضحا من الناحية الزمنية بين الظاهرتين ‥ فقد كانت اعوام ٣٤ ــ ١٩٣٩ هى اسوأ الاعوام بالنسبة لظاهرة البطالة فى مصر ·

فالاحصاء الرسمى لعام ١٩٣٧ يقول ان هناك منّ بين ١٦ مليون هم مجموع ســـكان مصر ٨,٤٩٨,٥١٦ (من الذكور والاناث) بلا عمل على الاطلاق (١١٠) ·

لكن الظاهرة كانت اكثر فداحة وسط المتعلمين ، وثمة بحث ميدانى لخريجى مدرسة التجارة المتوسطة بالاسكندرية لعام ١٩٣٧ ‥ يؤكد ان عدد الخريجين ٩٨ ‥ وان المتعطلين منهم ٧٦ اى بنسبة ٧٧٪ (١١١) ·

(١٠٩) د· محمد حسين هيكل ــ المرجع السابق ــ هـ ٢ ــ ص ١١٥
(١١٠) محمد على علويه باشا ــ مبادىء فى السياسة المصرية · ص ٣٨
(١١١) عبد الحميد فهمى مطر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٥٠

٠٠وهكذا وبدافع من الغضب اليائس ٠ أو بدافع من الرغبة فى ايجاد مورد لاى قدر من الرزق اندفع امثال هؤلاء الشبان نحو فرق القمصان الملونة (زرقاء وخضراء على الســـواء) فاعطوها حجما مبالغـــا فيه ٠٠ ويفوق القدرات التنظيمية والشعبية الحقيقية للفكرة ذاتها او لدعاتها ٠

* * *

وكان لاحمد حسين ـ كما رأينا ـ طموحه العربى ٠٠

وكانت التوجيهات الفاشية ايضا تجد صداها عربيا ، يؤكد ذلك احد الباحثين قائلا « لقد كان للنجاح الباهر الذى احرزته الحركات الفاشـــية والنازية صداه المسموع فى منطقة الوطن العربى اذ ظهرت حركات مماثلة فى كل من مصر والعراق وسوريا ولبنان » (١١٢) ٠

وهكذا وعندما قامت حركة ـ رشيد عالى الكيلانى سارع أحمد حسين الى تأييدها وأعلن انها « ثورة » وقد « انضم اليها الشهيد مصطفى الوكيـل نائب رئيس مصر الفتاة الذى كان مدرسا بالعراق وأعلن باسمى تأييدنا للثورة » (١١٣) ٠

ويصف فؤاد نصحى أحد كوادر مصر الفتـاة حـركة رشـيد عالى الكيلانى بأنها « ثورة شعبية عربية » (١١٤) ٠ ويقول أن مصطفى الوكيل هرب مع بعض قادة الثورة بعد فشلها ٠

ولقد يثير التأمل المكان الذى لجأ اليه نائب رئيس حزب مصـــــر الفتاة ٠٠

فقد توجه الى المانيا ٠٠ يقول احمد حسين ٠٠ « وفى برلين استشهد الدكتور مصطفى الوكيل حاملا لواء المثل الاعلى فى مصر الفتاة ، استشهد الدكتور القديس لانه أبى أنْ يفر من برلين ، والا ان يظل على رأس ذلك المعهد الاسلامى الذى انشىء هناك وكان استاذا فيه » (١١٥) ٠

* * *

(١١٢) اسماعيل احمد باغى ـ حركة رشيد عالى الكيلانى ـ (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ٢٨٣ ٠

(١١٣) احمد حسين ـ وراء القضبان ـ سلسلة كتب للجميع (١٩٥١) ص ٥

(١١٤) فؤاد نصحى ـ المرجع السابق ص ١٤

(١١٥) احمد حسين ـ ايمانى ط ٢ ـ ص ٣٢٣

لكن النحاس ـ كعادته ـ لايترك خصومه دون ردع ٠

واذا كانت القمصان الزرقاء سبيلا لردع القمصان الخضر فانها كانت في الاساس درسا تلقته القصر والانجليز وقادة احزاب الاقلية ٠٠

ويبقى ان يتجرع احمد حسين مرارة الكأس حتى النهاية ٠٠

وعندما يقدم هارون أبو سحلة وهو واحد من النـــواب الاقطاعيين بايعاز من القصر الملكى باستجواب لرئيس الوزراء عن اســـباب مقاومة الحكومة لسفر بعض اعضاء مصر الفتاة فى رحلة الى الصـــعيد بالقميص الاخضر ٠ وجه النحاس ـ كعادته ـ الرد الصاعق ٠٠

فالقى فى مجلس النواب بيانا قال فيه « ثبت لوزارة الداخـــلية ان جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة اجنبية ضد مصلحة البلاد (ضجة) ولذلك قررت الوزارة حرصا على مصلحة الدولة ان تمنع تجوال اعضاء هذه الجمعية فى القرى بزى خاص ٠٠ خاصة وان هذه الجمعية تنطوى اغراضها وعلاقاتها على ما يضر بمصلحة الدولة العليا » (١١٦) ٠

وتحاول المعارضة ان تحرج النحاس فيقول فكرى اباظة فى المجلس « ان التهمة خطيرة تهم اعوان هذه الجمعيتكما تهم اصدقائها ، ونظرا لان كثيرا من الشباب متصل بهذه الجمعية فانه يرى تأجيل الاستجواب حتى تودع الحكومة وثائق الاتهام فى المجلس ليطلع عليها الاعضاء ولو فى جلسة سرية ٠٠ » لكن مصطفى النحاس يرفض قائلا « ان الوزارة متشـــبثة مما قدم اليها من الادلة وان هذه المسائل متعلقة بسياسة الدولة العامة ، وهى من اسرار الدولة ولا يمكن ان نتقدم بها ولن نتقدم بها لان اسرار الدولة فوق كل اعتبـــار » (١١٧) ٠

ودارت ماكينة الوفد لتؤدب « مصر الفتاة » اعلاميا ٠٠ وعمليا ٠

وتلمح الصحف الوفدية الى الدولة التى يقال ان مصر الفتـــاة على

---

(١١٦) مجلس النواب ـ الهيئة النيابية السادسة ـ مجموعة مضـــابط دور الانعقاد العادى الاول ـ المجلد الاول ١٩٣٦ ـ مضبطة يوم الاثنين ٢٢ يونيو ١٩٣٦ ٠ ص ٩٦ ٠

(١١٧) المرجع السابق

علاقة بها .. وتقول انها ايطاليا .. وتكتب آخر ساعة مقالا مستفيضة عن النشاط الايطالى فى مصر قائلة ان مقدار ما انفقته ايطاليا على الدعاية فى مصر خلال عام ١٩٣٥ « قد بلغ عشرين الف جنيه ، وانه تقرر زيادة هذا المبلغ الى الضعف فى عام ١٩٣٦ » (١١٨) .

كذلك بدأت عملية المطاردة فى كل مكان ضد مصر الفتاة حتى قال احمد حسين « شرع كل مصرى يعتدى علينا . فهو يضرب فى اشخاص قال عنهم رئيس الوزراء انهم خونة صنيعة دولة اجنبية » (١١٩) .

وحاول احمد حسين جاهدا أن يرد عن نفسه تهمة العمالة .. فتقدم الى النائب العام طالبا منه أن يحقق فى هذا الاتهام فاعتذر النائب العام بأن الحكومة لم تكلفه بذلك ، فطلب رفع الدعوى العمومية على النحاس باشا فرفض لان النحاس يتمتع بالحصانة البرلمانية (١٢٠) .

لكن النحاس نفسه يعاود الهجوم . فبعد أن اقيل قرر أن يقلب المائدة على الخصوم الكبار وعلى احمد حسين معهم .. فتقدم بعد اقالته مباشرة ببلاغ الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع احمد حسين قائلا انه « حين كان وزيرا للداخلية ورئيسا للحكومة اطلع على تقارير رسمية واوراق مختلفة تظهر أن جمعية مصر الفتاة كانت تتلقى اعانات مالية فى اوقات مختلفة من على ماهر ومحمد محمود واسماعيل صدقى وبهى الدين بركات ومحمد على علوبة وعباس حليم وعبد الخالق مدكور وغيرهم ممن وردت اسماؤهم فى التقارير والاوراق المذكورة ، هذا فضلا عما جاء فى هذه التقارير عن صلة هذه الجماعة بمصادر اجنبية ، وقال النحاس ان المعلومات التى وصلت اليه تثبت فوق الصلة المالية صلة سياسية تدل على الاتفاق فى الاغراض والخطط حيث ان احمد حسين كان وثيق الصلة بهذه الشخصيات ويتلقى اوامرها ويعرف أسرارها وخططها انتهى النحاس الى طلب التحقيق مع جميع الشخصيات التى ورد ذكرها فى طلبه (١٢١) .

---

(١١٨) اخر ساعة ١٩٣٦/٧/١٩

(١١٩) مراقعات الرئيس احمد حسين ـ المرجع السابق ص ١٢٣

(١٢٠) المرجع السابق ص ١٢٢ ـ وايضا ـ مصر الفتاة ١٩٣٩/٣/٢٧

(١٢١) المقطم ٢٤ـ١ـ١٩٣٨

لكن النائب العـــام لم يرغب فى فتح ملف هذه القضية الشـــائكة والتى تلمس شخصيات عديدة ••

كذلك احمـد حسين •• فبرغم انه كان بامكانه ان يواصـــل دعـواه القضائية التى رفعها ضـد النحاس باشـــا ليحصل على اثبات قضـــائى ببراءته من تهمة العمالة لدولة اجنبية •• فقد فضل ايضا الا يفتح هـــذا الملف والا تتاح الفرصة للنحاس باشا وهو خارج الحكم ليقول كل ما لديه من معلومات عن علاقات احمد حسين بالقوى السـياسية الاخـــرى وبالدولة الاجنبيـــة •

•• اسبب ما فضل احمـــد حسين ان يظل الاتهـــام الموجه ضده من اكبر زعيم شعبى فى البلاد بالعمالة لدولة اجنبية معلقا فوق راسه ، ورفض ان يفتح ملف التحقيق •• وتنازل طائعا مختارا عن دعواه القضائية •

وأعلنت مصر الفتاة « لم تعـد ضرورية لهذه القضـية خصوصا وان الوقت قد فات عليها » (١٢٢) •

---

(١٢٢) مصر الفتاة ـ ١٩٤٥/٨/١٥ •

الاســـــــلامية

في الطبعة الاولى لكتابه الهام « ايماني » وجه أحمد حسين الاهداء « الى رمز الجيل الجديد وطليعة المجد .. الى الجالس على عرش الفراعنة والعرب .. الى الملك المحبوب فاروق الاول ، أهدي هذه السطور لتكون رمزا لولائي واخلاصي حتى نهاية العمر » .

كان ذلك في ١٩٣٦ .

وفي ١٩٤٦ أصدر الطبعة الثانية من نفس الكتاب وكان فاروق قد فقد معظم شعبيته ولم يعد ممكنا أن يتحدث زعيم سياسي عن « ولائه واخلاصه حتى نهاية العمر للملك » .

وعلى الغلاف حلت العبارة التالية محل الولاء الكامل للملك .

« لا حد لايماني بعظمة مصر وقدرتها على قيادة العالمين .. ولا حد لايماني برسالة الاسلام وصلاحيتها لهداية الانسانية .. وهذا ما كرست حياتي من أجل تحقيقه أو الموت في سبيله » .

.. وفي الحقيقة ان التوجه الاسلامي لم يكن جديدا على أحمد حسين .

فمنذ زيارته الاولى لباريس في صيف ١٩٣٠ يقول .. « تزعزعت ثقتي بالمدنية الغربية في مظاهرها المادي وشعوري بأن هذه القواعد المادية الالحادية التي لا تعترف بحق أو فضيلة أو دين أو عرف أو تقاليد لن تنتهي الا بنتيجة واحدة هي تدمير أوربا شر تدمير . ولقد كان هذا فيما بعد مبدأ اساسيا من مبادىء مصر الفتاة التي قامت على التمسك بكل ما هو مصري وشرقي واحتقار كل ما هو أجنبي والتعصب للمصرية والاسلامية حتى آخر حدود التعصب » .

ويقول احمد حسين « وهكذا عدت من فرنسا .. وفي نفسي ألف رغبة للعمل والعمل في ميادين مختلفة .. وأفكاري تتبلور وتتكون نهائيا ، وايماني بمصر وضرورة العمل لبعثها بعثا جديدا داخل اطار الصيغة المصرية الاسلامية بعيدا عن زيف المدنية الغربية قد أخذ صورته النهائية التي لم يطرأ عليها تغيير بعد ذلك في أي تفصيل من تفاصيلها » (١) .

هكذا ومنذ البداية يربط احمد حسين دعوته لبعث مصر ، باسلاميتها وبابتعادها عن « زيف المدنية الغربية » .

---

(١) احمد حسين ــ ايماني . ط ٢ . ص ٤٨

وهو يؤكد فى كتابه « ايمانى » « قولوا للناس ان أردتم سعادة الدارين طريقكم هو الدين ، قولوا للناس ان أردتم استقلالا فطريقكم هو الدين ·· قولوا للنـــاس ان أردتم مجــدا فطريقكم هــو الدين · اعلوا كلمــة الدين وارفعوها » (٢) ·

وهو يقول ايضـــا : « ان داءنا قد تلخص فى علة واحدة تتركز فيها كل مصائبنا ، وتتلخص فيها كل آلامنا وتعتبر فى الحقيقة سر ما نحن فيه من ضعف وهزيمة وتلك هى فقدان روح الدين من قلوبنا وبالتـــالى ضياع الرحمة والعدل والتعاون والاخلاص فى العمل والقوة فى الحق » (٣) ·

وبرغم أن أحمــد حســين لدى اقترابه من الفاشية قد برر ذلك بأن « فيهــا الكثير من روح الاســـلام » فانه وعندما يرتدى مسرح « الاسلامية » يبتعد عن أهــم مقولات « الفاشية » وهى القوة وفلسفة الاعتماد عليها · القوة المادية مهما كنت سطوتها فهى سرعان ما تنحل وتنهزم ويبقى الخلود والأزل للقوة الروحية ، لان المادة فى النهاية ليست الا من تراب ، اما الروح فهى من أمر الله » (٤) ·

ومنذ البداية كانت صفحات جرائد أحمد حسين « الصرخة » ثم « مصر الفتـــاة » بالدراسات والمقالات الاسلامية ولعل اشـــهرها هى الاعمـــال الاســـلامية لحمــــد صبيح التى نشرها فى الملحق الادبى لمصر الفتـــاة (على بن ابى طــــالب (١٩٣٨) عمرو بن العـــاص (١٩٣٨) معـــاوية (١٩٣٨ محمــد (١٩٣٩) أبو بكر (١٩٣٩) ·· الخ) ·

والحقيقة ان فهم أحمــــد حسين للدين يقترب من فهم المحدثين من رجال الاســـتنارة الدينية فهو يقــول « لما كان القرآن قد أريد به أن يكون آخر كتاب ينزل للنـــاس ، فقد جعله الله قاصرا على القـــواعد الكلية التى هى بمثابة السنن الكونية التى لا يلحقها تغيير ولا تبديل ، والتى تصـــلح لكل زمان ومكان مع تعديلات فى التفاصيل والعرض ، دون الاصل والجوهر·

---

(٢) أحمد حسين — ايمانى · ط ١ ص ١٢١

(٣) عبد العزيز الدسوقى — المرجع السابق ص ١٢١ · نقلا عن احدى رسائل احمد حسين ·

(٤) مرافعة الاستاذ أحمــــد حســـين فى قضية تحطيم الحانات — القاهـــرة (١٩٣٩) — ص ٦

وهكذا افسح القرآن المجـال للعقـول والافهـام ، ومد لها فى سـبيل التطور والتحرر والارتقـاء ، ولم يضع للعقل قيودا أو سدودا أو محظورا، وكذلك الشأن فى سـائر مواهب الانسان ·· وما اكثر ما تضمنت آيات القرآن ما يشير الى هذا التطور والارتقاء (٥) ·

·· والحقيقة أن اندفاع بعض التيارات السياسية المصرية نحو الاتجاه الدينى يتطلب وقفه تأمل ·· يفسره البعض مثل الاسـتاذ الدكتـور أحمد عبد الرحيم مصطفى بانه نوع من التناقض بين النظام السياسى القائم والنظام العقائدى لتقليدى ، قائلا « فمصر » ــ كما رأينـا ــ كانت قد ورثت نظـاما عقـائديا يقـوم على الدين الاسـلامى وكان هذا النظـام قد تطـور وواكب أصولها المادية بحيث كان يمثل القـاعدة التى قام عليها كيانها السياسى ··· ومنذ أوائل القرن التاسـع عشر اخـذ الطابع الاسـامى للحكومة المصرية وبنيان اقتصادها ومجتمعها يتعرضان لتغيير سريع كان نتيجة لتجدد الاحتكاك بأوربا ــ هذا على حين ظل كيانها العقائدى جامدا ، وبمرور الزمن اخـذت الهوة تزداد بين الواقع والايديولوجية ، مما هـز النظام السـياسى القـائم وعرض المجتمع المصرى بستمرار لحـالة من عدم الاسـتقرار » (٦) ·

ثم هو يواصل تفسـيره لموجة التيارات الدينية التى ظهـرت أوائل الثلاثينيات ونهاية العشرينات (الاخوان المسلمين ــ مصر الفتـاة) قائلا « انها رد فعل عنيف ضد الفشـل الايديولوجى الذى منى به قادة المثقفين أيا كانت اتجاهاتهم ، وضد الفشل السياسى والاجتماعى للنظـام الوطنى الليبرالى (٧) ·

بينما يضيف البعض الآخر الى هذا التفسير الاخير اشارات الى الازمة الاقتصادية العالمية التى اجتاحت المجتمع العالمى عام ١٩٢٨ وامتدت آثارها المنيفة الى مصر ·· الامر الذى اوضح امام أعين الكثيرين فشل التوجيهات الراسمالية ، وحيث ان التوجيهـات الاشـتراكية لم تكن مطروحة فى اذهانهم ·· فقد كنت الاسلامية سبيلا جديدا مطـروحا كمفرج باق امام مصـر ··

---

(٥) أحمد حسين ــ نحو المجد ــ ص ٤٦

(٦) د· أحمد عبد الرحيم مصطفى · المرجع السابق ــ ص ١٥

(٧) المرجع السابق ــ ص ٨٣

كذلك كانت الضربات التى وجهت الى البنيان الدستورى والبرلمان المصرى منذ ولادته عام ١٩٢٣ ، بل وفور هذه الولادة مبعث تأمل لدى البعض حول مدى جدوى الانظمة الدستورية البرجوازية ومبعث توجه نحـــو النمط الاسلامى فى الشورى .. (٨) .

لكن البعض الآخر يفسر الامر كله مجرد « شعوذة » فمصطفى النحاس يجابه احمد حسنين عند مقابلته له فور تأسيس مصر الفتاة بقوله « انت دسيسة » ، ثم يقول ان كلمة « الله » التى وضـعتها فى أول شـعارك لست اراها الا شعوذة ، لان وضع كلمة الله فى برنامج سياسى هو شعوذة » (٩)

والحقيقة انهذا الموقف العنيف من النحاس باشا لم يكن مجرد مصادفة .. الصراع المستديم بين الزعامة الشـعبية وبين القصر الملـكى .. كان النحاس يتحصن فى قلعة الدستور منادياً بحكم الاغلبية فاذا بالقصـــــر وبارشاد وتوجيه من على ماهر والبندارى يتحصن فى حصن « الاسلامية » ويتخذها ذريعة لفرض ديكتاتورية القصر الملكى .

وتعليقاً على هذه الظاهرة يكتب السفير البريطانى الى حكومته برقية سرية يقول فيها « وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية فان المسألة الدينية هى أهم موضوع فى الوقت الحاضر ، وكما ورد فى تقاريرى السابقة فان دوائر القصر تبذل جهداً لاحاطة الملك بهالة اسلامية ، ومع انى شخصياً اشك فى تمسك على ماهر بأصول ودين فانه يساند تلك الجهود » (١٠) .

وبعدها بأشهر .. يعود السفير للكتابة لحكومته « لا يزال الملك فاروق بارشاد على ماهر باشا يواصل السياسة الاسلامية التى كان والده يسير عليها دون ان تكون له بصيرته » (١١) .

وقبيلها بفترة وعند الاعداد لمراسيم تولية فاروق العرش ثار جدال عنيف حول اضفاء مسحة « دينية » على هذه المراسيم .. وكان الهدف واضـحاً هو منح الملك سلطة دينية يجابه بها النفوذ « الدنيوى » للزعامة الشعبية ..

---

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيد . اليسار المصرى ١٩٢٥ — ١٩٤٠ — دار الطليعة بيروت — (١٩٧١) .

(٩) مرافعات احمد حسين فى عهد حكومة الوفد — ط ٢ — ص ٤٧

(10) F.O. 407/222 Lampson to Halifax - May. 6-1938. No. 510

(11) F.O. 407/222 Lampson to Halifax - Nov. 7-1938. No. 407

ويروى د· ابراهيم عبده القصة « وارادوا بدعه بابويه فى الاحتفال بيوم تتويج الملك فاقترحوا على النحاس ان يتم تتويج الملك حين بلوغه سن الرشد فى القلعة على ان يقلده شيخ الازهر سيف جده محمد على تماما كما كان يفعل البابا الكاثوليكى فى العصور الوسطى ، حين كان يضع التيجان على رؤوس الملوك ليكسبوا الشرعية فى بلادهم ورفض النحاس البدعة ، وقال ان الدستور صريح فى ولاية العرش اذ يتم تعيين الملك بان يقسم اليمين الدستورية فى محضر مجلس الشيوخ والنواب ··· قالوا تنفذ الدستور ونقترح ان يصلى الملك فى الازهر اليوم التالى على ان يدعو له شيخ الازهر دعاءا خاصا به ، ورفض النحاس ان ينفرد الملك بدعاء خاص ، فان فى ذلك ما يبيح لشيخ الازهر ان يتدخل فى شئون السياسة ويجب ان يكون الدين بعيدا عن مزالق السياسة وان يكون لشيخ الازهر مقامه المرموق فلا ينزل بهذا المقام فيصبح نيلا السلطان ·· وتنفذ الدستور » (١٢) ·

هكذا كانت لوقفة النحاس المتشددة ما يبررها · فقد كان يجابه محاولات القصر اللادستورية المتسترة خلف المسبحة الدينية ـ ليس هذا فحسب فان هؤلاء المنادين « بالاسلامية » كانوا يشيرون من طرف خفى الى وجود قيادات مسيحية فى القمة الزعامية لحزب الوفد · مثل مكرم عبيد وغيره ·· وفوق هذا وذاك كان النحاس فى ذلك الحين يحاول اقناع الدول الاجنبية بالتنازل عن امتيازاتها الاجنبية والتوقيع على معاهدة مونترو وكان يرى فى تصعيد الحملة الاسلامية فى هذه الآونة بالذات محاولة من خصومه السياسيين لتخويف أوربا ودفعها الى عدم التوقيع خشية احتمالات تطبيق « الحدود الاسلامية » على الاجانب المقيمين بمصر ·· .



وفى هذا المناخ بالتحديد · صعد أحمد حسين من دعوته · وذهب الى الحج وعاد وقد اطلق لحيته وغير اسم حزبه من مصر الفتاة الى الحزب الوطنى الاسلامى · ويتحدث احمد حسين عن « حجته » هذه والتى مثلت منعطفا هاما فى دعوته فيقول انه نعم يكرم الملك بن السعود ، وقد اظلنى الرجل برعايته ودعانى الى زيارة المدينة المنورة فى ضيافته » ·

---

(١٢) د· ابراهيم عبده ـ الديمقراطية بين شيوخ الحارة ومجالس الطراطير سجل العرب ١٩٧٨ ـ ص ١٢٧ ·

كل هذا حسن .. وممكن .. ومقبول ، لكن أحمد حسين يضيف فى صراحة غريبة أن الملك بن السعود .. « منحنى قبل مغادرتى الاراضى المقدســـة ما اعتاد أن ينفح به الوافدين عليه من هدايا وقد زاد عليها مبلغا من المال كاشتراك فى جريدة مصر الفتاة (!) وهكذا سافرت الى الحجاز وليس فى جعبتى الا القليل من المال ، وعدت من هناك متخما (!) بالمال » (١٣) .

واذ اطلق أحمد حسين لحيته .. فقد اصبح داعية للاسلام .. ويبدأ يقوم بمهام الداعية فوجه رسالة الى الملك فاروق يقول فيها « ليس ســـوى الاســـلام وتعاليمه الاجتماعية والروحية دواء لهذا العالم المنكود ويلمســم لجراحاته ، وليس سوى مصر من اعدها الله لتقوم بهذا الدور وهى لن تقوم به الا اذا أصلحت من شانها أولا وقبل كل شىء على اساس الاســـلام لتكون مثالا حيا لعظمة الاسلام وقوته . وهذا هو الذى حدا بنـــا أن نغير من اسم حزبنـــا وان نعدل فى برنامجنـــا بما يناسب هذه الاغـــراض ويؤدى الى تحقيقها .. » .

بل هو يلوح للملك الطموح بعمامة الخلافة الاسلامية قائلا « ما أحرانا ونحن اليوم مناط آمال اربعمائة مليون مســـــلم .. أن ننتهض اقوياء فى الارض .. للاضطلاع برسالتنا التى أعدنا الله لها وهى جمع الامم العربية وتحريرها وقيادة المسلمين والاشتراك بعد ذلك فى تقرير مصير العالم .. وفق رسالة الاسلام السامية » (١٤) .

ولا تتوقف مهمة « الداعية » عند حدود مصر .. فكما وجه دعوته الى مناط أمله فى مصر « فاروق » وجهها ايضا الى « هتلر » فيقول « ومن ابرز الاعمال التى تمت فى هذه الفترة السابقة على قيام الحرب تلك الرسالة التى بعثت الى الهر هتلر زعيم المانيا لدعوه فيها الى اعتناق الاسلام كوسيلة محققة لانقاذ المانيا » (١٥) .

ويواصل الداعية دعوته ..

ويعد مخاطبة الملك فاروق والفوهرر ، يصبح أكثر تواضعا فيخاطب محافظ القاهرة ..

---

(١٣) أحمد حسين ــ ايمانى . ط ٢ ص ١٧٠
(١٤) عبد العزيز الدسوقى ــ المرجع السابق . ص ١٣٢
(١٥) أحمد حسين ــ ايمانى . ط ٢ ــ ص ٢٢١

« حضرة صاحب السعادة محافظ العاصمة .

تعلمون سعادتكم ان البغاء حرمه دين الاسلام ، كما حرمته الاديان السماوية كلها ، وفرض القرآن عقوبة صارمة على الزانى والزانية ، ان يجلد كل واحد منهما مائة جلدة بلا شفقة ولا رحمة . ولذلك فمما لا يرضى الله ولا عباده المخلصين من ابناء هذه الامة أن يصرح بالبغاء الرسمى فى مصر التى ينص الدستور على ان دينها الرسمى الاسلام ، والتى هى على راس الدول الاسلامية .. واستنكار للبغاء واحتجاجا على وجوده للآن فى مصر الاسلامية عزمنا باذن الله على ان ننظم مظاهرة سلمية تقوم من الازهـــر الشريف يوم الجمعة ١٦ فبراير ١٩٣٩ ولن يكون فى المظاهرة الا نداءات محددة بسقوط البغاء والمطالبة بالغائه » (١٦) .

ومن الدعوة « بالتى هى أحسن » الى اســـتخدام العنف فى تدمير الحانات .. وفسر أحمد حسين ذلك بأنه نزول عند حد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فحطمت بعض حانات الخمر فى القاهرة والاسكندرية وبنى سويف وبور سعيد وقنا والزقازيق وغيرها » (١٧) .

وهكذا انغمس شباب مصر الفتاة فى معركة تدمير الخمارات فى عامين هما من اخصب اعوام الحياة السياسية والنضال الوطنى المصرى (١٩٣٩ — ١٩٤٠) وهى عملية وصفها احمد حسين نفسه فيما بعد بانها مجرد « اراقة لبعض الخمر » .

★ ★ ★

.. خلاصة الامر ، أعلن احمد حسين ١٨ مارس ١٩٤٠ تغيير اسم حزبه من « مصر الفتاة » الى « الحزب الوطنى الاسلامى » .. واستمر هذا الاسم مستخدما بصورة رسمية لتسع سنوات كاملة (*) وان كان الاسم القديم قد ظل العلامة المميزة للحزب ..

وقد رأينا فى صفحات سابقة كيف أن باحثا امريكيا Hoyuarth dun قد نسب فكرة تغيير الاسم واطلاق اللحية واستخدام « المفردات الاسلامية »

(١٦) عبد العزيز الدسوقى — المرجع السابق ص ١٣٠

(١٧) احمد حسين — ايمانى ط — ٢ ٣٢١

الفتاة والاخوان المسلمين خلفا بذلك قوة ضارية حقيقية وموحدة مناوئة للوفد .

ويروى أحمد حسين قصة مقابلة مع حسن البنـــا وطلبه للاندماج فى جماعة الاخوان المسلمين ..

« زار (أحمد حسين) الشيخ المهدى (حسن البنا) وقال : لما كنت أؤمن بالاتحاد فقد رأيت أن أقدم مثالا للشعب المصرى والعربى على وجوب الاتحاد .. وقد استطعت أن أقنع زملائى أن أعرض عليك اندماج جماعتنا فى جماعة واحدة مع جماعتكم ، بتنظيماتكم الراهنة ، وبتشكيلاتكم ومبادئكم ، وتحت زعامتك وقيادتك ، بعد أن ثبت أنك أنجح من شهدته هذه البلاد فى تنظيم الجموع وحشدها . وليس لنا شروط أو مطالب من أجل تحقيق هـذا الاندماج ، فنحن نضع أنفسنا تحت تصرفك كجنود فى حركة واحدة ، وكل الذى نرجوه هو أن تعرف الدنيا باتحدنا فيكون هـــذا العمل قـــدوه لباقى الجماعات والهيئات ، لكى تتعاون وتتحد فى وجه الخطر المشترك ، ولا تنس يا شيخ مهدى أن اتحاد حركتنا هو الذى سيقضى القضاء الاخير على الاحزاب القديمة البالية » ..

لكن الشيخ حسن البنا المستريب فى نوايا أحمد حسين وجماعته يرفض هذه اليد التى امتدت فى خشوع خاضع ومستكين ..

ويرد أحمد حسين على الشيخ ردا صاعقا لعله يمثل بذاته أحـــد المكونات الاساسية لاسلوب ومنهج أحمد حسين ..

فبعد أن تحدث فى خشوع عن وضع نفســـه وجماعته تحت قيادة الشيخ البنا وزعامته « ونضع أنفســـنا تحت تصرفك كجنود فى حـــركة واحدة » ، ولقد « ثبت أنك أنجح من شهدته هذه البلاد فى تنظيم الجموع وحشدها .. » بعد ذلك المديح .. وفى نفس الجلسة ينتفض أحمد حسين على اثر اعتذار الشيخ البنا ليوجه اليه كلمات عنيفة وليهدده متوعدا « اسمع يا شيخ لقد خطوت هذه الخطوة لتكون الفيصل النهائى بينى وبينك ، فاما تعاون صادق مخلص ، واما حرب لن تنتهى الا بكشف النقاب عن الاكذوبة الكبرى التى تمثلها » (١٨) .

(١٨) أحمد حسين — واحترقت القاهرة — الجزء الثالث من قصة ازهار — المطبعة العالمية — (١٩٦٨) — ص ٢٣٥ — ٢٤٠

.. ولعله يبدوا غريبا أن يسوق احمد حسين الرواية دون أن يكتشف ما بها من تناقضات عميقة فى المواقف ..

ودون ان يكتشف الصدمة التى يواجهها القارىء من الانتقال المفاجىء من المديح المفرط الى الهجوم الصاعق .. او أن يكتشف التساؤل المعلق بغير جواب .. لماذا هذه الرغبة الملحة « فى تعاون صادق مخلص » مع حسن البنا الذى يمثل فى رأى احمد حسين « اكذوبة كبرى » !

* * *

والاسلامية فى تفكير احمد حسين تأتى دوما الحلقة الثالثة من السلسلة المتصلة الحلقات المصرية ، فالعروبة ، فالاسلام ..

وقد حافظ احمد حسين على هذا الترتيب .. دائما وعن عمد ..

« غايتنا ان تصبح مصر فوق الجميع امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان ، وتحالف الدول العربية ، وتتزعم الاسلام » (١٩) .

وحتى فى اهــدائه لرواية ازهار يقول « الى اخى الدكتور مصطفى الوكيل مثلى الاعلى . وشهيد الوطنية والعروبة والاسلام » (٢٠) .

وهكذا ترتبط الحلقات معا ، وفق ترتيب محدد .

ومن هنا كان التوجه العربى فى مواقف وفكر أحمد حسين ..

وقد اكثر احمد حسين الحديث عن زعامة مصر للدول العربية .. لكن فكرة القومية العربية لم تكن واضحة فى ذهنه ، ربما لانها كانت مفتقدة فى التفكير السياسى المصرى بشــكل عام ، وربما لان « الاســلامية » طغت عليها ..

وعلى أية حال فقد طالب احمد حسين بتكوين « وطن عربى واحد ، على غرار الولايات المتحدة الامريكية وذلك بتحرير فلسطين وسوريا ولبنان

---

(١٩) احمد حسين — ايمانى — ط ٢ — ص ٨٤

(٢٠) احمد حسين — ازهار — ص ٥

والعراق والجزائر وتونس ومراكش وطرابلس وكل الاقطـــار العربية فى الشرق والغرب وكل الاقطار العربية من سيطرة اجنبية » (٢١) .

ولعل نصاً كهذا ، مضافاً الى المواقف المؤيدة للنهج العربى كانت المبرر لمبالغة بعض الباحثين فى قولهم أن حزب مصر الفتاة قد « جعل من منهجه الدعوة للفكرة العربية القومية » (٢٢) .

ولقد تتضح مدى المبالغة فى هذا القول اذا ما رجعنا الى مواقف احمد حسين نفسه .. حتى بعد حرب فلسطين وبعد انتشار التوجه العربى فى المناخ السياسى المصرى ..

يقول احمد حسين فى خطاب له القاه فى فندق ماى فير بلنـــدن (١٩٤٩) ..

« ان كثيرين يتساءلون هنا هل كان من الصـــواب هذا الدور الذى قمنا به فى فلسطين ؟ والجواب على ذلك اجل كان خيرا عظيما . يقولون اننا خسرنا اموالا وخسرنا رجالا .. اجل هذه هى الخسائر ولكنها لا تقاس الى جوار الارباح التى كسبناها ، لقد كسبنا ايها الاخوان ان اصبح لنـــا حيش يمكن الاعتماد عليه وليس هذا بالشىء القليل .. لقد ســـــرت روح العسكرية والجندية فى كل بيت ، لقد اصبح لنا شهداء ، واصبح لنا جندى مجهول نستطيع ان نحتفل به وان نضع على قبره الاكاليل » (٢٣) .

ولا كلمة واحدة عن العروبة .. فقط نظرة ذاتية صرفه ، وكأننا دخلنا حرب فلسطين من أجل أن يكون لنا شهداء وقبر للجندى المجهول . ومن اجل نشر روح العســـكرية ..

بل ان احمد حسين اذ يواصــــل خطابه يقدم توجهات بعيدة تماما عن التفكير القومى ، بل لعله يرتد بعيدا عنا تماما قائلا « بعض البلاد العربية التى دخلنا الحرب تأييداً لها خذلتنا شر خذلان فى أحرج الاوقات ، ولولا

---

(٢١) التقرير السنوى لحزب مصر الفتاة المقدم للجمعية العمومية المنعقدة فى ١٩٤٥/١٠/٢٦

(٢٢) محمد عزه دروزه .. حول الحركة العربية الحديثة ـ ج ٦ ـ هامش ص ٧

(٢٣) نقلا عن : عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ص ٨٦

صلاية الجيش المصرى لا نتهى الامر بنا الى كارثة محققة .. ولذلك فقد اصبح من الواجب علينا ان نهتم بانفسنا اولا وان نعمل على حل قضيتنا اولا ، وبعد ذلك نتصدى لحل القضايا الاخرى . لقد ضحينا بقضيتنا الخاصة من اجل فلسطين ، فلما جد الجد تخلى عنا هؤلاء الذين سيضارون بما حدث فى فلسطين بالدرجة الاولى فاصبح من الواجب علينا ان نعود الى قضيتنا الاولى وان ننظر الى مصر اولا » ..

لـكن النهض يستجمع اطراف شجـاعته ليضع قطعـا متبـاعدة من الصورة العامة جنبا الى جنب لتعطى بعدا جديدا تماما . هو الاسلامية .

ولكن .. هل كان التوجه الاسلامى اعتقادا ام « حيلة سياسية » تبرر المواقف وتقيل عثراتها ..

القائلون بهذا المنطق يقدمون حججهم فهم يقولون أنه ما من مازق وقع فيه احمد حسين الا وتحين الفرصة ليجد فى التوجه الاسلامى مهربا . امام المحاكم كان الهرب واضحا .

فعندما قدمت النيابة احمد حسين ومحمد صبيح الى المحاكمة بتهمة التحريض على قلب نظام الحكم بالقوة . دفعا التهمة بانهما كانا يدعوان الى حكم الشريعة الاسلامية وهذه الدعوة فى بلد دينه الرسمى الاســـلام لا تعتبر جريمة » (٢٤) .

وامام الجماهير كان نفس الهرب ..

فما من مازق سياسى وقع فيه احمد حسين حتى اعلن اعتزاله وانزوى بعيدا عن الانظار حتى تمر العاصفة بسلام فيعود ليمتطى موجة القيادة .

وقد فعلها احمد حسين اكثر من مرة .. وكان الاشتغال بالسياسة تجاره لا تمارس الا فى وقت الرواج ..

يقول احمد حسين تبريرا لذلك « انا رجل مؤمن ايمانا عميقا بالله سبحانه وتعالى واؤمن بالوسائل الروحية وانهـا تحـدث من الاثر فى هـذا الكون اكثر مما تحدثه اكبر الاعمال المادية فانا اشعر انى عنـــدما اظلم

(٢٤) مصر الفتاة – ١٩٣٩/١/١ وايضا نفس المرجع ١٩٣٩/٣/٦

فانزوى فى مكان فادعو على الظـــالم ٠٠ فانا دائما أؤمن بقـــوة العمل السلبى » (٢٥) ٠

ولقد تقبل من احمد حسين هذا القول ما لم يكن هو المبشـــر بسياسة القوة والممارس لعملية استخدام القوة عند الخصوم ، والتباهى بأن قتل احد خصومه فى شهور قد اثبت « ان لحم مصر الفتاة مر يستعصى عـلى الآكلين » ٠٠

وحتى فى كل فكرة قفز اليها احمد حسين كانت الحجج الاســلامية سندا ٠٠ ومبررا ٠٠

فعندما بشر احمد حسين بالفاشـــية ودعا لها كان يؤكد ان الاخذ بنظرية العمل عند النازية هو « رجوع الى المجتمع الاسلامى الحقيقى ، حيث لم يكن يعرف صاحب عمل ولا عامل ، ولم يكن يعرف حاكم ولا محكوم ، بل الكل اخوة متعاونون » (٢٦) وحديثه لمراسل « جورنال دى جنوا » يقول ، « استطيع أن اؤكد ان الفاشية فيها الكثير من الاسلام » (٢٧) ٠

وولاؤه التام للعرش يجد له ايضا مبررات دينية ٠

« انظـروا الى التـاج الذى يزين بلادكم ، والى العرش الذى يفيض جـــلالا عـلى امتـــكم ، انظـــروا الى القـــائد الذى اجتمعت عنـــده الدنيــــا بالدين ٠٠ الا ترونه لم يدع ناحيـــة من نواحى الحيــــاة المصرية الا مسح بيده عليها فالجيش هو على راسه والدين هو حاميه والشباب هو سيده وقائده ، ومصر هو رمزها وأملها وأمم الاسلام وشعوب العربية هو ملتقى انظارها ومعقد رجائها » (٢٨) ٠

ومن الدعاوى الاسلامية الى القول بالخلافة « الخلافة نظام صالح ، وصالح للمسلمين حقا اذا وجد الخليفة الصالح » ٠٠ لكن احمد حسين

---

(٢٥) مرافعة النيابة العامة فى قضية (الجناية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا (قضية حريق القاهرة) ــ ملف مكتوب بالالة الكاتبة ومطبوع بالرونيو فى ١٧٠ صفحة فولسكاب ٠ص ٧٥ ٠

(٢٦) مصر الفتاة ــ ١٩٣٨/٧/١٨

(٢٧) مصر الفتاة ــ ١٩٣٨/٨/١١

(٢٨) مصر الفتاة ــ ١٩٣٩/٢/٢٣

كان يعد عمامة كبيرة ليضعها على رأس فاروق ، تلك هى عمامة الخلافة ، « وكان الغرض من القول بحكم الاسلام أن تحكم مصر بفاروق بوصفه خليفة المسلمين » (٢٩) ٠

وأحمد حسين لا يخفى ذلك فالخليفة الصالح موجود ٠٠ وهكذا تستخدم الدعوة الاسلامية للوصول الى هدف محدد ٠٠ يقوله أحمد حسين صراحة ودون مواربة « نحن نعرف أنه لم يدر بعد مسعى رسمى فى الخلافة ، ولكن قلوب المصريين تريدها ، ونحن ننادى بزعامة مصر للاسلام وخلافة فاروق ، وسيتم ان شاء الله ذلك برضا جميع المسلمين وملوكهم وزعمائهم بعد فترة قصيرة من الزمن » (٣٠) ٠

ولم يكن ذلك ببعيد عن مخطط القصر الملكى ٠٠ ففاروق صلى الجمعة بالقاهرة وصلى خلفه ولى عهد الحجاز وولى عهد اليمن وهتافات أبناء مصر الفتاة تنادى به خليفة للمسلمين (٣١) ٠

وفاروق عند أحمد حسين لم يكن مجرد خليفة للمسلمين بل كان أكثر ٠٠ كان أميرا للمؤمنين « ملك فى هذه السن المبكرة يتصرف كأمير للمؤمنين حقا ، بل وكأمير ممن يعتز بهم المسلمون فعلا ٠ انها ارادة الله وكلمته ٠ انها دعوة من الله للمسلمين فى مصر وفى جميع أنحاء الدنيا ٠ ان الكلمة اليوم للدين ، وان نجاتهم هى فى عودتهم لدينهم » (٣٢) ٠

٠٠ ويروى د ٠ محمد حسين هيكل كيف كان البندارى باشا فى هذه الآونة بالذات متحمسا لفكرة الخلافة وللنظام الاسلامى للحكم ٠ (٣٣) بما يوحى انه كان المخطط هو وعلى ماهر لهذه التوجهات كسبيل لتعزيز مكانة القصر الملكى فى مواجهة الوفد وحركة الجموع الشعبية ٠

فأين كان موقع أحمد حسين من ذلك كله ؟ ٠

لعل الاجابة واضحة ٠

---

(٢٩) د ٠ عبد العظيم رمضان ــ المرجع السابق ص ٢٣٦
(٣٠) مصر الفتاة ــ ١٩٣٩/١/٢٨
(٣١) د ٠ عبد العظيم رمضان ــ المرجع السابق ص ٢٣٧
(٣٢) مصر الفتاة ــ ١٩٣٩/٢/٢٣
(٣٣) د ٠ محمد حسين هيكل ٠ المرجع السابق ﺣ ٢ ــ ص ١٥٦

وحتى عندما انقلب أحمد حسين اشتراكيا فقد استخدم أيضا نفس المقولات والحجج التي برر بها توجهه من قبل نحو الفاشية .

يقول أحمد حسين « وأشعر بمصر الفتاة في رسالتها الاشتراكية الجديدة ، وقد امتلأت من جديد للحياة والعزم والتصميم على أن تواصل كفاحها وجهادها في سبيل تحقيق هذه الغاية التي عملت منذ اليوم الاول على تحقيقها وهي أن تصبح هذه البلاد فوق الجميع دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام » (٣٤) .

وهو يؤكد أيضا كما أكد بالنسبة لكل برنامج قدمه أن « أن برنامج الحزب الاشتراكي لا يستمد من كارل ماركس ، وانما يستمد من الاسلام والمسيحية والاديان السماوية » (٣٥) .

وأية كانت أسباب هذا التوجه « الاسلامي » ومبرراته .. فقد ظل الاسم الرسمي « الحزب الوطني الاسلامي » ساريا ، حتى بعد أن حلق أحمد حسين لحيته وبرغم أن اسم « مصر الفتاة » كان الاكثر شهرة والاكثر استخداما ...

وبعد تسع سنوات تغير الاسم رسميا وفعليا الى الحزب الاشتراكي .

(٣٤) أحمد حسين — وراء القضبان — المرجع السابق — ص ١٤٠

(٣٥) الاهرام — ٢٤/١٠/١٩٤٩

وايضـــــا ..

الاشــــتراكية

نحن الآن فى عام ١٩٤٩ .

كل شيء يختلط ، ويختلف عما كان ، أمور كثيرة تتغير ، الصراعات الوطنية القومية والسياسية والطبقية تتصاعد وتحتدم الى حد الاشتعال .

المقولات القديمة كلها سقطت .

الفاشية موت أعلامها وهزمت هزيمة جعلت كل حديث عن الاقتراب منها تهمة تستوجب التنصل والتبرؤ .

القصر الملكى الذى تعهد أحمد حسين للجالس على العرش فيه بالولاء الابدى أصبح هو أيضا مكروها والانتساب اليه مسبه وعارا وطنيا .

وحرب فلسطين التى دعا لها أحمد حسين بحماس واندفع كعادته متطوعا للقتال .. تكشف عن مؤامرة ، وأسلحة فاسدة ، وعن خيانات فاضحة ارتكبها سياسيون كان أحمد حسين يضع نفسه فى سلتهم .

القضية الوطنية متعثرة ، وكل مقولاته هو والشعارات التى نادى بها سقطت ، احرق هو ورجاله كل ما استطاعوا من كتب انجليزية وفرنسية لكن الاحتلال لم يخرج . والقضية عرضت على مجلس الامن ـ وكان هو من المتحمسين لذلك ـ دون أى أمل ، القيادات السياسية التى تحالف معها ضد الوفد أسفرت عن وجهها القبيح فى عداء سافر للشعب وفى موالاة مستمرة للاحتلال .. وهو نفسه تصور فى أمريكا حلما فتوجه اليها داعيا ومتحمسا وعاد وقد شبع كلاما وخطبا دون جدوى ..

وحتى التوجهات « الاسلامية » فى الحقل السياسى انهارت اركانها امام عينه ، جماعة الاخوان المسلمين انغمست فى الارهاب فتعرضت للارهاب المضاد من السلطة ، وقتل شيخها الكبير ، ورجالها « رهبان الليل وفرسان النهار » يتهاوون تحت مطارق التعذيب الوحشى وتنطلق اعترافاتهم على انفسهم وعلى اخوانهم وعلى جماعتهم ..

كل الطرق القديمة مسدودة .. ولا مخرج .

وفى هذه الأزمة شد أحمد حسين رحاله الى انجلترا وهناك « شاهد النظام الاشتراكى (1) والضمانات الاجتماعية التى يعيش فى ظلالها

الشعب الانجليزى ، واتصل بشبان مصر الاحرار الذين يدرسون فى البلاد الاوربية واستمع الى افكارهم الجديدة فعاد الى مصر وقد اختمرت فى نفسه فكره » (١) .

هل من سبيل لعمل سياسى جديد ومنطلق وقادر على التأثير ؟

لعل هذا السؤال راود احمد حسين كثيرا بينما كل الممكنات التى اعتاد

عليها واعتمد عليها تختنق بين يديه ، علم واحد ظل يرتفع على هذا الكون .. ولم يزل يواصل ارتفاعه .. علم الاشتراكية .

لكن الامر ليس سهلا بالنسبة لسياسى أعتاد واعتمد على السير فى اطار السياسة القائمة واعتاد واعتمد على عون ومساندة سياسيو اكثر الطبقات الاجتماعية الحاكمة رجعية وتخلفا .

الامر ليس سهلا ..

فالانتقال من الفرعونية الى الفاشية ، كالانتقال من صداقة محمد محمود الى صداقة على ماهر محاوره فى نفس الملعب وعلى نفس الارضية التابعة والخاضعة للنظام القائم .

اما الاشتراكية فشىء آخر ..

وهى شىء آخر حتى ولو كانت تحصر نفسها فى اطار « الاشتراكية الانجليزية ! » او الدعاوى الاصلاحية .. هى شىء آخر لانها هى بذاتها الانتقال ملعب آخر هو ملعب الخصوم ..

ومن هنا فلا مجال للاعتماد على مساندات القصر ولا مساندات قيادات احزاب الاقلية ، ولا الباشوات الاقطاعيين اعداء حزب الوفد من امثال محمد محمود باشا وعلى ماهر باشا وعلوية باشا ومدكور باشا .. الخ .

الامر صعب .. والاختيار اكثر صعوبة ..

ويمضى عبد العزيز الدسوقى ليصف الحالة النفسية التى انتابت « الزعيم » وهو يستشعر صعوبة الاختيار فيقول « وظل (احمد حسين)

---

(١) عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٧

يفكر طويلا ، وتتنازعه عوامل شتى ، وبدأ الصراع يحتدم فى نفسه عارما جبارا ، وأوشك اليأس أن يدب الى نفسه فاعلن اعتزاله الحياة السياسية ، وذهب ليعتكف فى شربين بلدة رفيقه فى النضال المجاهد ابراهيم شكرى نائبه فى رئاسة الحزب ، ومازال حتى انتصر على اليأس فى نفسه وعاد الى الميدان من جديد وقد اعتزم أن يضحى فى سبيل ذلك بكل شىء • فغير اسم الحزب وأطلق عليه الحزب الاشتراكى وان كان الجوهر ظل واحدا • والايمان متوحد ، وانما الذى تغير هو التكتيك • القشرة السطحية » (٢) •

وقد حرص أحمد حسين على التأكيد على أن مناداته بالاشتراكية هى مجرد استمرار لتوجيه قديم •• « فما مشروع القرش الا حركة اشتراكية ، وما كان كفاح مصر الفتاة الا على قواعد ، اشتراكية •• واذ أصبحت الاشتراكية هى نظام العالم الحديث ، فقد أصبح من الحق أن نسمى الاشياء بمسمياتها وأن نصف مصر الفتاة بوصفها الصحيح وهو الاشتراكية •• الاشتراكية التى هى صميم الاسلام ولب دعوته ، وهكذا أعلنا برنامج الحزب الاشتــــراكى » (٣) •

والى هنا فاننا يتعين علينا أن نتوقف قليلا حتى لا نشعر بالارتباك ، أو نكتفى باطلاق المسلمات قائلين هو مجرد فاشى فاشل يأتى الآن ليتمسح بالاشتراكية • سياسى يغير ثيابا بالية بأخرى جديدة •• لكن هذا القول المطلق ليس صحيحا ، وليس علميا ••

وعلينا أن نعود قليــلا الى الوراء لنتأمل ونفحص مؤلف وكتابات أحمد حسين حتى عندما كان يدعو الى الفاشية •

وابتداءا فان اطلاق كلمة « الاشــتراكية » فى خضم العمل السياسى لا يعنى بالضرورة الانتماء اليها لا فكرا ولا عملا •

فالحزب النازى كان يقول « بالاشتراكية القومية » ، بينما يضع نفسه فى خدمة أكثر الاحتكارات الرأسمالية شراسة واستغلالا مستخدما لافتة الاشتراكية القومية • وكان يدمر كل ممكنات نضال الطبقة العاملة مدعيا أنه انما يحقق مصالحها ••

---

(٢) المرجع السابق ــ نفس الصفحة •

كذلك فان القول « بالاشتراكية » حمال اوجه كما يقولون ..

فاذا كان احمد حسين يعتبر « مشروع القرش » اشتراكية فالآخرون يرون عكس ذلك ، ويتساءلون كيف تسنى لحكومة اســماعيل صدقى أكثر حكومات الطبقات الاستغلالية المصرية تشددا وعنفا أن تؤيد بل وان تبالغ فى تأييدها ومساندتها لمشروع اشتراكى ..

على اية حال .. يتعين علينا اولا لكى نكون منصفين للرجل وللبحث الذى نقـوم به ، وثانيا لكى نفهم معنى ومغزى التوجه الاشــتراكى عند احمد حسين .. أن نعود فنطالع ما قال انه دعوه اشتراكية قديمة ..

« ان لكم دينا اشــتراكيا يعجز العالم فى القرن العشرين عن بلوغ مستواه . هذه الزكاة التى فرضت علينا أليست اقتطاع جزء من مال الاغنياء ليمنح للفقراء الامر الذى يحاول العالم عبثا الوصول اليه فلا يستطيع ؟ »(٤)

ويقول ايضا « ولقد امعنت النظر طويلا فى ذلك فعرفت السر فى كل هذا الفقر فهو ناجم عن سوء توزيع الثروة ، فبينما يحتكر الاجانب جميع رؤوس الاموال وكل تجارة مصر الخارجية ، ويداينون مصر هذا الدين المشـئوم الذى هو أقرب الى الديـون غير المشروعة .. والاراضى المصرية مرهونة للاجانب ، وفى ظل الامتيــازات يضمن الاجانب لانفســهم التفــوق المــالى والاجتماعى فالثروة فى مصر موزعه توزيعا سيئا والاجانب يستولون على كل غنائمها »(٥) .

ومثل هذه الدعوه ضد الهيمنة الاجنبية على الثروة المصرية ، هى دعوة وطنية ، يمكن أن ينادى بها ، بل لقد نادى بها الرأسماليون المصريون.. ليس لانهم اشتراكيون وانما ضجرا وتململا من هيمنة الاجانب على الاقتصاد المصرى .. انها دعوة لاسـترداد الســوق المصرى من أيدى الرأسماليين الاجانب .. والى هنــا تكون دعوة وطنيــة صرفه ، أما طبيعتها الطبقية فيحددها اســتكمال الدعوة استرداد الســوق المصرى ليوضع فى يد من ؟ هنا يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود وتتضح الطبيعة الطبقية للموقف

---

(٣) احمد حسين — الارض الطيبــة — رســالة فى الوطنيــة — القــاهرة (١٩٥١) ص ١٧٢

(٤) احمد حسين — ايمانى — ط ١ — ص ١١٩

(٥) المرجع السابق — ص ٦٢

الوطنى والى هنا لم يقل أحمد حسين كلمة توحى بتوجيه اشتراكى حقيقى ، ولم يكن هذا ممكنا .. فهـذه الكلمات تكتب فى عام ١٩٣٦ عام الولاء الابدى للجالس على العرش وعام تلقى المســاعدات الســياسية والماليـة من عتاة الباشوات الرأسماليين » .

فاذا ما واصــلنا فحصنا للموقف فاننــا نجد بعض التوجيهــات الاصلاحية .. مثل المطالبة بترقية الفلاح اجتماعيا باقامة المساكن الصحية له وهدم المساكن القديمة بالقرى ، على أن تدبر الاموال اللازمة لهذا المشروع بتخفيض مرتبات الموظفين (!) وفرض ضريبة على الدخل الذى يزيد عن مائة جنيه » (٦) .

وكذلك فقد تعهـد أحمد حسـين فى عام ١٩٣٨ بأنه اذا تولى الحـكم « فسيجد عملا لكل عاطل » (٧) .

ونلاحظ انه كان فى ذلك الحين يمتدح قدرات موسولينى وهتلر على حل مشكلة البطالة فى يوم واحد (!) .

وتعـود النزعة الاصـــلاحية الباهتـة والغير مكتملة لتطل فى بعض كتابات عام ١٩٤٤ « يجب أن نرتقى بالزراعة التى تكون ثروة مصر الحقيقية فنجدد وسائلها ونتوع محاصيلها ، ونزرع أراض جديدة ونشق الترع وننشىء المصارف ونعمل لمضاعفة الانتــاج ، ويجب أن يعمم نظام التعاون فى كل مدينة وفى كل قرية ... يجب أن تسترجع مصر مركزها القديم كدولة صناعية تمد الشرق القريب والبعيد بالمصنوعات .. فيجب أن نشيد المصانع لنغزل كل قطننا وصوفنا وكتاننا .. ويجب أن توضع الحماية الجمركية اللازمة لحماية الصـــناعة الوطنية وأن تحتم الحكومة على موظفيهـا وعلى طلبـة مدارسها أن تكون ملابسهم من المصانع المصرية ، وأن تفضل الحكومة دائما المصنوعات المحلية .. » (٨) .

الى هنا والكلام جيد ومفيد ويندرج تحت المواقف الوطنية ، ولكن هذه

---

(٦) الصرخة ١٩٣٦/٣/٣١

(٧) مصر الفتاة ١٩٣٨/٥/٩

(٨) مصر الفتاة ـ ٦ نوفمبر ١٩٤٤ ـ احمد حسين مشروع برنامج مصر الفتاة الذى اقر فى عام ٤٥

الاراضى والمصانع من يمتلكها ، وتعمل لحساب من ؟ ذلك هو السؤال الذى لم يقترب أحمد حسين منه ..

وحتى عندما ناقش احمد حسين مشكلة الفقر فان الحل الذى طرحه بدا فى اعين الكثيرين حلا ساذجا .. أو لا حل على الاطلاق .

فهو يهاجم الفقر بشدة « لا يوجد مرض يفتك بالمصريين فتكا ذريعا وبالمسلمين والشرقيين على العموم بمقدار ما يفتك بهم الجهل ، ثم هذا الفقر المدقع اللعين الذى لن تجدى مقاومته بالوسائل السلبية بل لابد لمحاربته من وسائل ايجابية » (٩) .

ولكن اية وسائل ايجابية يقترحها أحمد حسين للقضاء على الفقر .. الاجابة ربما ساذجة وربما لا تعنى سوى الاستخفاف بالقارىء « اننى ادعوك للغنى » « اننى اذ ادعوك للغنى أعلن سخطى على الفقر بكل الوانه واشكاله » (١٠) .

وببساطة نفض أحمد حسين يديه من المشكلة .. لقد دعا الفقراء كى يصبحوا أغنياء لكنه نسى أن يقول لهم كيف ؟ .

على اية حال .. لقد رفع أحمد حسين أعلام الاشتراكية فوق البيت الاخضر معلنا انتماءه الى الموجه الصاعده محليا .. وعالميا ..

فهل نحاول نتأمل المقولات الاشتراكية لاحمد حسين ورجاله وحزبه ..

فى البداية .. وبينما كان أحمد حسين بعد فى انجلترا يتلمس الطريق نحو التوجه الاشتراكى كان ما أعلنه من افكار بدائيا وربما فجا فهو يقول « ومره أخرى ترى الحكومة المصرية (لاحظ انها حكومة ابراهيم عبد الهادى باشا (١٩٤٩) قد خطت خطوة فى الاتجاه الصحيح ولكنها كالعادة لا تزال دون الغاية ، لقد انتهى البرلمان المصرى من اقرار الضريبة التصاعدية على الدخل العام للافراد ... وترى هذه الروح التى أملت هذا القانون فى كل مكان ، ولقد ارتقت المصانع الكبرى بمستوى عمالها حتى لقد رأيت بعينى

---

(٩) أحمد حسين ـ نحو المجد والعلم والمال ـ القاهرة (١٩٤٥) ـ ص ١٠٣ .
(١٠) المرجع السابق . نفس الصفحة .

رأس أكثر من مصنع يقدم اللبن لعماله بدلا من الماء (!) ويقدم لهم وجبه مغذية من الطعام بالمجان ، ووجدته يعد لهم النوادي الرياضية التي جهز بعضها باحواض السباحة كأرقى ما يوجد منها في العالم ويتقاضى العامل بعد ذلك ما بين سبعين قرشا أو مائة قرش في اليوم ، فضلا عن الاسطوات الذين قد يتجاوز ما يتقاضونه مائة وخمسون قرشا في اليوم .. وهكذا حملت طلائع النهضة الصناعية نهضة العمال معها » (١١) .

والسؤال هو لماذا كانت الدعوة الى الاشتراكية ضرورية اذا كانت الحكومة ورأسماليوها يقدمون لمصر ولعمالها هذه الصورة الوردية والمجتمع السعيد .. ؟

وحتى بعد أن تكرست الاشتراكية منهاجا للحزب فان الافكار غير الناضجة ظلت تتردد وتجد من يدعو لها «ان الروح الاشتراكية التي تؤمن بها اليوم لم تكن منعدمة تماما ، بل انها كانت موجودة في حركتنا منذ انشائها ، كانت موجودة في جمعية مصر الفتاة ثم في حزب مصر الفتاة ، ثم في الحزب الوطني الاسلامي ثم مرة أخرى في مصر الفتاة بوضوح وجلاء خاصة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية .. ولكن الواقع ان هذا الجديد لم يكن كما نريده وكما نهدف اليه اليوم .. فقد كان منشوداً في خضم الدعاوى الاخلاقية والاقتصادية التي نادى بها الرئيس منذ ثمانية عشر عاما ، وكان يأمل في أن تعبر الطبقات الراسمالية المتحكمة عن وطنيتها وتباعد بينها وبين مطامع الاستعمار وتترك الشعب يشق طريقه نحو الاشتراكية في تطور وهدوء بعيدا عن الصراع الطبقي الحقيقي ، وكان أحمد حسين في هذا انسانيا الى حد كبير ، وكان يؤمن بانسانية الشعب المصري ويعتبر الاستقلالية وأعوان الاستعمار طبقة من طبقات الشعب يرجو لها الهدى والرشاد .. وكأنما هذا الذي حدث في تلك الثمانية عشر عاما أراده من عند الله فلقد ظهرت الحركة التي يقودها الزعيم من العناصر الفاشية والوصولية والرجعية (!) ، ووضحت أمام التاريخ اليوم على حقيقتها حركة اشتراكية كاملة المعالم» .

ويمضي الكاتب محاولا أن يفسر لماذا انتظر أحمد حسين طويلا حتى يرفع علم الاشتراكية على حزبه .. فقال .. «انه كان » من الضروري أن تمر هذه السنين الطوال حتى تستكمل الراسماليات المصرية تعاونها المطلق الصناعي(!)

---

(١١) عبد العزيز الدسوقي .. المرجع السابق — ص ١٠٠

مع الاستعمار حتى تتكشف هذه الطبقات امام الشعب المصرى بكافة طبقاته ، لا سيما وان الشعب المصرى مطبوع على روح النبوة (!) » (١٢) •

وثمة كاتب آخر يقول « اننا لا نستطيع أن نحل مشكلة الفقر بتوزيع ثروة الاغنياء على الفقراء كما يتوهم البعض • فثروتنا الزراعية اليوم خمسة ملايين وخمسمائة الف فدان من الاراضى المزروعة ولو وزعت على المصريين بالتساوى لخص كل فرد ثلث فدان ولصار الشعب كله فقيرا ، وحكمنا على الجميع بالفقر » (١٣) •

ولسنا نعتقد اننا من حقنا أن نحاكم الحزب الاشتراكى بمقولات كهذه •• لكنها قيلت على اية حال ونشرت على صفحات الجريدة الرسمية للحزب •

لكن الامر لم يكن كله كلاما كالسابق •• فثمة مقولات متسقة وتعبر عن نهج صحيح أو قريب من الصحة « ان الاشتراكية تعنى اشتراك اهالى الفريق الواحد أو المدينة الواحدة أو الوطن الواحد فى تحصيل رزقهم العام وتوزيعه عليهم على قدر اشتراكهم فى تحصيله ، تحت وصاية حكومة ديمقراطية تنتخبه انتخابا حرا صحيحا • ومن هذا التعريف يتضح قاعدتان هامتان »

القاعدة الاولى : وهى الجانب الاقتصادى وهو أن جميع الاهالى يشتركون فى حدود طاقة كل فرد فى تحصيل الثروة العامة لهم ، ثم يشتركون معا فى توزيعها عليهم على قدر اشتراكهم فى تحصيلها ، اى أن كل فرد ياخذ من الثروة أو من الرزق بقدر ما يعطى او بقدر ما يبذل من جهد وعمل فالتفاوت فى المجهود وفى التحصيل يتبعه تفاوت فى مقدار الرزق فى التوزيع ، هنا تبرز نظرية لكل فرد بقدر عمله وجهده المشهورة •• وهى تطابق جميع الاديان بل هى من صميم الاسلام فالله سبحانه وتعالى يقول « كل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت • وهذا ما يسمونه بالديمقراطية الاقتصادية •

والقاعدة الثانية : وهى الجانب السياسى للاشتراكية وهى أن تقوم بتنظيم عملية تحصيل الثروة وتوزيعها على الناس حكومة شعبية منتخبة

(١٢) مصر الفتاة ـ ١٩٥٠/١/١٦ مقال بقلم عبد الوارث محمد رضوان
(١٣) مصر الفتاة ـ ١٩٤٩/٣/١٤ مقال بقلم كامل حسين لصحى •

منهم انتخابا حرا مباشرا صحيحا فتكفل العدالة فى تحصيل والتوزيع واحقاق الحق بين الناس ، وهنا تتمثل الديمقراطية باجلى معانيها » (١٤)٠

لكننا بذلك نتخطى الاحداث فلنتوقف قليلا لنطالع معا نصوص البرنامج الاشتراكى الذى اعلنه احمد حسين وتبناه الحزب وتحول على اساسه من الحزب الوطنى الاسلامى الى حزب مصر الاشتراكى (١٥) ٠

« الله والشعب » شعار الحزب ٠

« فالايمان بالله خالق هذا الكون وعبادته هو اساس الاجتماع البشرى ، وعبادة الله لا تتجلى فى شىء قدر تجليها فى خدمة الشعب فى صدق واخلاص ٠٠ فهدف الشعب وشعاره هو عبادة الله عن طريق خدمة الشعب بتحريره من الخوف والجهل والمرض والعوز ، وحمايته من ان يقع فريسة القهر أو الاعانات أو الاستغلال ، فالحرية الشخصية وحرية الخطابة وحرية العقيدة وحصانة المسكن وحرية الصحف وحرية الاجتماع والتظاهر السلميين ، وحق الشعب فى تاليف الجمعيات والاتحادات وحق كل فرد فى السعى لترشيح نفسه للنيابة وتقلد الوظائف العامة للاشتراك فى ادارة بلاده وحرية الانتخابات ، وبالجملة كل ما تضمنه الدستور المصرى من حقوق الشعب ٠٠ كل هذه يعتبرها حزب مصر الاشتراكى حقوقا مقدسة ودعائم قوية للمحافظة على كيان الشعب المصرى ٠ وكل محاولة الانتقاص منها أو المساس بها فضلا عن اهدارها لاى سبب من الاسباب تعد بمثابة اعتداء على الامة وخيانة لها ٠

٠٠ وبعد هذه المقدمة تاتى مباشرة فقرة عن التامين الاجتماعى الذى اعتبره حزب مصر الاشتراكى اساسا هاما من اسس

وتقول هذه الفقرة « المصريون جميعا منذ ولادتهم حتى نهاية حياتهم فى كفالة الدولة التى يتعين عليها ان تسهر عليهم منذ الطفولة المبكرة ٠٠ وتأمينهم ضد المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ضامنة لهم حد ادنى من المعيشة الكريمة اللائقة بما وصلت اليه الانسانية من الحضارة المادية

(١٤) الاشتراكية ـ ٣٠/١/١٩٥٠ مقال بقلم احمد الصباحى ٠
(١٥) راجع النص الكامل فى كل من :
احمد حسين ـ الارض الطيبة ـ مطبعة جريدة المصرى (١٩٥١) ص ١٧٣ ـ ١٧٨
والطليعة ـ ابريل ١٩٦٥ ـ ص ١٣٤ ٠ والنصان متطابقان

والعلمية ، فلا يكون هنــاك بيت خال من المـاء أو الكهرباء ولا يكون هناك مصرى ولا يتذوق نعم الحياة الحديثة ٠٠ » ٠

ثم بعــد ذلك ٠٠

ـ « التعليم حتى نهـــاية المرحلة الثــانوية واجب على كل مصرى ومصرية بالمجان ، وحق التعليم لمــا فوق هذه المرحلة من حـــق كل مصرى ومصرية لا تحول بينــه وبينها موانع من المــال أو قلة الامكنة » ٠

ـ « العمل واجب على كل مصرى وهو فى ذات الوقت حق له ٠٠ وحق العمــل مشفوع بحق الراحة بأجــر ، ويتقاضى كل عامل ما يتناســب وكفاءته وانتاجه من ناحيــة وحالتــه الاجتماعية من حيث عــدد أفراد اسرته من ناحية ثانية » ٠

ـ « هدف حزب مصر الاشتراكى أن يحل الانتاج الجماعى محــل الانتــاج الفــردى ليكون المقصود منــه هو تحقيق مصلحة المجمـــوع ٠٠ ويجوز للأفراد فى مرحلة الانتقـــال امتلاك المصانع وانشاؤها وادارتهـــا بشرط أن تعمل وفقا للشروط التى تضعها الدولة لنظام العمل وثمن السلع أن تعمــل وفقا للشروط التى تضــعها الدولة لنظام العمــل وثمن المصـــانع وكيفية التصرف فى انتاجها ٠ على أن الصناعات الكبرى والرئيســـية وكل الصناعات التى تتصل بالمنفعة العامة للشعب كالمياه والنور والمواصـلات التى ستقوم الدولة بانشائها وفق مشروعاتها الموضوعة فهذه كلها لا يمـكن أن تكون محلا للاستغلال أو التكسب أو لاهـــواء الفرد بل تكون مملوكة للدولة أى المجموع » ٠

ـ « لعلاج الاوضاع الحالية فى مصر ـ عن طريق قانونى ودســتورى وعلى سبيل التدرج ـ تبتاع الدولة أطيان جميع الملاك الذين تزيد ملكيتهم عن هذا القدر ولا يعملون فيها ، وذلك فى مقابل سندات على الخزينة المصرية تستهلك فى خمس وعشرين سنة وتخول لحاملها ربحا سنويا وقابل للتداول ليتمكن من بيعها واستغلال أمواله فى نواح اخــرى ٠ وتوزع الدولة الارض المشتراه على الذين يرغبون فى شراءها من صغار الملاك الذين يملكون أقل من خمسة أفدنة أو المزارعين الذين اعتــادوا العمل فيها أو استئجارها وذلك فى مقابل أقســاط صغيرة ٠٠ على أن لا يزيد ما يمتلك بهذا الاســلوب على خمسة أفدنة ٠ وعلى أن يتم الانتـــاج الزراعى فى سائر انحاء البـــلاد

بصورة جماعية فيؤلف ملاك ومزارعو كل بلد او قرية يزيد زمامهـا عن الف فدان جمعية تعاونية للانتاج على صورة اتحاد زراعى ٠٠ » ٠

ـ « تتولى الضرائب التصـاعدية وضرائب التركات والضرائب على الكماليات اعادة توزيع الثروة فى مصر توزيعا عادلا ٠٠ » ٠

ـ « يعمل حزب مصر الاشتراكى على توحيد الشـعوب العـربية كلها فى ظل دولة واحدة يطلق عليها اسم الولايات العربية المتحدة » ٠

ـ « يؤمن حزب مصر الاشتراكى بوجوب توطيد السلام العالمى على التآخى بين البشر على اختـلاف الوانهم واجناسهم واديانهم ومقـاومة كل محاولة أو فكرة ترمى الى الاستعمار أو الاستعلاء أو استغلال الانسان لاخيه الانسان أو تحكم دولة كبيرة فى اخرى صغيرة » ٠

٠٠ والبرنامج كما نرى جيد الصياغة ، بل لعله قد نجح فى نكاء واضح فى تقديم مطالب اشـتراكية واضحة تتخطى حاجز المجتمع القائم آنذاك وفى نفس الوقت تلتزم جانب القانون والدستور ٠

ماذا عن الوسيلة ٠٠ والممارسة ٠٠ ؟

الوسائل حددها البرنامج بوضوح وتفصيل لا يدع مجـالا لأى تأويل أو اختـلاف فى التفسـير « لا سبيل لتحقيق المبـادىء السابقة الا بنشر العلم والاخلاق ، وتربية الشعب تربيـة اجتماعية على أوسع نطـاق ٠٠ ويؤمن الحـزب أن حب الخير واقناع الناس والاخلاص فى القـول والعمل هو كل السلاح اللازم لتحقيق البرنامج السابق » ٠

مرة اخرى ٠٠ حب الخير واقناع الناس به والاخلاص فى القـول والعمل هو كل السلاح اللازم لتحقيق البرنامج ٠

هذه هى الوسائل ٠ فماذا عن الممارسة ؟

وللممارسة شقان ٠٠ فى البرلمان وفى صحف الحزب هكذا قال احمد حسين « قاد ابراهيم شكرى الحملة فى البرلمان ٠ وقادت جريدتنا الاشتراكية الحملة خارجه » (١٦) ٠

---

(١٦) احمد حسين ـ الارض الطيبة ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٩ ٠

في البرلمان كان للحزب نائب واحد هو ابراهيم شكرى وممارساته فى البرلمان نموذج لمواقف الحزب فى فترة صعود الحركة الوطنية والثورية الى اقصى موجات الارتفاع ..

« قدم ابراهيم شكرى سلسلة من التشريعات الاشـــتراكية كتحديد الملكية بخمسين فدانا توزيع ما زاد على ذلك على صغار الفلاحين ، وتشريع آخر بالغاء الرتب والالقـــاب وتشريع ثالث بتنظيم اتحادات الفـــلاحين والعمال » (١٧) .

ومطالعة مضابط مجلس النواب فى هذه الفترة تقدم لنا صورة عن مواقف ابراهيم شكرى ..

— « ان الأوان ان نضمن قوانين العمال فى مصر كل ما من شانه ان يرفع من حالة هذه الطائفة الكبيرة (العمال الزراعيين) التى تعانى الآن العسف والارهاق » (١٨) .

— « ان سوء توزيع الملكية الزراعية سيظل المشكلة الاولى التى تقف فى وجه اى اصلاح داخلى يقصد به رفع المستوى الاجتماعى فى مصر ، ويجب على اية حكومة تريد الاصلاح حقا ان تعيد النظر فى توزيع الملكية الزراعية فى مصر » (١٩) .

— « كذلك دعا ابراهيم شكرى الى خفض قيمة الايجارات الزراعية ورفع دخل العامل الزراعية (٢٠) .

— « وعندما طلبت الحكومة تخصيص ٠٠٠ر٣٢٠ر١ جنيه من ميزانية وزارة الحربية لاصلاح اليخت المحروسة الخاص بالملك فاروق وقف ابراهيم شكرى ضد هذا المطلب وقال « كنت اود ان اسمع ان هذا الاعتماد الكبير هو لشراء قطع حربية بحرية تفيدنا وقت الحاجة او ان يكون لعمل آخـــر قد تفيد منه البحرية المصرية الناشئة » (٢١) .

---

(١٧) المرجع السابق — نفس الصفحة

(١٨) مجلس النواب ، مضبطة الجلسة ١٩ (٢٥ ابريل ١٩٥٠) ص ٥٤

(١٩) مجلس النواب — مضبطة الجلسة ٤ (١٣ ديسمبر ١٩٥٠) ص ٤٤

(٢٠) مجلس النواب — مضبطة الجلسة ٥ (١٢ فبراير ١٩٥٠) ص ٢٢

(٢١) المرجع السابق

— « كذلك « فقد قدم ابراهيم شكرى استجوابا لرئيس مجلس الوزراء عن حديث أدلى به الملك فاروق لصحفى انجليزى ونشرته جريدة أخبار اليوم سنة ١٩٥١ • ورفض ابراهيم شكرى ان يدفع شيئا من مرتبه للاشتراك فى الهدية التى كان البرلمان سيقدمها للملك بمناسبة زواجه » (٢٢) •

والمعارضة هنا فى اطارها العام تتسم بالشجاعة وتلمس مصالح الجمهور ••

أما فى صفوف الحزب فقد كانت الممارسة أكثر عنفا وأشد حماسا ••

•• « انصبوا المشانق ، ولكن الشعب سينتصر — انتهى العهد الذى يظن فيه الحكام انهم قادرون على البطش بالشعب عن طريق البوليس والجيش والنيابة ، وأصبح الجيش يحس انه من الشعب والبوليس يحس أنه من الشعب والنيابة تحس انها من الشعب وستأتى ساعة تتكتل فيها هذه القوى الثلاثة ضد الحاكم نفسه ففى يوم من الايام بينما تدعو النيابة الى قطع رقبة انسان اذا بالنيابة تتحول نحو الحاكم نفسه لتقول له : بل رأسك انت الذى سوف يقطع » (٢٣) •

— « ان الضغط سيتحول طوفانا يغرق ونارا تحرق يوم يتجمع بعضه الى بعض ، ويتجمع فى طريق واحد ساحقا ماحقا كالسيل ، لقد آن أن يتحرر العبيد ، وسنعلم كيف يتحرر العبيد » (٢٤) •

— « ان الناس هم الذين يأخذون حريتهم أخذا ، وانه لو بصق كل فرد من هؤلاء العشرين مليون بصقة واحدة على من يسمونهم الضيوف لاغرقوهم جميعا ان هذه الجماهير تمتلك قوة لايقف لها المستغلون • قوة أكبر من السجون والمعتقلات ، وأكبر من كل قوة تتصدى لها فى البلاد ، ولكن الجماهير لا تتجمع لتضرب ضربة واحدة تحقق العدل الاجتماعى فى الداخل والاستقلال فى الخارج » (٢٥) •

— « الشعب سيمضى فى جهاده الى ان تلحقه الحكومة فاذا ظنت أنها قادرة على وقف زحف الشعب فسوف يغمرها السيل وسيغمر كل عصابة الرأسماليين المتآمرين على مصالح البلاد العليا » (٢٦) •

---

(٢٢) عبد العزيز الدسوقى — المرجع السابق — ص ٩٤٨ •
(٢٣) مصر الفتاة ١٤/٨/١٩٥١
(٢٤) الشعب الجديد ١٢/٧/١٩٥١
(٢٥) الشعب الجديد ١٢/٦/١٩٥١
(٢٦) الشعب الجديد ٢٣/١٠/١٩٥١

« وليس لي أن أقول للشعب إلا كلمة واحدة ، استمد قوتك من نفسك لا من هؤلاء الباشوات واسمع قول حكيم انقضوا أو انفضلوا ، فإنها كلمة الساعة حقيقيا » (٢٧) .

— « فهل يدرك السادة والكبراء إلا أن العبيد يثورون وأنهم عندما يثورون يحرقون ويدمرون ولا تفلح معهم القوة » (٢٨) .

— « إننا نطالب ونحذر فليس وراء هذه التصرفات سوى الثورة — الثورة الحمراء وقد أعذر من أنذر » (٢٩) .

— « لن يبعد اليوم الذي يكون فيه مصيركم ومصير نظامكم هو مصير كاي شيك وأمثاله ومصير قياصرة روسيا وعندما تطيح رقاب فئات وطبقات فلن تكون هذه الفئات والطبقات التي تطيح هي من أفراد الشعب أو الفلاحين أو الكادحين وإنما الرؤوس التي ستهوى هي رؤوس الغافلين اليوم الذين يعيشون فوق مستنقع يزكم الانوف » (٣٠) .

والآن .. قد يبدو سهلا أن نتأمل كل ما سبق من مواقف في البرلمان ومن مقالات صحفية لنقول أنه خطر الفكر الجديد الصاعد ودفء حركة الجموع الشعبية الدافقة في صخب واحتدام طوال عامي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ..

ولقد يكون مفيدا في هذا الصدد أن نقيس هذه المواقف والمقالات بمواقف ومقالات عام ١٩٤٧ أي قبلها بأشهر قليلة .. لكن المد الشعبي كان خلالها متحسسا بل ومتباطئا .

وليس هذا عيبا ولكن ما يحير الباحث هو علامة استفهام بل لعلها علامة تعجب أصر أحمد حسين أن يسجلها على نفسه كتابة وحتى خلال تصاعد المد الثوري .. لعله كان يحاول بها أن يبرز أمام أصدقاء قدامى أو أصدقاء محتملين هذه السخرية البادية في الكلمات والمواقف .

---

(٢٧) مصر الفتاة ١٨/١١/١٩٥١ من خطاب لحلمي الغندور مراقب الحزب .
(٢٨) الشعب الجديد ٢٩/٦/١٩٥١ .
(٢٩) الشعب الجديد ٦ /٩/١٩٥١
(٣٠) مصر الفتاة ـ ٢٨/٧/١٩٥٠

يقول أحمد حسين فى جريدة الاشتراكية ٠٠ يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٥١ أى فى أوج تصاعد الحركة الشعبية وانتفاضها علاقة تهدد بالاطاحة بالنظام كله

أحمد حسين يقول (ولا ندرى لماذا سجل على نفسه هذا القول وفى هذا الوقت بالذات ، ولكن كان يوجه الحديث) « هذه الجريدة هى صمام الامن التى تنفست عن عواطف الناس الحبيسة المكبوتة باسلوبها الصريح الذى عبرت فيه عن بعض ما يجيش فى قلوب الناس ٠٠ هذا الشعب يجب أن يجد متنفسا من أى فرع كان ، حتى يستفرغ غضبه بالطريق الطبيعى ٠٠ حتى لا يحدث الانفجار الذى لا معدى عنه ولا محيص » (٣١) ٠

لنتأمل هذه العبارة « هذا الشعب يجب أن يجد متنفسا » لماذا ؟ « حتى يستفرغ غضبه بالطريق الطبيعى ٠٠ حتى لا يحدث الانفجار » ٠

وتتضخم علامة الاستفهام ٠٠ أو بالدقة علامة التعجب ٠

ولكن بعض الباحثين قد التقط هذه العبارة وعبارات أخرى مماثلة وربما أكثر وضوحا ـ قالها أحمد حسين فى تحقيق النيابة عندما قبض عليه بعد حريق القاهرة ٠٠ لينسجوا منها مبررا للاسترابه فى كل المواقف والمقولات السابقة ٠ بل أن أحد الباحثين يرى « أن الاشتراكية التى عبرت عنها جماعة مصر الفتـاة كانت احـدى الحركات التى ولدت لمعارضـة الحركة العمـالية بطابعها الثورى » (٣٢) ٠

يبقى أخيرا استكمالا للبحث الاكاديمى أن نضع اشتراكية أحمد حسين فى موقعها ازاء الاشتراكيات الاخرى وخاصة الماركسية ٠٠

ولن نحاول هنـا تقـديم تقييم أيديولوجى للالتقاءات والاختـلافات فقط سنكتفى بمقولات أحمد حسين نفسه ٠

« ان برنامج الحزب الاشتراكى لا يسـتمد من كارل ماركس أو لينين وانما يستمد من الاسلام والمسيحية والاديان السماوية التى تقرب بين البشر وتحث على التعاون والتضامن والعدالة الاجتماعية » (٣٣) ٠

(٣١) الاشتراكية ٢٣/٩/١٩٥١
(٣٢) د٠ سيد عشماوى ـ المرجع السابق ص ٢٤٤
(٣٣) الاهرام ـ ٢٤/١٠/١٩٤٩

ويقول احمد حسين أيضا فى مقال حديث له « اشتهرت قبل الثورة انى على خلاف مع الاحزاب القديمة كلها ‥ كما كنت على خلاف مع الاخوان المسلمين فى التكنيك وليس فى الاستراتيجية . وانا على خلاف جذرى مع الافكار الماركسية » (٣٤) .

ويقول ايضا « قد تنجح الماركسية فى اى مكان فى العالم ولكنها فى تصورى لا يمكن ان تنجح مع الفلاح المصرى الذى تجرى حضارة ألوف السنين فى دمائــه » (٣٥) .

وفى روايته واحترقت القاهرة يدور هذا الحوار الذى يبداه احد اعوانه قائــلا :

« ولكن هذا ليس من اخواننا انه شيوعى » .

ويرد فوزى (احمد حسين) ومن الذى قال ان الشيوعى ليس من اخواننا ، حقا اننا نختلف معهم اختلافا جذريا ‥ ولكن ذلك لا يخرج الشيوعيين عن كونهم اخوانا لنا فى الوطن والانسانية » (٣٦) .

ويحاول احمد حسين أن يحدد الفرق بينه وبين الشيوعيين ، بل لعله كان حريصا على ذلك حرصا شديدا « نحن نريد ان ننزع الارض على الفلاحين العاملين ثم عليهم ان يزرعوها متعاونين فى مساحات كبيرة مستخدمين احدث الآلات التى تقدمها لهم الدولة ، والفرق بيننا وبين الشيوعيين ان الآخرين يريدون مصادرة أراضى الاغنياء بدون تعويض اما نحن فلكى يكون اجراءنا عدلا كله لا تشوبه شائبة من ظلم واستبداد. فنحن نعطى اصحاب الاراضى ثمنا لاراضيهم مقسطا على عشرين عاما » (٣٧) .

وفى بعض الاحيان يقدم احمد حسين دفاعا عن الشيوعية وعن تطبيقها فى الاتحاد السوفيتى فيقول « كان يظن خطا ان الشيوعية فى روسيا قد هدمت الاسرة من اساسها ، وان الدولة هى التى تتولى تربية الاطفال ولكن سرعان ما تبين ان ذلك لم يكن كله الا وهما ودعاية ، وان الاسرة فى المجتمع الروسى

(٣٤) الاخبار — ١٩٧٥/١٢/٢١ مقال لاحمد حسين .
(٣٥) الطليعة — يناير ١٩٧٥ — رسالة من احمد حسين ص ٣٩
(٣٦) احمد حسين — واحترقت القاهرة — المرجع السابق ص ١
(٣٧) الاشتراكية ١٩٥٠/٨/١٨

هى من اقوى الاسر الاوربية ترابطا واتحادا حتى فى ظل الشيوعية ، ولولا ذلك لما نجحت روسيا هذا النجاح العجيب فى هذه الحرب » (٣٨) .

وذلك رغم أن أحد أعوان احمد حسين قد حرص على أن يؤكد « لم يكن الانقلاب الروسى عام ١٩١٧ مترتبا على اعتناق الروس لمبادىء الماركسية فما كان ٩٥٪ من مجموع سكان هذه الامبراطورية قد سمعوا بماركس ولا بنظرياته ولكن الصدفة وحدها (!) هى التى أدت الى هذا الانقلاب » (٣٩) .

.. وكانت احداث الحرب العالمية الثانية ومعارك ستالينجراد قد تركت بصمات الاعجاب بالاتحاد السوفيتى لدى الكثيرين .. حتى احمد حسين. الذى كتب يقول « لم يتصور فى الدنيا أن اسم ستالينجراد سيكون هو أحد الاسماء فى هذه الحرب » (٤٠) .

ومن هنا فان احمد حسين وبرغم عدائه للماركسية قد أعلن فى عام ١٩٤٧ « حان الوقت الذى نفرق فيه بين الشيوعية كمبدأ وبين التعامل مع روسيا كدولة عظمى لان روسيا نفسها تفرق بين الاثنين » (٤١) .

وعندما أيد الاتحاد السوفيتى مطلب مصر بجلاء الانجليز .. وساند قضيتها فى مجلس الامن عام ١٩٤٧ مساندة كاملة كتب احمد حسين يقول « اما وقد وقفت روسيا هذا الموقف فقد أصبح واجبا علينا نحو أنفسنا أن نزيد فى علاقاتنا معها ، وأن نرد التحية بمثلها ، بل ونتخذ من صلاتنا الودية مع روسيا سلاحا نشهره فى وجه العدوان البريطانى ومن يلوذ به أو يؤيده » (٤٢) .

لكن أحمد حسين اذ يطالب بعلاقات مع الاتحاد السوفيتى فانه يطالب بها من أجل أسباب محددة « سيترتب على ذلك أن تكف روسيا عن مناصرة

---

(٣٨) احمد حسين — الزواج والمرأة — مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٤٦) — ص ٢١

(٣٩) محمد صبيح — روسيا — دار الثقافة العامة — القاهرة (١٩٤٥) — ص ٥٦

(٤٠) احمد حسين — وراء القضبان — كتب للجميع — مطابع جريدة المصرى (١٩٤٩) ص ١١٢

(٤١) احمد حسين — خطاب المؤتمر الوطنى — المرجع السابق — ص ٢٠

(٤٢) د. فؤاد المرسى خاطر — العلاقات المصرية السوفيتية — دار الثقافة الجديدة — ص ٩٢ نقلا عن مصر الفتاة ١٩٤٧/٩/٢٢ .

دعاة الشيوعية فى مصر ، كما انها تسقط حجة الانجليز والامريكان فى وجوب احتلال منطقة قناة السويس والرضوخ لمطالب اسرائيل » (٤٣) .

وعلى أية حال « وأيا كان تقييمنا لهذا الموقف الذى اتخذه احمد حسين من الاتحاد السوفيتى فانه قد جلب عليه بعض المتاعب ..

وكان دليل اتهام ضده فى قضية حريق القاهرة تناولته النيابة العامة بالتفصيل والافاضة فى مرافعتها » (٤٤) .

---

(٤٣) الاهرام – ١٩٥٠/٥/١٤ .

(٤٤) مرافعة النيابة العامة فى قضية حريق القاهرة – المرجع السابق ص ٧٨

ثالثا :
الرجل والمواقف

★ البـــداية
مع القصر الملكى
وأعـــوانه

★ ثـــم
الى نيويـــورك
وفلســطين
فالاعتـــزال

★ النهـــاية ..
معركة القنـــال
حريـق القـــاهرة
وثـورة يوليـــو
فالحـــل ..

ومن الحديث عن الافكار ننتقل الى المواقف ٠٠٠٠

وهنا ايضا نجد انفسنا مضطرين الى ان نقطع المســافة بين النقيض والنقيض ٠

نسعى مع المواقف فى رحلة السياسة المتقلبة ، باحثين عن ذلك الخيط الاســاسى الذى يربط بينها ، مؤملين ان نجد ارتبــاطا بين الفكرة والموقف ، محاولين نســتكشف العلاقة بين تلك القــدرة الفائقــة على التقلب بين الافكار والاقتدار فى التقلب بين المواقف ٠

لكن التقلب ليس هواية ٠٠

انه منهج ٠

منهج فى التفكير ومنهج فى الممارسة ٠

وهو ليس مجرد اختيار وقتى او فردى ، انه البرجوازى الصغير ، الذى قد يقف صغيرا امام الاحداث الكبار ، مبالغا كالعادة فى تقديره لنفسه ، ولعبقريته ولقدراته على التلاعب بالآخرين ، بينما هو فى واقع الامر مجرد ورقة يتلاعبون هم بها ٠

قدر البرجوازى الصغير ان ينظر فى مرآت الاحداث فلا يرى الا نفسه ولا يلمح الا مصلحته الذاتية وتتضاعف المأساة عندما يتصور انه قادر على ان يلوى عنق الاحداث ليسيرها وفق هواه وعلى ضوء مصلحته ٠

ويصعد البرجوازى الصغير مع الموجة الصاعدة ، وقبل ان تهبط يسارع بالفرار ، عازفا نغمة اخرى ، وفى كلا الحالين هو اسير رؤية قاصرة ، لا تنتج سوى قبض الريح ٠٠

وهكذا فانه قد يهبط فى واقع الامر كلما استشعر انه يصعد على اكتاف الآخرين ٠ وهو يهبط اكثر كلما تصور ان الهروب نجاة ، وان الانحناء ذكاء ، وان الاستخفاف بعقول الناس عبقرية ٠

٠٠ نتابع المواقف ٠٠ محاولين نستنتج من تقلباتها منهجا ما ٠٠ ومنطلقا ما ٠

ولسنا نحاول هنا تعداد المواقف أو حصرها ، كذلك نحن لا ننتقى مواقف بعينها ، لكننا نحاول أن نستخلص ما هو علم من رؤية ذات طابع شمولى لمجمل المواقف والتوجيهات ••

ولقد يكون من المنطقى أن نتأمل هذه المواقف عبر ثلاثة مناطق زمنية •

— المرحلة الاولى التى نسميها « البداية » وهى تمتد منذ التكوين عبورا بالثلاثينات وحتى بدايات الحرب العالمية الثانية ••

— ثم الثانية وتمتد عبر الاربعينات وحتى تغيير الحزب لمبادئه ولافتته واعلانه للتوجه الاشتراكى ••

— اما الثالثة والتى نسميها « النهاية » فتعبر بنا بضع سنوات قليلة •• منذ أعلان اسم الحزب الاشتراكى (١٩٤٩) وحتى قيام ثورة يوليو (١٩٥٢) واستسلام الحزب فى أسترخاء ودون اى تردد لقرار الحل ••• مرورا بأحداث القنال عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ وبحريق القاهرة ••

وهذه التقسيمات الثلاث ليست بغير منطق •• وليس منطقها زمنى صرف ، لكن كلا منها تعبر عن مرحلة فكرية وسياسة وعملية متكاملة الابعاد ومختلفة التوجه ونهج ••

مرة أخرى •• لسنا نرصد كل المواقف حتى لا يتهمنا احد بالتقصير • ولسنا ننتقى ما نشاء كى لا يتهمنا أحد بالتصيد والاغراض •• نحن ذ فى نظرة ذات طابع شمولى ، ونتوقف عندما هو موضح ومحدد للطبيعة العامة للحزب ولأساليبه وللمرحل ومنهجه ••

البـــــــداية

مع القصر الملكي
واعـــوانه

في البدء كان محمد محمود باشا ، وكانت « جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة » ، وكان اصرار احمد حسين والحاحه على أن يصبح محمد محمود دكتاتوراً ، أو بالدقة ان يصبح اشد دكتاتورية مما كان ..

ثم توالت الاحداث ..

وسقط محمد محمود وانتهى تأييد أحمد حسين له ..

وبدأت علاقة جديدة مع رجل جديد .. هو علي ماهر باشا ..

وعلى ماهر باشا رجل صديق لمصر الفتاة (١) ، هكذا اكد احمد حسين اكثر من مرة . ومن موقعه في القصر الملكي استطاع على ماهر ان يساند احمد حسين ، وان يشد أزره وان يقدم له العون المالي (هكذا اعترف أحمد حسين ايضا) وكل اشكال المساعدة .

وكتابات احمد حسين تفيض ولاءاً واعجاباً بعلي ماهر ..

وعلى ماهر باشا ، رجل من رجالات مصر التابعين ، وهو فذ بين رجال الجيل القديم ، ولقد بادر بمناصرة مصر الفتاة منذ اليوم الاول الذي طلبت منه نصرته ، خاصة وأن مصر الفتاة كانت تحفظ للرجل مواقفه المشرفة في ثورة ١٩١٩ وجهوده الموفقة لجعل الدستور المصري على احدث النظم العصرية .. وقد استطاعت مصر الفتاة أن تتنفس الصعداء ، في ظل وزارته لاول مرة في حياتها ، فرحنا نجتمع في حرية ونجوب البلاد في حرية ، وسرعان ما اشتد نشاط مصر الفتاة في كل مكان فتألفت الشعب ، واقيمت الإجتماعات العامة ، ودعيت للخطابة فيها في سرادقات تتسع للالوف من المستمعين ، وبدأت روح مصر الفتاة تسري في كل مكان (٢) ..

فاذا كانت الولادة على يد محمد محمود باشا ... فان النشأة كانت على يدي علي ماهر باشا ..

.. ومن أيضا ؟

يقول احمد حسين « وكان من بين وزرائه (علي ماهر) سعادة محمد علي علوبه باشا الذي طالما حضر اجتماعات مصر الفتاة واعانها ببعض أمواله (!) والذي كان على رأس الذين ودعوني بالحفلة عند سفري الى لندن (٣) » .

(١) احمد حسين — ايماني جـ ٢١ — ص ٢٢٦ .
(٢) المرجع السابق — ص ٢٢٥ .
(٣) المرجع السابق — ص ٢٢٦ .

وليس هذا فقط ..

فان احمد حلمين يقول في روايته ازهار « لقد اقيمت الاحتفالات الضخمة بمناسبة عودة حركة البعث (مصر الفتاة) .. وكان يضاعف في ضخامة الحفلات واحتشاد الالوف لسماع خطب فوزى (احمد حسين) .. تصور الكثيرون ان ساعة اشتراك حركة البعث في النفوذ والسلطان قد دنت ، فلم يخف رئيس الحكومة عطفه على الحركة واطلق لها الحركة الكاملة ، وعين مديرا لمكتبة بناء على طلب فوزي احد اعضاء الجماعة ليكون حلقة اتصال بينهم واستجاب لأخطر اقتراحاتهم الخاصة بتقوية الجيش وتدعيمه ووضع عزيز باشا مدير مدرسة البوليس السابق والذى كان قد أصبح صديقا للجماعة على رأس الجيش » (٤)

بل ان على ماهر باشا رئيس الوزارة قد حرص على ان يعلن مرات عديدة عن استقباله لاحمد حسين (٥).

واحمد حسين يعترف أيضا باشتراكه في مخططات على ماهر ضد الوفد .. بل يعتبر ان ذلك هو — في حد ذاته — مبرر للتحالف مع على ماهر او للولاء له ..

يقول احمد حسين « خرج على ماهر من الوزارة وجاء الوفد ، وقد خرج على ماهر بنية العودة الى الحكم ، ومنذ اليوم الاول الذى بارح فيه الوزارة شرع يعد الخطط ويحكم التدابير للعودة الى الحكم ، ونحن لا نرى في ذلك حرجا ، ولا نؤاخذ عليه على ماهر . بل كنا نرى هذه المحاولة من ناحيته متفقة مع برنامجنا ، فهو لا يقدر على القفز الى الحكم الا بعد اجلاء الوفد بمثله . والقضاء على سيطرة الوفد سواء في الحكومة او بين طوائف الامة هو بغيتنا وانشودتنا .. ذلك اننا نؤمن ان الوفد وسياسته هي القدر الاول في حالة الافساد وقلب الاوضاع التى نشاهدها في الحياة المصرية باسرها . ومن اجل ذلك توافقنا وعلى باشا ماهر على التخلص من الوفد . هو يريد ذلك لأجل ان يقفز الى كرسي الوزارة ، ونحن نريده لنحرر الامة من ربقة الاستعباد لهذا الصنم المعبود بالباطل » (٦) .

---

(٤) احمد حسين — ازهار — المرجع السابق ص ٥٤٦ .

(٥) د. عبد العظيم رمضان — المرجع السابق — ص ٣٠٢ .

(٦) مصر الفتاة — ١٩٣٩/٧/١ — مقال لاحمد حسين بعنوان « من اجل الله والوطن . ومن اجل الملك » .

ويبرر احمد حسين هذه العلاقة الغريبة بقوله « اننـا قوم عمليون (!) فلا تزال البلاد فى حاجة الى اســـم ضخم ، ولما كان على ماهر هو آخر تلك الاسماء الطنانة ٠٠ وهو فى النهاية جم النشاط والذكاء ، وهو الرجل الذى لم يفتر عن تاييدنا تاييدا كاملا طوال ست سنوات ، يمدنا بالمال (!) ويفتح لنا بابه حيث كان فى الليل وفى النهار ، وفى اى وظيفة كان فيها ٠ فلا عجب اذا رأنا الناس نأخذ جانب على ماهر باشـــا ، وندعو لرفعه الى الوزارة ، ليكون مقدمة لحكم الشباب ، ومقدمة لثورة الاصلاح الكبرى ٠

والحقيقة ان القيمة الاساسية لعلى ماهر كانت علاقته بالقصر ، او بالدقة هيمنته على القصر ٠

يقول دافيد كيلى مستشار المندوب السامى البريطانى « ولكن الملك وقع فى مرحلة مبكرة تحت نفوذ على ماهر باشا الذى أصبح صاحب النفوذ الاولى فى السراى » (٨) ٠

فما ان اختلف على ماهر مع القصر حتى تنكر له أحمـد حسـين وأنهال عليه هجوما ٠٠

وقد بدأ الخلاف بين على ماهر والبنداري ٠٠ ثم امتـد الى خلاف بين على ماهر والملك ٠

وعلى ماهر « والذى سعى بالبنداري نحو القصر وكيلا للديوان الملكى ٠ وكان البنداري فى تلك الحين مواليا للمحور وساعيا نحوه باندفاع ٠٠ وتصادم طموحه فى الهيمنة على القصر بطموح على ماهر ٠٠ وما أن استشعر ماهر الخطر حتى لجأ الى الانجليز « وانتهز فرصة وجودة فى لندن فى مؤتمر المائدة المستديرة لتحســـين علاقاته بالانجليز » (٩) وتلقى الانجليز هـذه الخطوة بترحاب شـــديد (١٠) ٠

وما أن احس على ماهر بقوة ما تسانده ، حتى تقدم باستقالته للملك

(٧) مصر الفتـاة ـ ١٩٣٩/١١/٢٢ مقال لاحمد حسين ٠

(٨) محمد عودة ـ سـبعة باشـــوات وصور اخــرى ـ الكتاب الذهبى ٠ ابريل ١٩٧١ ـ ص ١٥٤ ٠

(٩) د٠ عبد العظيم رمضان ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٠

(١٠) اخبار اليوم ١٩٤٨/١/٢٤ مقال بقلم الطاهر حسن احمد المحامى (سكرتير محمد محمود باشا) ٠

الذى فهمَ مغزاها واضطر لرفضها .. وهنا يتقدم أحمد حسين مهاجما على ماهر ومؤيداً البنداري .. والملك ..

« وكتب أحمد حسين قائلا عن صديق الأمس القريب » أن على ماهر باستقالته فى هذه الظروف ، وبالطريقة التى تمت بها كان يرتكب خطيئة كبرى نحو مولاه ونحو بلاده .. ان يصف الاعمال التى اتاها على ماهر فى هذه الفترة لا يمكن ان يقال عنه الا انه اخلال خطير بثقة مولاه .. »

ويواصل أحمد حسين تملقه للملك قائلا ان الملك « قد شعر بخيبة أمل من جراء هذا الموقف الذى وقفه على ماهر فكان رد الفعل فى نفس جلالته والذى جعلنا نحن الذين نشعر بشعور مليكنا ونخفق لخفقان قلبه ، نحس بأن فى نفس مليكنا شيئا ، وانه ليس مسروراً ولا هو مغتبط ، وهذا هو سر شبه العزلة هذه التى يعيش فيها جلالته ، اذا قيست بنشاط جلالته قبل ذلك . وهذا ما حدا بنا الى النزول الى الميدان ومصارحة الامة بهذه الحقائق التى ظلت مطوية عنها » (١١) .. وهكذا لا يخفى أحمد حسين شيئاً فهو يهاجم على ماهر (صديق الامس) لحساب القصر ومن أجله .

. والبنداري باشا هو الجواد الرابح فليكن الرهان عليه كما هى العادة .

تنقلب موجة التأييد نحو البندارى ..

.. ويكتب أحمد حسين « ان الرجل (كامل باشا البندارى) كان له مثل أعلى هو هذه الأهداف التى تسعى لتحقيقها مصر الفتاة فى النواحى السياسية والخلقية والاجتماعية وان يتجه اليها بكل الايمان والعزيمة والعمل السريع » (١٢) .

وعندما حاول على ماهر الضغط لابعاد البندارى من القصر دافعت عنه مجلة « مصر الفتاة » قائلة « اذا أخرج البندارى من القصر فسيكون اخراجه آخر محاولة للديمقراطية للدفاع عن نفسها » وقالت « ان ثمة قوى تعمل للبحث عن اسلوب لحكم البلاد يتفق مع رغبة مليكها وطموحه الى ان تحتل بلاده أرفع مركز بين الدول » وقالت « ان القراء يذكرون اننا كتبنا اكثر من مرة عن حديث الديمقراطية وكيف ينبغى أن تفهم وذكرنا أن الحياة الدستورية

---

(١١) مصر الفتاة — ١٩٣٩/٧/١٧ — احمد حسين مقال « من أجل الله والوطن ومن أجل الملك » .

(١٢) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٧/١ .

بوضعها الحاضر لم تعد لتلائم حاجات البلاد ـ ولا تساير نزوع الشعب الى مستوى اكرم من المستوى الذى هو عليه اليوم فتجربة البرلمان والحياة النيابية منذ أربع عشرة سنة دلت على أن الحكم عن طريقها وبوصفها هذا دون تعديل جوهرى أبعد عن ان يفيد البلاد بل على العكس قدم لها كل ضرر وأذى • فما دخلنا انتخابات الا وخرجت الامة منها منهوكة الاعصاب محطمة القوى وليس حديث الانتخابات الاخيرة ببعيد حتى نعيده الى الاذهان ٠٠ ومن حسن الحظ ان الكثيرين من الرجال ومن الدوائر المسئولة بدأوا يحسون بالحاجة الماسة الى اجراء هذا التعديل ٠٠ وان يضربوا صفحا عن عريدة النحاس باسم الدستور وضجة وضجيجة بعد ان ثبت ان صياحه لا يساوى نفيلة فى السياسة المصرية فكل تعديل قائم سيدل على طبيعة الاتجاه المنتظرة أما الى العدول عن التجربة الدستورية الى حكم ديمقراطى آخر (!) يمتاز بسمة القوة (!) والحرية والرغبة الصادقة فى الانتاج أو الى المضى خطوات أخرى فى متابعة التجربة الحاضرة • ونحن نعتقد أنه اذا كان من مظاهر هذا التعديل خروج البندارى من القصر فسيكون اخراجه لحساب السياسة الحاضرة وسيكون آخر جهد تحاول به الديمقراطية ان تدافع عن نفسها » (١٣) •

« والديمقراطية الحقيقية عند احمد حسين تعنى الغاء الدستور والبرلمان وأحكام قبضة القصر الملكى على عنق مصر ٠٠٠ وهكذا يتضح الخط العام فى الموقف ٠٠

وليس على ماهر هو المهم ٠٠ ولا البندارى ٠٠

المهم هو محاربة الوفد ومحاربة الدستور الذى يأتى بالوفد ومحاربة البرلمان الذى للوفد دائما أغلبيته • كل ذلك لحساب الملك ٠٠

والعلاقة بالوفد ايضا متناقضة

خطها العام العداء ٠٠

ومنذ البداية كان العداء متبادلا ٠٠ فقد ايقن الوفديون أن حركة مصر الفتاة قد اصطنعها القصر (الابراشى باشا ناظر الخاصة الملكية بالتحديد) فصاروا لا ينظرون الى حركتنا بعين الرضاء والارتياح ، ويوجسون منها خيفة ويعتبرونها حركة مأجورة وموجهة ضدهم ٠٠ لذلك فقد إعتقدت أنه

---

(١٣) مصر الفتاة ـ ١٩٣٨/٧/٢١ •

يكون من المفيد ان أجتهد فى مقابلة النحاس باشا لازيل ما علق برأسه من سوء تفاهم » ..

وهكذا سعى أحمد حسين كى يقابل النحاس باشا فماذا قال له النحاس؟

« أنت دسيسة » .هكذا جابهه النحاس بصراحته المعهودة .. وحذره قائلا ان « كل عمل من الاعمال لا يكون تحت راية الوفد فهو لا يمكن الا ان يكون دخيلا على الامة ودسيسة من الدسائس » ثم انذره النحاس قائلا « افعل ما يحلو لك ، فقد أعذر من انذر ، اننى سوف أعتبرك خارجا على الوحدة والامة لا ترحم الخوارج ، فكل من فكر ان يخرج علينا فقد هدمناه هدما والامة لا ترحم » (١٤) .

واذا كان أحمد حسين يدعو الشباب الى الابتعاد عن السياسة والاكتفاء بانشطة مثل مشروع القرش أو تدمير الحانات .. فقد اعتبر الوفد هذه الدعوة خطرا على الحركة الوطنية وعلى نفوذه وسط الشباب وخاصة جماهير الطلاب ويكتب مكرم عبيد بعد أيام من اعلان قيام مصر الفتاة فى جريدة الجهاد قائلا ان دعوة الشباب الى عدم الاشتغال بالسياسة هى اخطر الدعوات واخبثها .. وانها « نغمة الفناها من المستعمرين ، منذ نزع الشباب الى التحرر من ربقة الاستعمار » وقال « ان السياسة فى مصر ، وفى كل امة تسعى الى تحقيق استقلالها ليست كالسياسة فى غيرها من البلدان التى استكملت استقلالها وحريتها . اذ السياسة عندنا هى السياسة الوطنية العليا » ثم قال « ان الذين يسمون انفسهم لا حزبيون أو قوميون انما يرددون صيغا كلها من العمل الاستعمارى فى مصر » (١٥) .

وبصراحة اكثر هاجم عباس العقاد « مصر الفتاة » قائلا انها « دعوة تعارض تيار الحقائق العالمية ، وتعارض تيار الوطنية المصرية فى وقت واحد ، ولا فائدة من ورائها لغير الاستعمار وآلاته المأجورة » وتساءل قائلا « بودنا ان نعرف كيف يستطيع الشباب المصرى المتعلم ان يهمل الاحزاب والانتخابات فى بلده ؟ وهو يرى اصحاب المصالح الاجنبيه فى هذا البلد لا يهملون شيئا من ذلك ولا يزالون يسعون ويدسون لتغليب فريق على فريق ، تبعا لما يرجونه من المنافع والليانات » (١٦) .

---

(١٤) مراقعات الرئيس احمد حسين فى عهد حكومة الوفد — من كفاح مصر الفتاة — ط ٢ — ص ٤٢

(١٥) الجهاد — ١٩٣٣/١٠/٢٦ . مقال لمكرم عبيد .

(١٦) الجهاد — ١٩٣٣/١٠/٢٧ . مقال لعباس محمود العقاد .

وتمضى « الجهاد » جريدة الوفد فى شن حملات الهجوم على احمد حسين منذ الايام الاولى لاعلانه قيام مصر الفتاة فتقول ان « له ماضى حافل بالاشتغال بالسياسة من نوع خاص لا يتفق مع اجماع الامة ومبدئها الذى ارتضته دينا لها . فشخص هذا ماضيه القريب هو أخر من تجوز على الناس خديعته او تنمى الامة حقيقته » .

ثم هاجمت الجهاد استغلال احمد حسين لاموال مشروع القرش فى الدعاية لمصر الفتاة فقد « قام المشروع لخدمة الامة ليقلبه بعضهم حربا على نهضتها السياسية » . وانذرته الجريدة بان القانون لن يسمح له ان يفلت « ان يستمرا المرعى ، وتراءى له ان يواصل اية دعوة سياسية على حساب مشروع القرش والمشروع منها براء » (١٧) .

ويجبر احمد حسين بذلك على الاستقالة من منصبة كسكرتير للجنة مشروع القرش .

.. ويرد احمد حسين الصاع صاعين ..

ويدخل فى حربه المريرة ضد الوفد والدستور والبرلمان معا .

وهو لا يتعفف فى معركته هذه عن استخدام اساليب غير نظيفة .. فهو مثلا يتناول مكرم عبيد بالهجوم منددا به كقبطى « يريد ان يجعل نفسه زعيما لمقيد ، ويدفعهم الى احاطته احاطة السوار بالمعصم » (١٨) .

.. ويأتى عام ١٩٣٥ . ويأتى معه الصدام مع الاحتلال البريطانى فى اعقاب تصريح هور (٩ نوفمبر ١٩٣٥) ويتباهى احمد حسين بان قد شارك هو ورجاله فى الدعوة الى وحدة الزعماء .. وانه شارك فى تنظيم مظاهرات ١٩٣٥ .

اما الدعوة الى وحدة الزعماء فلم يكن هو مصدرها ولا صاحبها .. بل كان مجرد رجع الصدى ..

اما صاحب هذه الدعوة فقد كان الملك فؤاد « اننى كملك لا اعرف احزابا ولا اعرف جماعات . لا أعرف الا مصريين .. وكل المصريين متساوون

---

(١٧) الجهاد ١٩٣٣/١٠/٢٠
(١٨) البلاغ ١/٢٥ /١٩٣٨

فى نظرى .. وعلى كل حال فان رغبتنا التى نشعر بأنها رغبة البلاد جميعا ان تتضافر الكفايات كلها لخدمة البلاد » (١٩) .

ومع الملك كان اكثر زعماء الوجهية شراسة وعداء للشعب .

محمد محمود « صاحب القبضة القوية » يقول « واجب السياسيين وأولى الرأى أن يستجيبوا لصوت الشعب ، وأن يتخذوا الوحدة ، ويتخذوا الاستقلال رمزا لهذا العهد .. ان الساعة عصيبة ، والموقف دقيق والوطن يدعو ابناءه جميعا للوقوف صفا واحدا دفاعا عنه ... ها أنا قد دعوت وبلغت فليشهد الوطن وأبناؤه » (٢٠)

وأيضا اسماعيل صدقى (دكتاتور عام ١٩٣٠) يوجه نداء هو الآخر « الى اتحاد الامة فى هذه الاونة الخطيرة » (٢١) .

وهكذا .. الملك ــ محمد محمود ــ اسماعيل صدقى .. ثم أحمد حسين .

وردا على هؤلاء جميعا يقول النحاس « لا يصنع أن نخدع بأقوال معسولة ، بنداء الى وحدة .. على أى شىء هذه الوحدة ؟ لا لسنا نخدع بذلك .. ما هى الوحدة ؟ الوحدة تمسك قلبى وعزم صحيح على دستور ١٩٢٣ .. ويتزن ذلك لا نفهم وحدة ولا جبهة » (٢٢) .

لكن الغريب فى الامر حقيقة هو أن أحمد حسين قد ترك كل شىء ليسافر الى لندن وبعد فترة من تصريح هور الاول وقبل يوم واحد من تصريحه الثانى (٥ ديسمبر ١٩٣٥) والذى أهاج مشاعر المصريين وفجر مظاهرات السخط ضد الانجليز .

وبينما كان الرصاص الانجليزى يحصد شباب الجامعة المتظاهرين ومنهم بعض أبناء مصر الفتاة كان أحمد حسين يخطب فى لندن قائلا « جئنا بكل اخلاص لعرض قضية مصر على الانجليز ، جئنا نقول لهم اننا ونحن اكثر

---

(١٩) محمد زكى عمر ــ ربع قرن فى مفاوضات ــ مطبوعات دار الشرق (١٩٤٦) ص ٨ ــ ١٥ .

(٢٠) عبد الحميد المشهدى ــ صحيفة سوابق ــ (د . ت) . ص ٤٦ .

(٢١) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٨ من خطاب للنحاس بانشا فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ .

الناس تطرفا من وجهة نظرهم .. « نستطيع أن نضع أيدينا في أيديهم بإخلاص . إذا احترموا استقلالنا وحريتنا » (٢٣) .

وتثير هذه التصريحات مشاعر المصريين بالخارج وتزيد من رفضهم لدعوة أحمد حسين .. وإذ يحاول السفر من لندن الى باريس تعلن جمعية الطلبة المصريين في فرنسا « انها ترفض التعاون مع مندوبي جمعية مصر الفتاة الذين حضروا الى أوربا » وانها ستعمل لخدمة القضية المصرية تحت رعاية الوفد المصرى » (٢٤) .

ويعود أحمد حسين الى مصر ليلقى خطابا بسينما ديانا بالاسكندرية يحرص على أن يؤكد فيه « أن الانجليز خصوم شرفاء مقبولون (!) » (٢٥) .

.. ثم تأتي معاهدة ١٩٣٦ لتكون مناسبة جديدة لتصعيد الخلاف مع الوفد .. أكثر مما كانت لتصعيد الخلاف مع الانجليز « الخصوم الشرفاء المقبولون » .

.. يقول أحمد حسين « ولقد وقفت مصر الفتاة في وجه ذلك الاندفاع الجنوني لتحبيذ المعاهدة وتحبيبها .. فأطلقنا عليها معاهدة الخزي والاحتلال .. وأعلنا أنها معاهدة باطلة لا تساوى الحبر والورق الذى كتبه عليه » (٢٦) .

.. أحمد حسين الذى جند نفسه لتأييد معاهدة محمود — هندرسون .. والذى كون من أجلها « جماعة الشباب الحر أنصار المعاهدة » .. يجند نفسه ايضا وبحماس أكثر ضد معاهدة ١٩٣٦ .

... وكعادته فانه يتوجه الى الملك بمذكرة تقول « بالمعاهدة تحتل مصر عسكريا ، وتحمل مصر على الاعتراف بهذا الاحتلال .. وتصبح مركز انجلترا طوال الخمسين عاما الماضية .. وتكلف مصر بتكاليف ثقيلة » (٢٧) .

وتعود « السياسة » جريدة الاحرار الدستوريين لتفتح صفحاتها امام

---

(٢٣) أحمد حسين — ايماني ط ٢ ص ٢٥٥

(٢٤) المرجع السابق ص ٢٩١

(٢٥) المرجع السابق ص ٢٩٤

(٢٦) أحمد حسين الخطاب الوطني — المرجع السابق ص ٧

(٢٧) عبد العزيز الدسوقي — المرجع السابق ص ٧٦

مقالات احمد حسين ليهاجم المعاهدة تماما كما فتحتها قبل أعوام أمامه ليمجد معاهدة محمود ـ هندرسون ..

وعلى صفحات « السـياسة » تقرأ لاحمد حسين « أن قيود المعاهدة لا يمكن أن تقيد مصريا واحد ، وهى ينقصها العنصر الاساسى فى صحة العقود وهو عنصر الرضى ولا عبرة بالقول بأن ممثلى الشـعب المصرى قد قبلوا المعاهدة وأن البرلمان سيصدق عليها لان أحد الطرفين مغلوب على أمره ، والثانى هو الغالب » (٢٨) ·

وترد الصحف اليومية الوفدية على هجمات أحمد حسـين مؤكدة أنه يفعل ذلك بايعاز من الايطاليين الذين يعارضون المعاهدة « لانها ضد المصالح الايطالية فى الشرق » (٢٩) ·

·· ويقدم أنور عبد الملك فى دراسة اكاديمية تفسـيرا مماثلا لموقف أحمد حسين من المعاهدة فيقول : « حاولت دعاية قـوى المحور انتزاع البرجوازية المصرية الكبيرة من حلفها مع بريطانيا العظمى واجتذاب العناصر القومية المتحررة من الطبقات الوسـطى · وكان موسولينى « حامى حمى الاسلام » يؤثر العمل بواسطة العائلة المالكة المرتبطة تقليديا بعائلة فيكتور مانويل ، اما هتلر كان بطلا فى نظر فريق من القوميين المصريين الشـباب الواقفين بعنف فى وجه بريطانيا خاصة بعد المعاهدة الانكليزية ـ المصرية عام ١٩٣٦ · التى كانت نتيجة تنـازل متبادل بين الوفد والحكومة البريطانية غداة الموجة الثورية الجديدة عام ١٩٣٥ » (٣٠) ·

ويتصاعد العداء بين أحمد حسين والوفد ليصـل الى قمته بمحاولة اغتيال النحاس باشا · ولقد كان الامر مرتبا ·· وليس مجرد اندفاعة شاب متحمس · يعترف أحمد حسـين بذلك ·· قائلا « وبدأ القلق يدب الى نفس فوزى (أحمد حسين) وهو يعيش وسط هذا الجو المشحون بالمخاطر وكان مبعث القلق أن الهمس بدأ يجرى بين صفوف الشباب سواء صفوف جماعة البعث (مصر الفتاة) ! والشباب الاحرار بوجوب اغتيال رئيس الحكومة (مصطفى النحاس) الذى أصـبح يرمز عندهم على الخيانة والتفريط فى

---

(٢٨) السياسة ١٩٣٦/٩/٦

(٢٩) اخر ساعة ١٩٣٦/١٠/١٤ ·

(٣٠) أنور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون ـ دار الطليعة بيروت ـ (١٩٦٤) ص ٣٤ ·

حقوق البلاد · واستعيدت ذكريات الورداني قاتل بطرس غالى موقع معاهدة فصل السـودان عن مصر ، وبدأ فوزى يحس أنهم على وشـك الوقوع فى كارثـة » (٣١) ·

وأطلق عز الدين عبد القادر الرصاص على النحاس ·

ويعترف الشاب بأنه فعل ذلك غضبا من توقيع النحاس للمعاهدة ··
ويعترف بعد ذلك أن عزيز المصرى هو الذى أعطاه المسدس ، وأنه كان من تلاميذ أحمد حسين المخلصين وأنه كان قد قام بمغامرة التجول فى البلاد العربية سيرا على الاقدام وبلا جواز سفر مؤكدا أنها قطرا واحد ·· وانطلق فى رحلته هذه عام ١٩٣٤ من بيت أحمد حسـين بالمنيرة اعترافا منه بالولاء لزعيمـه (٣٢) ·

والنحاس يؤكد أن بداية الخيط تمتد من على ماهر أى القصر الملكى ، الى عزيز المصرى ، فأحمد حسين ، فالشاب الذى أطلق الرصاص ··

ويشير الى ذلك أيضا أحد الباحثين قائلا « ان صلات على ماهر بحزب مصر الفتاة أثرت فى مجريات الامور اذ اندفع شـاب من هـذا الحزب الى سيارة رئيس الوزراء مصطفى باشا النحاس وأطلق عليه الرصاص · وكان يرجى أن يصاب الرئيس فى مقتل فتنفرج جميع الازمات » (٣٣) ·

لكن التناقض والتقلب يظلان حليفين لمواقف الرجل · فلا يلبث أن يتملق النحاس ·· ويتعهد بالخضـوع لرايته ·· فما أن تأتى حكومة توفيق نسيم (التى تمتعت بتاييد الوفد) وتستعد لاجراء انتخابات كان الجميع يعرفون أن الوفد سـيحصل فيها على الاغلبية ليصـل الى الحكم ·· حتى صاح أحمد حسين فى حفل افتتاح الدار الجديدة لحزبه ·· « ونحن على استعداد أن نعمل تحت راية الوفد فى حدود هذه المبادىء وبهذه الوسائل · هكذا ترون أيها السادة أن كل من يدعى أننا نخالف الوفد ، أو أننا أعداء له فنحن له براء ·· فاننا مستعدون للسير تحت لوائه » (٣٤) ·

ويصـل الوفد الى الحكم ويسرع أحمد حسين محاولا استجلاء الموجة الصاعدة ·· فيرسل البرقية التالية :

---

(٣١) أحمد حسين — ازمار — المرجع السابق — ص ٥١٢ ·
(٣٢) المصور ١٩٧٨/٥/٥ صبرى أبو المجد سنوات ما قبل الثورة ·
(٣٣) د· ابراهيم عبده — المرجع السابق ص ١٢٩
(٣٤) أحمد حسين — ايمانى — ط ٢ — ص ١٦٨ ·

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ــ مجلس الوزراء

ان تقلدكم الوزارة انتصــــار باهر للحياة النيــابية ، وتوطيد لدعائم الدستور ، يقابله المصريون جميعا بفرح وابتهاج ، وانى لاتمنى لحكومتكم كل توفيق فى تحقيق برنامجها الذى تفضلتم باعلانه · والمجد لمصر ·

احمـد حسـين

رئيس حزب مصر الفتاة (٣٥) ·

والبرقية لا تكفى ، فيكتب احمد حسـين مقالا افتتاحيا فى مصر الفتاة استهله بقوله « واخيرا جاءت الوزارة الدستورية ، وزارة الاغلبية ، وزارة الوفد فحق على كل مصرى الابتهاج والفرح » (٣٦) ·

وحتى فى روايته « ازهار » يقول « وتمت عملية الانتخابات وانتهت الى نتيجتها المتوقعة فى أى انتخابات تجرى فى حرية ونزاهة · وهى فوز حزب الاغلبية بثقة الشعب التى اشبهت ان تكون اجماعا · وولى رئيس الحكومة الجديدة فاجتاحت البلاد موجات عارمة من المظـاهرات تعبيرا عن ابتهاج الشعب · وافتتح البرلمان وسط تفاؤل الشـــعب وأمله فى أن يستقبل عهدا جديدا من الاستقرار وحكم الشعب » (٣٧) ·

ولكن ·· لا يلبث القصر أن يشهر ســيفه فى وجه الحكومة ، فيسرع احمد حسين كعادته ليضع نفســـه فى صف مهاجمى الوفد · وتنهال لعناته عليه بأكثر من ذى قبل ·

وقبل ان ننتقل من هذا الموقع يتعين علينا أن نشير الى أن معركة الوفد ضد القصر لم تكن معركة سهلة ، ولا بغير هدف فزعيم الاغلبية الشــعبية (مصطفى النحاس) كان يعمل وبحماس من أجل ضرب النفوذ الاوتوقراطى المتمثل فى تسلط القصر الملكى وفى فساده وفى محاولته استجماع السـلطة باسلوب غير دستورى ··

وقد خاض النحاس فى ســـبيل ذلك معارك عديدة ·· ابتـداء من

(٣٥) المرجع السابق ــ ص ٢٤٢

(٣٦) المرجع السابق ــ نفس الصفحة ·

(٣٧) احمد حسين ــ ازهار ــ المرجع السابق ص ١٢٤ ·

اصـــراره على أن الملك يملك ولا يحكم ، الى اصـــراره على حق الوزارة في مباشرة حقوق الاشراف على تعيين الموظفين في القصر الملكي ٠٠ الى محاولة كف يد الملك عن التدخل في شئون الجيش (٣٨) ٠

وبعد يومين فقط من تولى فاروق العرش أى في يوم ٣١ يوليو ١٩٣٧ يصدر النحاس قانون انشـــاء مجلس الدفاع الاعلى ليعطى مجلس الوزراء بدلا من الملك السلطة في التصديق على قراراته ٠٠ ويسرع « البعض » برفع تقرير عاجل الى الملك يقول فيه أن الامر « يدعو الى التساؤل ويثير ظلالا من الشك حول الغرض الاصلى من انشاء مجلس الدفاع الاعلى » (٣٩) ٠

كذلك فقد كانت كل القـــوى اليمينية والرجعيـــة تخشى من بروز بعض التوجهات الاجتماعية في جـــزب الوفـــد وقد وجهت الى حكومة الوفـــد تهم رسمية بأنها تســـعى الى « اغـــداق النعم على العمال حتى أبطرتهم وجرأتهم على الاخلال بالنظام والتحكم في رؤسائهم وتوجيههم للاعتداء على خصوم الحكومة وقد اعتبر نقل وكيل المطبعة الاميرية استجابة لرغبة العمال عملا شبيها بأعمال البلشفية » (٤٠) ٠

٠٠ ولهذه الاسباب ولغيرها كان الوفد مستحقا العداء والمشاورة ٠

★ ★ ★

ونلاحظ أن ثمة منطقا في التوجهات والمواقف طوال هذه المرحلة ٠٠ هو الثبـــات عند باب واحـــد هو باب القصر الملكي ٠ التقلب وارد تجاه الجميع على ماهر ، محمـــد محمـــود ، صـــدقى باشـــا ، حـــزب الوفـــد ، أحـــزاب الاقليـــة ٠٠٠ شيء واحـــد ثابت لا تشـــوبه أية ملامح ولو طفيفـــة للتردد او التغيير ٠٠ الولاء المطلق للملك ٠٠٠

(٣٨) المزيد من التفاصيل راجع : د٠ رفعت السعيد ٠ مصطفى النحاس ، السياسى والزعيم والمناضل – دار القضايا – بيروت (١٩٧٦) ٠

(٣٩) مكتبة رئاسة الجمهورية – ملف بعنوان : الحكومة المصرية ٦١٣٣ ، الجيش تقارير ٠ – الحـكومة المصرية ٢ – وثيقـة بعنوان بحث في مجـالس الجيش وهيئة اركانه ٠

(٤٠) المصرى – ١٩٣٧/١٢/٢٥ ٠

وعندما مات الملك فؤاد يكتب احمد حسين « مات الملك الشيخ وجاء الملك الشـــاب • هى صفحة تطوى وجيل بأسره يفسح الطريق • وهى صفحة تنشر وجيل بأسره يتقدم الى الامام فى عزم وثبـــات ويقين » ثم يقول « مات فؤاد صاحب الامجاد الكثيرة والاعمال الباهرة مات فؤاد العاهل العظيم • الذى حرر مصر من ربقـة الاستعباد وقادها الى التحرر والاستقلال • الذى قاد مصر الضعيفة الفقيرة الهزيلة حتى صـــيرها قادرة غنية رافعة الرأس موفورة الكرامة ، مات فؤاد الذى اقترن اسمه طوال ســـبعة عشر عاما بكل ما هو جميل وجليل • كل ما هو نافع ومفيد » (٤١) •

ومرة أخرى يكتب « مات الملك فؤاد العظيم • مات الملك فؤاد بعد أن جمع القلوب حوله ، وكان له اكبر الاثر فى تأليف الجبهة المتحدة من الاحزاب المصرية ، وبعد أن أعاد الدستور للبـــلاد • ورسم للمفاوضين طريق الحرية والاستقلال • مات الملك فؤاد فبكته مصر بأسرها • بعد أن اظهرت لها الايام والسنون والحوادث المتعاقبة كم كان هذا الملك عظيما محببـا لمصر ولعظمة مصر ومجد مصر » (٤٢) •

ولقد تابعنا من قبل ذلك الود المتبادل بين فؤاد ومصر الفتاة ، ثم ذلك الولاء التـــام لفاروق ••

« هذا ملك شـاب يتولى عرش بلاد فتيـة ، تريد أن تسير بل تركض حتى لا يدركها احــد ولا يشبهها شىء • وهؤلاء ســاسة الجيل القـــديم فوجدهم يسيطرون على مقدرات هذه الامة بعقليتهم وتفكيرهم وأساليبهم التى ان كانت تصلح فى أيام ماضية فلن يصح فى منطق الحياة وطبيعة الزمن ان تصلح اليوم • لم يكن اصـطدام العهد الفاروقى بالوفد : رئيســا وحكومة وسياسة الا مظهر هذه الحيـــاة الجديدة التى تتمشى فى أوصـــال هـــذه الامة مســتمدة من حيـــاة مليـــكها الشـــاب • ولـم يكن ســـقوط هذا الجيـل من السـاسة القدماء فى احد معسكراتهم ونعنى به المعســكر الوفدى ، الا لعجـزهم عن فهم هذه الحقيقة ومحاولتهم الوقوف فى طـريق القـــدر • وثمة معسكر جـــديد من معسكرات الجيل القديم يتولى اليـــوم الحكم ، فيه فطنة اكثر قليلا من فطنة ذلك المعسكر الذى اقصى • وانه ليسرع الخطى عسى أن يساير الزمن ، ولكن بعد يومين سيدركه اللغوب ، ويلهث •

(٤١) احمد حسين — ايمانى — ط ٢ ص ٢٣٩
(٤٢) المرجع السابق — ص ٢٣٧

فان ادركته عنـــاية الله فسيهتدى الى ان ما قدم من عمل صالح هـــو كل ما يستطيع ، وان من الخير ان يركن الى الهدوء والراحة ويراقب حيث هو هذه الكتائب الشابة الزاحفة وعلى رأسها الفاروق سيد شباب هذا العصر ، واكثر ابنـــاء مصر فهما لرســـالة الشباب واحساسا بها وتكيفا لها فى ان تضع اقدامها وتشق طريقها » (٤٣) ٠

هو اذا لا يكتفى بالولاء التـــام للملك لكنه يريد ان يستلب كل حقـــوق كافة مؤسسات الدولة ليقدمها للقصر الملكى ٠٠

يقول أحمـــد حســـين « لقـد سـارت الامور على الاعتراف للقصر بحقوقه » (٤٤) ٠

ومن اجل الملك ٠٠ ودفاعا عما أسماه احمد حسين « حقـوق القصر » خاصم احمد حسين كل شيء ٠٠ الوفد ، وكل الاحزاب ، وخاصم الدستور ٠٠ والبرلمان والنظام البرلمانى كله ٠٠

ويكتب أحمد حسين صراحة « فكرة هذا النظام البرلمانى الذى يقوم على تعطيل الاعمال وتعويق الانتاج والذى يحول البلاد الى مسرح من مســـارح الخطباء ، يجوع التـــاس والنواب يتخاصمون ٠ الامة يهـــددها الخطر من الداخل والخارج ومحاضر الجلسات لا تضم الا مناقشـــات افلاطونية تؤخر اكثر مما تقـــدم والشعب فى حاجة الى انتـــاج والى اصلاح والى تجـديد والى وثبـــات والبرلمان لا يســـاير هذه الرغبـة ولا يشبعها ونحن نريد حدودا تحمى اصحاب الاذهان والمفكرين والاكفاء لتتفتح بهم الدولة » (٤٥) ٠

والغريب ان احمـــد حسين قد تصور انه بامكانه بمثل هذا التملق للقصر ان يتولى حكم مصر ٠٠ فاذا كان الملك هو سيد شباب العصر ، وكانت كل الاحـــزاب مخطئة أو عاجزة ، وكان احمـــد حسين هو زعيم الشـــباب المخلص للملك ٠٠ فلماذا لا يكون هو صاحب كرسى الحكم ؟ ٠

هكذا اعـد أحمـــد حسين معـــادلة سهلة ٠٠ وبنى عليها حلمـــا ذهبيا لم يتحقق قط ٠ بل جلب عليه سخرية الكافة ٠

---

(٤٣) مصر الفتاة ـ ١٩٣٨/٨/١٤ ٠

(٤٤) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/٧

(٤٥) مصر الفتاة ١٩٣٨/٨/١٨ مقال « هل نحن دعاة دكتاتورية ؟ »

وتبدأ القضية بأن يتوجه الملك الى العالم الاسلامى بخطاب مذاع بالراديو بمناسبة العام الهجرى (٢٢ فبراير ١٩٣٩) يقول فيه : « اننى اومن ومر الايام يؤيد ايمانى أن شباب مصر المتوثب الى المجد ، سيكتبون صفحة خالدة فى تاريخ الوطن ، وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا واحكمنا جميعا • وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم » (٤٦) •

وقد اكد البندارى باشا فيما بعد (وقد كان العليم بخبايا القصر فى ذلك الحين) ان الملك كان يعنى فعلا مصر الفتاة باشارته الى الشباب •• (٤٧) •

واذا كان الوفد قد سارع باستهجان هذا الخطاب واعلن صراحة « ان الدستور والنظام الديمقراطى فى مصر قد اصبحا فى خطر • وأن الهيئة الوفدية ترى من واجبها أن تعلن انها لا تقبل بحال من الاحوال اى مساس بالدستور والحريات » (٤٨) •

فان أحمد حسين قد سارع ليعلن بنفسه تفسيرة لكلمات الملك هذه وليقدم نفسه مرشحا لحكم مصر • ويتساءل أحمد حسين « هل نجد الشباب مثلا فى الوفد الذى شاخ افراده وشاخت قلوبهم ؟ لا شباب لدى الوفد ، هل نجده فى صفوف السعديين الذين لا يتجاوز عددهم مائة نائب الا قليلا ، وعشرين أو ثلاثين فردا من اقربائهم وهم كل العدد الذى يكون ما يسمى بالهيئة السعدية ؟ هل نجده فى الاحترار الدستوريين ؟ انك ستغشى ضحك ثم انك ستستلقى من الضحك حين تسمع ذلك • ثم انك ستستلقى من الضحك حين تذكر الحزب الشعبى الاتحادى ، أو لست أدرى بماذا يسمى ؟ واما الحزب الوطنى فهم وان كانت قلوب بعض افرادهم لا تزال شابة ووطنيتهم متأججة الا انهم فى مجموعهم لا يزيدون عن عشرة » •

هكذا اشهر أحمد حسين سيفه فى وجوه الجميع اعداء الامس واليوم واصدقاء الامس واليوم والغد • خاصم الجميع مستبدا الى ارضاء الملك ، او محاولا كسب المزيد من رضائه متصورا انه يقترب بذلك بالحكم ؟

---

(٤٦) مصر الفتاة ١٩٣٩/٢/٢٣

(٤٧) د• عبد العظيم رمضان — المرجع السابق — ص ٢٥٦ — حديث شخصى مع البندارى باشا •

(٤٨) مصر الفتا ١٩٣٩/٢/٢٧ •

ولقد كان هذا الموقف علامة فى التاريخ السياسى لاحمد حسين فان هذا التهجم الشديد على الاحرار الدستوريين والسعديين وكل السياسيين القدامى ممن ساندوه وأمدوه بالعون والمال ، وتطلعه المباشر والمتعجل الى الحكم قد لقن هؤلاء جميعا درسا مضمونه عدم الثقة فى أحمد حسين ولا الاستناد الى صداقته ، وتوقع الجميع منه تنكرا فى اية لحظة يستشعر فيها اى قدر من القوة ..

وبهذا فقد أحمد حسين جزءا كبيرا من قدرته على المناورة .. وانكشفت لعبته من مختلف اطرافها .. ولقد ظل يعانى طويلا من جراء هذا الموقف فقد عامله الجميع بعد ذلك بتشكك وريبة وعدم ثقة ..

المهم ان أحمد حسين بعد ان اشهر سيفه فى وجه الجميع مستندا بظهره الى حائط القصر الملكى .. بدأ يعلن ترشيح نفسه لحكم مصر .. فيواصل حديثه السابق قائلا « بقيت اذن مصر الفتاة . بقيتم انتم أيها الشباب الفتى القوى الذى يمثل شباب هذه الامة كلها . فاليكم يتوجه الامل وفيكم معقد الرجاء .. لقد عزم الملك .. لقد نادى الملك . والكل يلبى النداء » (٤٩) .

واذا كان أحمد حسين قد رشح نفسه لحكم مصر .. « فلم اكد القى بهذا التصريح حتى استبشرت به الامة فرحا ، اما الشيوخ ورجال السياسة فقد اخذوا يسخرون ويهزأون . وكذلك سخروا من قبل على كل مصلح ، وصاحب فكرة وارادة : سخروا من هتلر وسخروا من موسولينى ، ومن مصطفى كمال . ونحن لا يزعجنا ذلك ، بل يزيدنا ايمانا . نحن نريد الحكم لا لأننا نريد مالا ، أو جاها أو سلطانا .. واذا قدر لى ان اكون فى الحكم فلن آخذ من الدنيا الا بقدر ما يكفينى لقوتى وشرابى مثل سائر المصريين » .

وبعد كل هذا القدر من التعقف .. يحذر خصومه معلنا بانه عندما يصل الى الحكم « سوف تنصب موازين لتحاكم هؤلاء الذين اجرموا فى حق هذا الوطن هؤلاء الذين خانوه وخانوا الشعب واستغلوا جهوده ونهبوا أمواله » (٥٠) .

وردا على أحمد حسين وترشيحه نفسه للحكم كتبت جريدة المصرى

---

(٤٩) مصر الفتاة ١٩٣٩/٢/٢٥ .
(٥٠) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/٤ .

تعتبر ذلك عملا من أعمال الصبية .. وانه « ضرب من السماجة التي تستحق الزجر والزجر الشديد » (٥١) .

« يواصل الوفد هجومه متجها الى نقطة الضعف الدائمة عند أحمد حسين وهي قضية التمويل وتتساءل المصرى من اين له هذه الاموال التي تتكلفها رحلته الى أوربا وطبع الكراسات وما الى ذلك « مما هو معلوم وما هو مجهول » (٥٢) .

والغريب ان أحمد حسين وهو لايجد ما يدفع به هذه الشكوك يحاول أن يتستر خلف الملك وكأنه يريد ان يقول ان الهجوم عليه هو هجوم على الملك ذاته .. معلنا ان النحاس باثارته هذه الشكوك حول تمويل رحلته الى أوربا انما « يريد ان يتطاول على مقام جلالة الملك .. والذى يدل على انه يتطاول فعلا على مقام جلالة الملك هو انه لم يتورع ولم تتورع جرائده عن أن تهاجم محمد محمود باشا ولا على باشا ماهر ، ولا الانجليز ولا الطليان بصراحة ، فلايستطيع واحد من النحاسية أن يدعوا انهم يقصدون واحدا من هؤلاء حينما يقولون أن وراءنا من يدفعنا من الخلف . فالنحاس يريد أن يقول ان جلالة الملك هو الذى يرسل بنا الى أوربا واننا ننفذ مشيئته » (٥٣) .

ولكن في هذه المرة لم يأت الهجوم من الوفد وحده بل جاء ممن كان أحمد حسين يعتمد عليهم اعتمادا كاملا في حمايته والدفاع عنه وتمويله من امثال على باشاماهر ومحمد باشا محمود ... وغيرهما ...

وفي دراسة اكاديمية اعدها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الاهرام ترد فقرة بالغة الاهمية ..

« .. وكانت نتيجة الصراع داخل القصر بين على ماهر باشا والبنداري ، ان حزب مصر الفتاة الذى كان يلعب الى ذلك الحين دور كلب الحراسة (لاحظ مغزى تعبير كهذا في دراسة اكايمية) للقوى الرجعية الاقطاعية والرأسمالية : القصر والحزاب الاقلية في مواجهة الوفد ، اخذ يتطلع الى الحكم . فقد اعلن أحمد حسين انه يتوقع انتقال حزبه الى السلطة بعد

---

(٥١) المصرى ١٩٣٨/٧/٢٣ .
(٥٢) المصرى ١٩٣٨/٧/٨ .
(٥٣) مصر الفتاة ١٩٣٨/٧/٢٥ .

ثلاث سنوات . ولما كان على ماهر باشا يتخذ من هذا الحزب مطية (لاحظ التعبير ايضا) لتحقيق مآربه الشخصية بينما كان كامل البندارى متحمسا لفكرة احلال النظام الفاشى محل النظام الليبرالى . فقد انتقل احمدحسين بولائه من على ماهر الى البندارى » . » وبعد سلسلة من المناورات والتحالفات يستطيع على ماهر ان يكسب الجولة . » . » وكانت النتيجة اخراج البندارى من القصر ، وعاد على ماهر ليقتص من حزب مصر الفتاة جزاء خيانته له وليتبنى جماعة الاخوان المسلمين » (٥٤) .

.. ولا يجنى أحمد حسين من تسرعه واصراره على ان يضع نفسه فى خدمة القصر سوى عداء الجميع . وافتقادهم الثقة فيه ...

وتطوى بذلك صفحة حاول فيها احمد حسين جهد طاقته « ان يثبت جدارته بالسير بيـلادنا فى هذا الطريق الذى سلكه من قبل هتلر وموسولينى » .

وتتبدد احلام تصور احمد حسين نفسه فيها « هتلرا » يحكم قبضته على حكم مصر .. فى ولاء تام للملك الذى اسماه احمد حسين « سيد شباب هـذا العصـر » .

(٥٤) د. محمد جمال الدين المسدى وآخرون - المرجع السابق ص ٦٥ .

ثـــم ..

الى نيـــويورك ..
وفلســـــطين ..
فالاعتـــــزال ..

وتبدأ المعاناة ..

القصر يقف الان مكتوف الأيدى ..

انطلقت مدافع الحرب العالمية الثانية ، ولم يعد بامكان القصـــر ان يتلاعب ولا بامكان الانجليز الصبر على لعبة سواء مع المحور أو مع أصدقاء المحور بالداخل ..

الان على ماهر متمركز فى القصر بعـــد أن اصبح اكثر اقتـــرابا من الانجليز ، وبعد ان كشف تلاعب احمد حسين معه .

بقية الاصدقاء القدامى هالهم أن يقف احمد حسين ضدهم جميعا لدى أول فرصة لذلك ، والنتيجة ان الجميع فقدوا الثقة به ، أو فقدوا الحاجة اليه .. ولم يبق امامه سوى اللعب المباشر بين المحور والانجليز .

الحديث مع الاثنين وضد الاثنين ، حتى يتبين الخيط الإبيض من الخيط الاسود ويتضح اتجاه احتمالات النصر ، فيحسم أمره ويؤيد المنتصر .

مع الانجليز كانت هناك صلات ، وربما كانت وثيقة ووصلت الى درجة الحصول على المال منهم .. يعترف بذلك فى صراحة غريبة واحد من قيادات الحزب .. « كانت مخابرات الانجليز قد حسبت ان فى وسعها شراء الحركات الوطنية بالمال فكانت تبعثره هنا وهناك وكان يخص حزب مصر الفتاة جانبا منه فكان يذهب فى عمليات شراء السلاح » (١) .

وقصة السلاح هى ايضا صحيحة .

فاحمد حسين حينما يمد يده للانجليز ليقبض اموالهم كان يتساءل وماذا لو انتصر الالمان ؟ ولهذا أعد خطة أخرى ..

« اعددنا خطة للعمل ضد الانجليز فى اللحظة التى يشرع فيهـا الالـــان الهجوم على الجزر البريطانية ، وتقوم على الاستفادة من الحالة النفسية التى يكون فيها الشعب فى تلك اللحظة فى تفجير ثورة شاملة ، وتتلخص الخطة فى ايفاد بعض المنظمين المسلحين بالمسدسات الى القـــرى المحيطة بمراكز الاقاليم والاستيلاء على البنادق والذخيرة الموجودة فى سلاحليك القرية القائم

(١) محمد صبيح ــ من العلمين الى سجن الاجانب ــ ص ٢١ ــ ٢٤ ــ ٣٩ .

فى بيت كل عمدة ثم حشد اهالى كل قرية للزحف على المراكز التى سيكون فيها ايضا فى تلك الاثناء بعض المنظمين الاخرين للقيام بهجوم مماثل ، وبعد الاستيلاء على المراكز يعلن الثوار مباشرة السلطة باسم قيادة الشعب الثورية ونظرا لان عدد المراكز التى يمكن ان تقوم فيها هذه الحركة يتوقف بطبيعة الحال على عدد المنظمين الذين يمكن حشدهم فقد اتصل بالشيخ حسن البنا » .

لكن البنا ــ رجل الترتيبات الدقيقة ــ لا يقبل مثل هذه الخطط البدائية ، ولعله تصور ان احمد حسين يناور عليه ويستدرجه اكثـــر مما يدعوه الى المشاركة .. واخبر البنا ، احمد حسين ان خطته غير صالحة لسببين بسيطين « اولهما :

ان بنادق الخفر التى تطلق الخرطوش لا تصلح كسلاح يشهر فى وجه الانجليز . ثانيا ان الخطة تفتقر الى المال الذى لا يجب ان يقل عن مائتى الف جنيه . وهذان الشرطان لم توفرهما الخطة وقال البنا: « اننا لا نبحث عن مغامرةقد تخيب وتفشل ، وانما نعد انفسنا لعمل قوى ناجح لان الفشـــل يكونكارثة لا على حركتنا فحسب بل على العالم الاسلامى كله » (٢) .

ويبدوان احمد حسين قد حاول بشكلأو بآخر الاعداد لهذه المغامرة منفردا .. فقد قبض على الشيخ توفيق الملط وهو متوجه الى اسيوط لتنظيم المقاومة فيها وجمع الاسلحة والذخائر .. وقد ضبط فى محطة الجيزة ومعه بعض الديناميت . وقدم الى المحاكمة بتهمة احراز ديناميت لاغراض ثورية . (٣) .

كان الانجليز اذا يمدون ايديهم بالمال ويفتحون عيونهم بالحذر فى آن واحد ..

فلم يكن بامكانهم الاستناد الى ان مجرد اغداق المال على احمد حسين كاف لضمان وقوفه معهم فى السراء والضراء .. ولعلهم استعادوا فى ذاكرتهم .. ان آخرين قد اغدقوا عليه فانقلب عليهم ..

وما ان القى القبض على توفيق الملط حاملا بعض الديناميت حتى استعد الانجليز للتخلص من احمد حسين واعوانه قبل ان يصبحوا عنصر خطر داهم فى حالة تردى الاوضاع العسكرية .

---

(٣) محمد صبيح ــ المرجع السابق . ص ٣٦ .

وجاءت الفرصة السانحة ..

فعندما قامت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى مايو ١٩٤١ انضم اليها د. مصطفى الوكيل الذى تصادف وجوده هناك فى ذلك الحين استاذا بكلية المعلمين ببغداد . وأذاع الوكيل بيانا من الراديو باسم رئيس الحزب يعلن فيه تأييد الثورة (أكد أحمد حسين فيما بعد انه سمع البيان كغيره من الراديو وانه لم يشارك فى اصــــداره) وانضم مصطفى الوكيــــل متطوعا بالجيش العراقى » (٤) .

واغتنم الانجليز الفرصة للتخلص من هذه الجماعة الغير مضمونة الولاء والتى تنقلب فجأة الى موالاة المحور اذا ما استشعرت أى أمل فى انتصاره .. وكان هذا الامل هو الاقرب الى الاحتمال فى ذلك الحين . فقبض على أحمــــد حسين بعد مطاردة طويلة اختفى فيها عن الانظار وأودع المعتقل هو ومحمد صبيح وحسن جريو وحسن سلومة وتوفيق الملط وابراهيم طلعت وزكريا حنفى والزيادى وفتحى ابو الوفا وغيرهم ولم يفرج عنهم الا فى نهاية الحرب فى عهد الوفد » (٥) .

والحقيقة ان النحاس باشا قد عامل احمد حسين خلال فترة اعتقاله معاملة كريمة « فقد وضعه فى مكان يليق به وأجرى عليه رزقا واسعا ، وسمح لاسرته بالسكن معه » (٦) .

وكان النحاس قد دأب منذ توليه الحكم فى فبراير ١٩٤٢ على تحــــدى الانجليز فيما يتعلق بالموقف من المعتقلين المتهمين بمناوأة وجودهم فى مصر أو حتى بالتعامل مع المحور .. فقد بدأ النحاس عهده بالافراج عن عزيز باشا المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف بعد شهر واحد من توليه الحكم .. كذلك افرج رغم انف الانجليز عن المجــــاهد الفلسطينى محمد على الطاهر وكان قد قبض عليه فى عهد حسن صبرى باشا بطلب من الانجليز ثم هرب من المعتقل وظل مختفيا حتى سلم نفسه للنحاس باشا الذى أمر بالافراج عنه فورا . ويروى محمد على الطاهر انه سمع بنفسه النحاس

---

(٤) أحمد حسين ـ وراء القضبان ـ المرجع السابق ص ٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٧٣ ـ ١٣٤ .
(٦) محمد على الطاهر ـ معتقل هاكستب ـ المطبعة العالمية بمصر ـ (١٩٥٠) ص ١١٦ .

يقول لأمين عثمان « قل للانجليز انني اطلقت الطاهر وسيخرج من عندك حرا ·· وان اعترض الانجليز على ذلك فقل لهم الا يفتحوا لي هذه السيرة ، فانا قد اطلقته وانتهى الامر » (٧) ·

·· وبقي أحمد حسين رهن الاعتقال اكثر من ثلاث سنوات ·

* * *

·· « خرجت من الاعتقال لأرى روح المادة وقد تسلطت على كل مصري ، وقد اصبح الثراء والثراء الفاحش هو قبلة كل مصري بغض النظر عن الوسيلة التي تنتهج للوصول الى ذلك ، حتى « المجاهدين » الذين كانوا معي طوال عشر سنوات اصبحوا يتطلعون الى هذا الثراء الفاحش ويسعون اليه بقفـــزة واحدة » (٨) ·

وهكذا خرج أحمد حسين من الاعتقال ليواصل نشاطه وليجد كثيرا من « المجاهدين » وقد تركوا الحزب ليسعوا وراء الثراء ·· وهذه مشكلة ، لكن المشكلة الاكبر كانت في اصدقاء الامس الذين اصبحوا اليوم حكاما ولم ينسوا لاحمد حسين طموحه وانقلابه ضدهم ، أو لعلهم استصغروا شأنه بعد وصولهم الحكم واحسوا بعدم حاجتهم أليه ··

« خرجنا من الاعتقال لكي نستأنف كفاحنا من جديد · ومرة اخرى تجدد الاضطهاد وتجددت حرب الانجليز وحكومة السعديين لنا · وقد جرت في هذه الفترة انتخابات عامة رشحنا لها وكدنا ننجح في كثير من الدوائر (!) بل لقد نجحت بالفعل في دائرة محكمة السيدة (!) ولكني اقصيت عن النجاح قوة واقتدارا · ولم يلبث القدر ان انتقم لنا فاغتيل أحمد ماهر وخر صريعا في دار البرلمان ، وتألفت وزارة النقراشي الذي كان اول اعمالها هو ضرب مصر الفتة والقضاء عليها · ولقد زج بي في السجن اربعة اشـــــهر كاملة بتهمة الاشتراك في مقتل أحمد ماهر ، ولم يلبث النقراشي ان سقط ·· وتألفت وزارة صدقي باشا التي جاءت لتحقيق مطالب البلاد القومية » (٩) ·

---

(٧) محمد علي الطاهر — ظلام السجن — مذكرات ومفكرات — عيسى البابي الحلبي (١٩٥١) ص ٤٩٤ ·

(٨) أحمد حسين — وراء القضبان — المرجع السابق · ص ١٣٩

(٩) أحمد حسين — ايماني · ط ٢ — ص ٣٢٣ ·

ونتأمل الجملة الاخيرة « وتألفت وزارة صدقى باشا التى جاءت لتحقيق مطالب البلاد القومية » ونستشعر الدهشة • فكان احمد حسين لا يستمرىء سوى حكم الدكتاتورية ! وكأنه لا يستريح الا لامثال صدقى باشا ومحمد محمود • •

★ ★ ★

• • نحن الان فى زمن تتفجر فيه القضية الوطنية بانتظار الحل • •

الحرب العلية الثانية انتهت • والمصريون يتوقعون اما جلاء الانجليز واما انفجار ثورة شبيهة بثورة ١٩١٩ وامتلأت جدران المدن الكبرى والصغرى بشعار « يا شباب ١٩٤٥ كن كشباب ١٩١٩ » • • واسهم اعضاء مصر الفتاة فى هذه المهمة بجهد كبير • •

والشيوعيون بدورهم توقعوا انفجار الاحداث وحددوا لها يوم افتتاح الدراســـة بالجامعة وبلغ من فرط تأكدهم من ضرورة الانفجار وحتميته ان وجهوا منشورا وزع قبل افتتاح الجامعة بيوم واحد يناشدون فيه رجال البوليس الا يتعرضوا للمظاهرات المناهضة للانجليز • • (١٠) •

العمل الثورى ينضج • • يوشك ان يعطى ثمارا وهنا يعد أحمد حسين فى ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ مذكرة عن « المطالب القومية » ويحرص كعادته على ان يتقدم بها الى اعتاب جلالة الملك (١١) •

وتعلق مجلة الفجر الجديد (اليسارية) على هذه المذكرة بقولها « يسود التردد الحكومة والاحزاب الرسمية ازاء حقوقنا الوطنية ، ولقد استفادت الرجعية المصرية المتطرفة من هذا التردد فعاد حزب مصر الفتاة يرفع رأسه من جديد ويستأنف نشاطه وهو الذى لم يتبرأ الى الآن من تأييده الســـــابق للفاشية الايطالية والالمانية واليابانية » •

اما عن المذكرة ذاتها فهى برأى الفجر الجديد ، « تحتوى على آراء رجعية متطرفه تكشف عن احتقار أحمد حسين للشعب المصـــــرى ومنظماته

(١٠) لمزيد من التفاصيل راجع — د• رفعت السعيد — تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ — ١٩٥٠ دار الثقافة الجديدة — القاهرة — (١٩٧٧) •

(١١) الوفد المصرى ١٩٤٥/٨/٢١

الديمقراطية وكفاحه الدستورى الطويل فضلا عن انها تتقدم باقتراحات (عملية) فى منتهى الخطورة لو طبقت لالقت بمصر وشعبها فى مهب الفوضى المخربة ولأدت الى تقديم البلاد ضحية مستسلمة للاستعمر » (١٢) ٠

وكعادته فان أحمد حسين قد قدم معالجات « غير جوهرية » بل وسطحية تماما للقضية الوطنية ٠٠ مثل رفض تعلم اللغة الانجليزية والفرنسية ، واحراق الكتب الانجليزية فى مهرجانات صاخبة ، ومقاطعة المصنوعات الاجنبية الخ ٠ كل هذا بينما الفعل الثورى يتفجر بصورة عنيفة تجعل من مثل هذه المطالبات تراجعا بل وافراغا للعمل الوطنى من مضمونه الثورى ٠٠

وعندما تكونت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لتقود العمل الوطنى والديمقراطى والثورى فى مواجهة الاحتلال والقصر وصدقى معا ٠٠ فوجىء الجميع بمصر الفتاة تنسلخ من اطار الفعل الوطنى لتنضم الى جبهة مناوئة ٠٠

يقول طارق البشرى « بعد ان تولى صدقى الوزارة زار مركز الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين ورأى ان اعتماده عليها هو خير ما يفتت الوحدة التى ظهرت بين الشباب ٠٠ وقد بادر الاخوان بتأييد صدقى عند مجيئه الحكم ٠٠ وعلق زعيم الاخوان بالجامعة على وعود صدقى بآية من القرآن « واذكر فى الكتاب اسماعيل ٠٠ انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (١٣) ٠

والى هذا المعسكر (اسماعيل صدقى — الاخوان) سارع أحمد حسين بالانضمام ٠ ففى مواجهة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال « بادر الاخوان الى تشكيل « اللجنة القومية » وقد شكلت فى اجتماع عقد بمركز الاخوان منهم ومن مصر الفتاة وحزب الفلاح الاشتراكى وجبهة مصر التى كان على ماهر قد انشاها منذ عام ١٩٤٥ وبعض الشباب الاحرار الدستوريين والحزب الوطنى وقابلت اللجنة صدقى باشا فى أول مارس فاظهر عطفا عليها ٠٠ واتفق أن يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف هو ممثل الحكومة فى اللجنة » (١٤) ٠

---

(١٢) الفجر الجديد ١٩٤٥/١٢/١٦ مقال لصادق سعد بعنوان « وهذا صوت مصر الفتاة » ٠

(١٣) طارق البشرى — الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) ص ١٠٧ ٠

(١٤) الاهرام ١٩٤٦/٣/٢ ٠

وحثت حكومة صدقى الصحف على افساح مجالات واسعة لنشر بيانات واخبار هذه اللجنة فى ذات الوقت الذى كانت تمنع فيه نشر بيانات واخبار اللجنة الوطنية » (١٥) ٠

ولكن الاخوان ما لبثوا ان تخلوا عن اللجنة الوطنية معلنين اعتذارهم « عن الاشتراك مع أية هيئة أو حزب أو جماعة فى تشكيلات أو لجان لا تحمل طابع الوحدة الكاملة الحقيقية لجميع الهيئات التى تمثل الشعب » (١٦) ٠

وكما كانت دعوة الاخوان لتشكيل « اللجنة القومية » ايذانا بميلادها ، فقد كان فى انسحابهم منها نهاية مؤكدة لها ٠٠ (١٧) ٠

ثم لا يلبث أحمد حسين ان يتحمس « لعرض القضية على مجلس الامن » مع توجه واضح المعالم هو الاعتماد على الدور الامريكى فى المجلس وخارجه والمبالغة فى هذا الدور (١٨) ٠

واخيرا شد أحمد حسين رحاله الى أمريكا ٠٠ تاركا مصر تغلى بالثورة ورجاله يحرقون الكتب والمجلات الانجليزية ٠٠ ويصبون جام غضبهم على البارات ٠٠٠

وكعادته دوما ٠٠ حرص أحمد حسين قبل سفره الى أمريكا أن يوجه برقية الى كبير امناء القصر الملكى « يرفع فيها خالص ولاءه وصادق اخلاصه للمليك المفدى » (١٩) ٠

ويبدو ان أحمد حسين كان يعلق آمالا كبارا على عرض القضية امام مجلس الامن فهو يقول ٠٠ « اذا لم تقبل بريطانيا ان تجلوا فورا عن الوادى فعلى الحكومة المصرية ان تعرض قضيتنا على مجلس الامن الذى سينعقد فى ٢١ مارس الحالى لتحصل عن هذا الطريق على كل ما تريد » (٢٠) ٠

ومن هنا كان حماسه للسفر الى أمريكا ٠٠٠

★ ★ ★

(١٥) شهدى عطية الشافعى ـ تطور الحركة الوطنية المصرية ص ١٠٤ ٠
(17) Jeou piere Thiek-Lejournee Du 12 Feurier p. 72
(١٨) طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٤ ٠
(١٩) الاهرام ـ ١٩٤٧/١/١٤ ٠
(٢٠) مصر الفتاة ـ ١٩٤٦/٣/١٣ ٠

لكننا وقبل ان ننطلق مع أحمد حسين الى أمريكا نتوقف قليلا لنفحص الموقف من القضية الوطنية ٠٠

كانت مصر تتفجر بالثورة بحثا عن طريق تصب فيه هـذا الانفعـــال الثورى وتلك الرغبة فى التحرر من الاستعمار ٠

وكان هناك موقفان :

ــ اليسار يحدد طريقا ومنطلقا ٠٠ الكفـــاح الشعبى المسلح ضـــد الاحتلال ٠

ــ واليمين يحدد طريقا ومنطلقا ٠٠ التفاوض مع الانجليز ٠

وفيما يتعلق بالسودان كان هناك ايضا موقفان :

ــ اليسار ينادى بالكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى ضد العدو المشترك وضمان حق تقرير المصير للشعب السودانى ٠

ــ اما اليمين فكان ينادى بشعار « نيل واحد ، شعب واحد ، تاج واحد ملك واحد هو الفاروق » ٠

فأين كان موقف « مصر الفتاة » من هذين المنطلقين ؟

كانت الكلمات اكثر ما تكون حماسا ٠٠

« الاستجداء من الانجليز لا يجدى انما يؤخذ الاســتقلال ولا يعطى ، وتنتزع الحرية الحمراء انتزاعا عندما يتهيأ الحر لدفع الثمن ٠٠ فاذا سألنى سائل وكيف نحقق المطالب القومية ، وكيف نحقق وحدة وادى النيل ، وكيف يجلى الانجليز عن بلادنا قلت له انما يتحقق ذلك عن طريق الجهاد وعن طريق التضحيات وعن طريق الشـــجاعة والجرأة والاقدام ٠ وعلى حكومة مصر أن تقرر أن وادى النيل وحده لا تتجزأ ، وأن يصدر البرلمان المصرى قراراته لجعل هذه الوحدة حقيقة مقررة » (٢١) ٠

وبعدها بثلاثة أيام يحاول احمد حسين أن يفك طلاسم الكلمات المجردة : التضحيات ٠٠ الشجاعة ٠٠ الجرأة ٠٠ الاقدام ، وأن يرسم ما يعتقد أنه طريقا لتحرير الوطن ٠

---

(٢١) مصر الفتاة ١٩٤٥/٨/١٥ ــ مقال لاحمد حسين ٠

« يجب أن نجعل التجنيد اجباريا لمدة سنتين لينضوى تحت لوائه الفقير والغنى والحقير والامير ، فيرتفع مستواه ويصبح المصريون بعد فترة وجيزة من الزمن مستعدين لاستجابة داعى الجهاد الوطنى • وعليه يجب أن نمد الجيش بأحدث الاسلحة وأفتكها لان الجيش العرمرم بدون سلاح كقطيع من الغنم اذا ما رأى الذئب أطلق سيقانه للريح • وفى سبيل ذلك يجب أن ننشىء مصانع الاسلحة والذخيرة والطائرات والبوارج والغواصات ويجب أن تعتمد هذه المصانع على حديد مصر وفولاذها المدفون فى تربتها » (٢٢) •

ونفحص الكلمات وماذا تعنى •• هو يريد أن يحرر مصر بواسطة جيش حكومى « عرمرم » والجيش يريد أحدث الاسلحة « وأفتكها » ولهذا يجب أن ننشىء مصانع الاسلحة والذخيرة والطائرات والبوارج والغواصات •• والمصانع تريد فولاذا •• فلنستخرج الفولاذ •• أولا •• (!) •

ولم يتوقف أحمد حسين ليسأل نفسه كيف يمكن لحكومات ضعيفة بل وعملية للاحتلال أن تفعل ذلك كله • وكم من عشرات السنين تحتاج لتحقق ذلك كله وهل سيسمح لها الاحتلال بذلك أم لا ؟

وهو يتحمس للمفاوضات مع المتحمسين لها • فعندما تفشــل وتتعثر يعلن أن الاستمرار فى المفاوضات خيانة وطنية ، ويحمل المفاوضين المصريين مسئوليتها ويعلن الحزب أنه سيجاهد لوضع حد لهذه المؤامرة » (٢٣) •

حسنا هو الآن ضد المفاوضات •• ولم يقل بالكفاح المسلح ، والجيش « العرمرم » لم يتكون بعد ولا قامت مصانع الطائرات والغواصات والبوارج والفولاذ لم يستخرج بعد فما هو الطريق ••؟

« اعلان الحرب » ! •• أى حرب ؟

« نحن نريدها حربا قانونية رسـمية وفقا لاحكام قانون الحرب تعلنها الحكومة المصرية للحكومة البريطانية وتخطر بها الدول الاخرى ، ويحاط بها مجلس الامن علما وعندنا أن هذا الاجراء السليم الذى لم يبق هناك مناص من الاقدام عليه » (٢٤) •

---

(٢٢) مصر الفتاة ١٩٤٥/٨/١٨ — مقال لاحمد حسين بعنوان « القوة • القوة »

(٢٣) مصر الفتاة ١٩٤٦/٩/٢٥ •

(٢٤) مصر الفتاة — المرجع السابق •

والســـؤال هو : هل كان أحمد حسـين جادا عنـدما يطلب الى حكومة النقراشى باشـــا وقبل أن تنشىء الجيش « العرمرم » وتصـــنع الغواصـات والبوارج ‥ أن تعلن الحرب على الانجليز ‥ وكيف والانجليز مقيمون فى القاهرة ، مهيمنون على القصر الملكى وعلى الجيش وعلى الحكومة وعلى كل مرافق البـلاد ؟

‥ وأخيرا كان المخرج هو اللجوء الى مجلس الامن « لتحصـل مصر عن هذا الطريق على كل ما تريد » ٠

والحقيقة أن أحمد حسين قد فعل كل ما يســـتطيع كي يتجنب طريق الكفاح الشـعبى المسلح ٠

* * *

حضرة صاحب المعالى كبير الامناء ٠

قصر عابدين

ارجو أن ترفعوا خالص ولائى وصادق اخلاصى الى مقام المليك المفدى بمناسبة سفرى الى أمريكا للدفاع عن حق وادى النيل فى الحرية والوحدة فى ظل تاج الفاروق ٠ عاش الملك والمجد لمصر ٠

« أحمد حسين »

ويمضى أحمد حسين فى أمريكا خمسة اشهر كاملة (٢٥) وعاد الى مصر دون أن ينتظر عرض القضية على مجلس الامن ‥ « عدت من أمريكا دون انتظـار عرض قضـية مصـــر على مجلس الامن لأننى كنت قـد اكتشفت بعد خمسة اشهر قضيتها فى نيويورك وفى هيئة الامم المتحدة أن قضية مصر ستحل فى القاهرة لا فى أمريكا ، وان الدماء المصرية هى التى سترفع لواء المجـــد » (٣٦) ٠

واذا كان لرحلة الشهور الخمس من فائدة فهى انها أعادت أحمد حسين وقد فقد حماســـه لامريكا « عدت من أمريكا كافرا بالامريكان وديمقراطيتهم

(٢٥) راجع تفاصيل هذه الرحلة فى أحمد حسين ـ واحترقت القاهـــرة ـ المرجع السابق ص ١٣٢ ـ ٢٠٩

(٣٦) مصرر الفتاة ١٩٤٧/٩/٤ مقال لاحمد حسين ٠

المزعومة ، موقنا انهم يعملون على ســيادة العالم واخضاعه لاقتصاديتهم ، وانهم فى الطريق لاشعال حرب عالمية » (٢٧) .

بل كان أحد اسباب عودته الى مصر .. « ان يحذر مواطنيه ، ان يحذر بنى الشرق جميعا . من ان ينحدروا الى هذه الهوة التى تردى فيها الامريكان فى ظل ماديتهم وســعرهم الجنونى الى ماديات الحياة » .. حيث « اصبح المعبود هو الدولار ، به تقاس الاشياء ، الخير والشر ، القبيح والحسن ، الحق والباطل ، لا مقياس الا الدولار » (٢٨) .

ويعود أحمد حسين ليجد الطريق وقد اصبح مسدودا تماما .

كل الابواب موصــدة ..

المفاوضات أوقفت ، المظاهرات اخمــدت ، الحركة الثورية تحتــاج الى ما يعيد اندفاعها أو الى مسار صحيح تتجه اليه ، مجلس الامن لن يحــل المشكلة . أمريكا تريد السيطرة .. فهل من مخرج ؟

نعم ... الحرب الفلسطينية ..

ومنذ البداية كان حزب مصر الفتاة قد شارك فى الكثير من التوجهات الخاطئة حيال القضية الفلسطينية وتحولت مظاهرات التأييد لفلسطين الى اعمال عنف ضد اليهود المقيمين بمصر . الامر الذى أدى الى تحويل المعركة الوطنية ضد الصهيونية لتصبح معركة طائفية ضد اليهود ..

وتعقب مجلة الفجر الجديد « اليسارية » على اعمال العنف التى ارتكبها اعضاء مصر الفتاة والاخوان المسلمون ضد اليهود المقيمون بمصر فى ذكرى وعد بلفور (٢ نوفمبر ١٩٤٥) قائلة « ان الصهيونية قد استفادت من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة خاطئة ، اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية ، انها لا تحترم الاقلية اليهودية ، وانه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحــد » (٢٩) .

وهكذا تقف اعمال العنف الموجهة ضد اليهود المقيمين فى مصر بشــكل موضوعى فى صف الدعوة الصهيونية .

---

(٢٧) احمد حسين ــ الارض الطيبة ، رسالة فى الوطنية ــ المرجع السابق ــ ص ١٦٥

(٢٨) احمد حسين ــ واحترقت القاهرة ــ المرجع السابق ص ٢٠٨ .

(٢٩) الفجر الجديد ــ العدد ١٣ ــ (د . ت) .

فاذا كانت الصهيونية تحاول دفع اليهود من كل انحاء العالم الى الهجرة الى ارض فلســطين بأمل أن تصبح بالفعل « ارض الميعاد » ويهدف اقامة وطن يهودى فيها ‥ واذا كان اليهود العرب هم الثمرة الاقرب منالا والاسهل انتقالا ‥ والاكثر قدرة على التلاؤم مع طبيعة المنطقة وواقعها الجغـرافى والسكانى ، واذا كانت الدعاية الصهيونية تستند على أن اليهود مضطهدون دوما ، وانه لا أمل لهم الا فى وطن قومى فى فلســطين ٠ فان أعمال العنف التى أسهم أعضاء مصر الفتاة فى ارتكابها ضد اليهود المقيمين فى مصر كانت تخدم ــ للاسف الشديد ــ هذه المخططات ‥

فهى تسهم مع الصهيونية فى اقناع اليهود بضرورة الهجرة ‥ وتسهم معها فى بث روح البغضاء ضد العرب فى نفوسهم (٣٠) ٠

وتأتى الحرب مخرجا ‥ بل مهربا ٠

والى فلسطين يسرع أحمد حسين ربما ليفصل نفسه من الواقع المصرى البالغ التعقيد وربما لانه يعتقد أن واجبه يستدعيه الى هناك « فكيف يستطيع زعيم (!) أن يبعث النـاس كى الميدان وهـو قاعد فى بيتـه ، يكتفى بالخطب والعظات وحض الآخرين على القتال ٠ وبأى وجه يقول القائد للشباب تطوعوا أو موتوا فى سبيل فلسطين ٠ وهو هادىء ناعم البال ؟ » (٣١) ٠

ويسافر « الزعيم » الى فلسطين ويكتشف هناك ان « الجهاد » ليس مجرد كلمات ولا مجرد شعار ٠ وهو يصف بنفسه مصير « الزعيم » عندما أصـبح جنديا « انظروا اليه ، انظروا الى فوزى السيد (أحمد حسين) سبع البرمبة البطل المغوار ، انظروا اليه وهو يغرق فى شبر مية ، أنظروا الى الانسان الذى يتصور نفسه زعيما ، وهو معلق بين الارض والسماء ، بين الحياة والموت ، انظروا اليه كم هو ضعيف الحيلة ، مشـلول الارادة ، كما لو كان ذبابة تتخبط فى بيت عنكبوت ، وفأر فى المصيدة » (٣٢) ٠

‥ وتمضى به الايام فى ارض فلسـطين دون أن يخوض أى معركة ‥ وأخيرا لا يجد بدا من الاعتراف ‥ « انه يضيع وقته عبثا ، ليشـترك فى مظاهرة لم يقصد من ورائها سوى الدعاية ، كما لا يقصـد الجميع سـوى

---

(٣٠) لمزيد من التفاصيل ـ راجع د٠ رفعت السعيد ـ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ـ دار الفارابى بيروت (١٩٧٤) ٠

(٣١) الاهرام ١٩٤٨/١/٩٠ ٠

(٣٢) أحمد حسين ـ واحترقت القاهرة ـ المرجع السابق ص ٣٦٣ ٠

الدعاية وما هو وراء الدعاية من المؤمرات والمناورات لتحقيق الاغراض الذاتيـــة » ٠

اية صراحة يتحلى بها الرجل حين يقدم مثل هـــذا الاعتراف ٠٠ وحين يمضى قائلا « لا ٠٠ لا انه يجب أن يواجه الحقيقة ، انه لا يصلح للقتال على اية حال ، لقـــد قام بنصيبه ، وقدم القـــدوة لغيره ٠٠ أما الآن فمكانه فى مصر ٠٠ للدعوة لما تكشف له من حقائق » (٣٣) ٠

عاد احمـــد حســـين من فلسطين ليبشر بضرورة « تغيير الموقف من فلسطين وبقيـــة البلاد العربية ٠٠ وهو يؤكد « ان الموقف لم ينضج بعـــد هذه الوحدة (الوحـــدة العربية) وخير من هذا أن نبذل جهدا معتمدين فيه على انفسنا للوصول بمصر الى أكبر درجات القـــوة » (٣٤) ٠

ويعود « الزعيم » ليجد كل الطرق مسدودة ٠٠ ولا مخرج ٠

كل الشعارات الرنانة أجهضت ، كل الكلمـــات استنفذت ، والمواقف تتهاوى واحدا بعد الآخر نحو اللانتيجة واللامخرج ٠٠

ولا أمل امام الزعيم ســـوى الهرب من كل شىء حتى يجـــد ما يقوله او ما يفعل ٠٠

وجد احمـــد حسين ضالته فى تعذيب المقبـــوض عليهم من اعضـــاء جماعة الاخوان المسلمين « فاقشعر بدنى أن تكون قد انحدرنا الى هذه الهاوية وأن تكون نظم محاكم التفتيش قد بعثت فى بلادنا » ٠

حسنا ٠٠ فماذا يكون الموقف ٠٠ ؟ قد يتصـــور البعض ان احمـــد حسين سيرفع رايه الاحتجاج ضد انتهاك حقوق الانسان المصرى ، او سيتقدم كمحام ان لم يكن كسياسى للدفاع عن هؤلاء المعذبين ٠٠ لا شىء من ذلك لقـــد وجد احمد حسين مهربا لنفسه ٠٠

« اعلنت احتجاجى على هذه الاوضاع ، فاعتزلت الحيـــاة العـــامة وقبعت فى الريف حتى تنجاب الغمة » (٣٥) ٠

ونكتفى بذلك ٠٠

---

(٣٣) المرجع السابق ص ٢٨١

(٣٤) عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ص ٨٦ ٠

(٣٥) مرافعة الاستاذ احمد حسين المحامى فى قضية اغتيال محمود فهمى النقراشى باشا ـ المرجع السابق ص ١٦٠ ٠

ـ النهـــــاية

حـــريق القـــاهرة

،وثورة يوليـــو

،فالحـــل

وبتبدأ مرحلة الغليان ، مصر الهـادئة دائما ـ الا قليلا ـ تستعد للانقضاض .

لم يكن الامر مجرد عودة الوفد للحكم بعد طول غيـاب ، ولا مجرد الافراج عن مئات المعتقلين والغاء الأحكام العرفية ، ولا استعادة الصحافة لقدر ما من حريتها .. وانما كان الامر اكبر واعمق جذورا .

معاهدة ١٩٣٦ يجب أن تلغى » الكفاح المسلح ذلك الشعار الذى رفعه اليسـار قبل خمس سنوات فقوبل بالاستنكار من البعض وبالسخرية من البعض الأخر ، هذا الشعار يوشك ان يفرض نفسه فرضا حتى على هؤلاء الذين كانوا اول من نادوا به ..

الغليان الثورى يتفجر ..

الى درجة ان حكومة الوفد عندما حاولت فرض تشريعات جديدة لتقييد حـرية الصحافة قوبلت بمعارضة قاصمة اشتركت فيها كل العناصر الوطنية المستنيرة ومن بينها الكثيرين من اعضاء مجلس النواب الوفديين .. وتنشر الاهرام فى دهشة بالغـة « تلقينا من مندوب الاهرام الخاص فى الاسكندرية ان شباب نواب الوفد عقدوا هنـاك صباح أمس اجتماعا قرروا فيه فيما قرروا معارضة التشريعات الجديدة الخاصة بتقييد حرية الصحافة والذهاب فى معارضتهم الى ابعـد حـد » (١) .

والقصر الملكى يتحول ليصبح محط احتقـار الجماهير المصرية وتصبح سمعة الاسرة المالكة مضغة الافواه والملك واخواته وأمه محلا لشائعات واخبار مشينة اغلبها صحيح ... وخاصة بعـد حادثة رياض غالى الذى وصـف بأنه « راسبوتين القصر الملكى .. » (٢) .

وتوشك القوى الوطنية على أن تعثر على صيغة توحد بها جهودها .. فى سبتمبر ١٩٥١ يعقد اجتمـاع يحضره « فتحى رضـوان (الحـزب الوطنى) ـ أحمـد حسين (الحـزب الاشتراكى) احمـد كامل قطب (حزب الفلاح الاشتراكى ـ يوسف حلمى (حركة انصار السلام) » (٣) .

(١) الاهرام ١٩٥١/٧/٣٠
(٢) الاساس ١٩٥٠/٥/١٧
(٣) الملايين ١٩٥١/٩/٢

وتصبح الجبهة الوطنية شعارا تنادى به مختلف القوى ..

« لتتكتل الهيئات الاشتراكية وانصـــار السلام والاخوان فى جبهـــة للتعبير عن غضب الشعب وتبرمه ، يجب ان تكون الصيحة اليوم فى كل مكان التكتل ، فجماهير الشعب لا تستطيع ان تعبر عن رغبتهـــا الا اذا تجمعت ونظمت وتعاونت . » (٤) .

.. وباختصار كانت مصر تموج بالعمل الشـــورى ، وتستعد للمـــزيد من هذا العمل الامر الذى دفع القـــوى الرجعية حتى فى صفوف الحـــكومة الوفدية الى ابداء شاعر الخوف والفزع .. فيصف حامد زكى باشـــا وزير الاقتصاد الوطنى الشعب المصرى بانه « شعب احمر » (٥) .

وتسرع الحكومة لتشن سلسلة من القوانين المقيدة للحريات فتفشل تحت ضغط الحركة الشعبية وتحت ضغط الوفديين انفسهم ..

واحمـــد حسين الذى عاد من منفاه الاختيـــارى حيث كان معتـــكفا عاد ليرفع أعلام دعوته من جديد ..

وبدلا من شـــعاره المثلث « الله ــ الوطن ــ الملك » يكتفى بشـــعار « الله ــ الشـــعب » اما « الحزب الوطنى الاســـلامى » فقـــد اصبح « حزب مصر الاشتراكى » فقد راى احمـــد حسين ان يتسمى بالاشتراكية ، فقـــد راى الموجة الاشـــتراكية تتغلب فى تلك الايام وتسيطر على عقول الشباب ، ولما كان رجلا لا تفوته دلالة هذا الزحف الفكرى والتقدمى ، فقـــد راى ان يركب الموجة الجديدة » (٦) .

لكن هـــذا التغيير لم يكن سهلا ، حتى بالنسبة لاحمد حسين نفسه ..

وقد اضطر احمد حسين ان يتردد لبعض الوقت قبل ان ينطلق فى هذا الاتجاه الجديد .

كان الموقف من « الملك » يشـــغله كثيرا وكذلك الموقف من الطبقات الاجتماعية .. وهو الرجل الذى عاش طوال حيـــاته السابقة مســـترخيا

---

(٤) الشعب الجديد ١٩٥١/٧/١٥

(٥) المصرى ١٩٥١/٨/٣ .

(٦) فتحى الرملى ــ ضوء على التجارب الحزبية فى مصر ــ(١٩٧٨٠) : (الناشر لم يذكر) ص ١٢٢

فى أحضـــــأن القصر الملكى مستمتعا بتأييده ، وهو الذى حرص فى ســـابق أيامه على تأكيد رفضــه للصراع الطبقى واكتفـــائه بأقل الاصلاحات إيلاما للأغنيـاء "

وتدريجيا تقدم الرجل ..

فى عـام ١٩٤٨ أعد برنامجا جديدا لحزبه .. ظلت اللوحة الاساسية فيــه « الله ـ الوطن ـ الملك » ونغمة الولاء للملك ـ حتى فى عام ١٩٤٨ ـ كانت مهيمنة على احمد حسين .. الملك « نعظمه ونلتف حــول عرشــه » وهو يؤكد الولاء للدستور لكنه يؤكد أيضـــا « أن حجر الزاوية فى هــذا الدستور هو الملكية الدستورية » .

ويصف مؤرخ محايد هـــذا البرنامج قائلا « تمثلت الروح المحافظة بالنسبة للفـكر الاجتماعى للبرنامج فى محاولته الوصول لصيغة لتحـــرير أبناء مصر والسودان على اختـــلاف طبقاتهم من الخـوف والعـوز بمقاومة الاستبداد أو الطغيان السياسى أو الرأسمالى أو الاجتماعى ، بما يعنيــه ذلك من اغفال للصراع الطبقى الذى يعتبر الاقرار به أســـاس الفهم والعمــــل من أجـــل التحرر الاجتماعى » (٧) .

لكن البرنامج يحدد بعض التوجهات الاجتماعية التى اعتبرت نقطة تحول فى فــكر احمـــد حسين وفى توجهاته الســـياسية فقد طالب « بوضع حد أعلى للملكية الزراعية لا تتجــــاوزه ، وأن تلغى الضرائب المباشــــرة وغيرالمباشرة عن الحاجات الاساسية للشـعب ، وتتدرج الضرائب عى الدخل ورأس المـال فى التصــــاعد بحيث تستنزف القسم الاكبر من الدخــــول اذا زادت من حـــد معين ، وأن تتولى ضــــريبة التركات الحـــد من تفــــاقم الثروات الضخمة لتضم الى الدولة » (٨) .

ويعلق طارق البشرى على هذا البرنامج فى مجمله قائلا « والمهم بشكل عام أن ما ورد بالبرنامج بالنسبة للمطالب الاجتماعية الخاصة بالملكية الزراعية وبالشركات وبالاجانب وبالنظام الضريبى أى بالموقف من الثروات ، كان كل ذلك ملامح من الفــكر الاجتماعى لا تصل الى مستوى الفـــكر الثورى ..

(٧) طارق البشرى ـ المرجع السابق ص ٢٢٧ .
(٨) المرجع السابق ـ نفس الصفحة .

وكان عيب البرنامج فى ذلك أنه لم يستطع استيعاب فكرة الصراع الطبقى ، ولم تتضح لديه تماما الطبيعة الطبقية للنظام القائم وللدولة ، فبدت أهدافه لا تتجاوز المستوى الاصلاحى ولا تتخطى حدود النظام القائم • فكان البرنامج بطبيعته برنامجا مؤقتا وضع الحزب به نفسه بين مفترق الطرق وفى مواجهة التيارات المتعارضة • وكان لابد للحزب أن يخطو خطوة أخرى للامام أو الخلف ، ولم ينقض عام حتى اتى المد الثورى ليحسم موقفه وليسهم هو فيه بدور فعال » (٩) •

•• هكذا اختار أحمد حسين أن يخطو الى الامام • وان يواكب المد الثورى وأن يسهم فيه •• وبعد عام واحد من برنامجه السابق ، قدم احمد حسين برنامجا يثبت به أنه يتقدم مع حركة الجماهير المنطلقة ، ويحدد به اختيارا جديدا ••

ويسقط اسم الملك من شعار الحزب ، وتصبح أهداف البرنامج أكثر تحديدا وأكثر شعبية •• « تبتاع الدولة أطيان جميع الملاك الذين تزيد ملكيتهم عن خمسين فدانا ، أو الذين تقل ملكيتهم عن هذا القدر ولا يعملون فيها وذلك مقابل سندات على الخزينة المصرية •• » و « يحل الانتاج الجماعى محل الانتاج الفردى » •

لكن أحمد حسين يحرص على التأكيد بأنه لم يغير شيئا من مواقفه السابقة ، بل لعله يحاول الزعم بأنه كان اشتراكيا طوال حياته « أصبح من الحق أن نسمى الاشياء بمسمياتها وأن تصف مصر الفتاة بوصفها الصحيح وهو الاشتراكية » (١٠) •

وأحمد حسين رجل الحلول القصوى •• هكذا عودنا دائما • فما ان اقترب من كلمة الاشتراكية حتى انطلقت مدفعيته كعادته تنادى بالشعار الجديد ، وتصعد من حماسها له ••

ولقد طالعنا فى صفحات سابقة نماذج من المقالات المتقدة حماسا والتى تعبر بذاتها عن انطلاق أحمد حسين فى الطريق الجديد •• شىء واحد ظل أحمد حسين يغازله •• ويتردد ازاءه الملك •

---

(٩) المرجع السابق ص ٢٢٩ •

(١٠) أحمد حسين ـ الارض الطيبة ـ المرجع السابق ص ١٧٢ •

وبرغم حماسه الشديد في الهجوم على حاشية الملك « حيدر ، كريم ثابت ، بوللي » النقيب وأمثالهم .. يجب تطهير أداة الحكم من هذه العصابة .. لقد تحولت هذه العصابة الى كل شيء في حكم هذه البلاد ، لا يمكن لرأس كريمة ان ترتفع الى جوارها ، لايمكن لصوت صادق أن يصل الى حيث يجب ان يصل ، لا يمكن لشخصية مستقيمة ان تنفذ من الستار الحديدي الذي انشأته هذه العصابة للحكم البلاد » .. (١١) .

وبعد ان تنشر جريدة الحزب صورة لمجموعة من الفقراء في اسمال بالية تحت عنوان « رعاياك يامولاي » ..

بعد هذا كله وبدون أي مبرر مقبول — سوى الحرص على عدم اغضاب الملك وعلى كسب وده — يفاجيء احمد حسين الجميع — وفي قمة المد الثوري العارم المعادي للقصر وللنظام الملكي كله — بمقال بعنوان المشكلة الدستورية وفي صدر الصفحة صورة الملك وتحتها عبارة « ولاؤنا للجالس على العرش في حدود الدستور » (١٢) .

★ ★ ★

.. والحقيقة ان ثمة نقطة التقاء هامة قد ظلت قائمة دوما بين احمد حسين والملك هي كراهية .. الوفد

كان الملك ينتفض غضبا من عودة النحاس الى الحكم في عام ١٩٥٠ ..
ويعترف كريم ثابت باشا امام محكمة الثورة بأن الملك « قبل النحاس على مضض ، لانه مكانش عايزه ، ولكن النحاس معاه الاغلبية ومش ممكن مايجيش » (١٣) .

ويشهد حسين سري باشا أمام نفس المحكمة قائلا « الملك كان يعتقد ان مجيء الوفد الى الحكم حيبقى صعب عليه .. ، فطلب مني ان اكون رئيس ديوان ، وقال لي : انت السبب لانك في الانتخابات اللي عملتها لما كنت رئيس حكومة رجعت الاغلبية الوفدية ودول حاييجوا يماكسوني » (١٤) .

---

(١١) احمد حسين — قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة ومقدمات ثورة يوليو — مقالات — تقارير اتهام — احكام — القاهرة (١٩٥٧) ص ٥٠ — نقلا عن — الاشتراكية ١٩٥٠/٩/٢٩ .
(١٢) الشعب الجديد ١٩٥١/٧/٨ .
(١٣) محاكمات الثورة — الكتاب الرابع — اعداد كمال كيرة — محاكمة كريم ثابت — ص ٦٩٧ .
(١٤) المرجع السابق . ص ٦٥٤ .

وتنشر مجلة « تايم » الامريكية مقالا بعنوان « مصر » ، جاء فيه « لـم يحب الملك فاروق اطلاقا رئيس وزرائه النحاس باشا ، وقد اقاله الملك مرتين من رئاسة الوزارة ·· ويحتمل ان يقيل فاروق النحاس باشامرة ثالثة » (١٥)

وفي نفس الوقت كان احمد حســـين يكيل الاتهامات لحكومة الوفد ، ويهاجمها باكثر واشد مما كانت تحتمل ظروف المعركة الوطنية ··

« ان رجلا كمصطفى النحاس اشتهر في يوم ما بالنزاهة والتعفف لـم يصل الى ما وصل اليه من التدهور ، الا نتيجة سكوت الشعب وعدم اظهاره الاستنكار لمصطفى النحاس » (١٦) ·

ولعلها كانت المرة الاولى في تاريخ الصحافة المصرية التى استخدمت فيها عبارات وصلت الى ما قد يعتبر مغـــالاة في التعامل مع الخصـــوم السياسيين ··

وهكذا كانت صحف مصر الفتاة تخرج الى قرائها حاملة عنــاوين من نوع ···

— استح يا سراج الدين ·· ومادمت لا تستح ياسراج الدين فقـــل ما شئت ··

— حامد زكى الوزير المستهتر ·· اهى حكومة ام سيرك بهلوانات ؟

— انى اتهم دلدول سراج الدين ··

— اخطر وزارة فنيه في مصر ·· حمق ·· وخرق ·· واستهتار ··

— عثمان محرم الوزير الاخرق ·

— وزراء ام لصوص ·

— ان تحكمنا أسرة سراج الدين ··

— فليسقط نظام سراج الدين الاجتماعى · (١٧)

---

(١٥) د· محمد انيس — حريق القاهرة — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت (١٩٧٢) ص ٢٢ — نقلا عن تايم — ١٩٥٢/١/٧ ·

(١٦) مصر الفتاة — ١٩٥١/١/٢٦ ·

(١٧) عبد العزيز الدسوقى — المرجع السابق ص ١٤٩ ·

ويمضى احمد حسين فى تصعيد حملته العنيفة — وغير المبررة — ضد حكومة الوفد ·· وبينما كانت هذه الحكومة تخوض بشكل قل او كثر — معركة ضد الاحتلال وضد تآمر السراى ·

يقول احمد حسين « ان الحكومة قد بدأت تحت تأثير العناصر الرجعية ، وتحت تأثير مصالح الطبقة والطائفة التى تتألف منها تدير اسلحتها وقواها، صوب الشعب نفسه · وأن وزير الداخلية « سراج الدين » اليوم لم يعد مشغولا بالحرب ضد الانجليز قدر ما اصبحت تشغله الحرب ضد قوى الشعب الزاحفة ، وضد الاشتراكية والاشتراكيين بصفة عامة » ·

ويمضى أحمد حسين محذرا : « اننا لن نحارب فى جبهتين ابدا ، ولن نحارب الانجليز ونحن مشغولوا الخواطر بما ستفعله الحكومة بالشعب وحريات الشعب وأبناء الشعب ·· ولا تلومن الحكومة الا نفسها عندما تجد جموع الشعب تحولت للضغط عليها ونيران الشعب وقد امتدت السنتها لتحرقها ·· لا تلومن الحكومة الا نفسها عندما يتلخص جهادنا ضد الانجليز فى ازاحتها عن الطريق » · (١٨)

ويصعد احمد حسين من هجومه ·· ويوجه حديثه الى فؤاد سراج الدين قائلا « من يحاربنا فقد حارب الشعب ·· واننا لن نحجم عم حربه حربا شعواء لا تعرف هواده ولا لينا حتى نتخلص منه ·· » ويستمر التهديد « ما نفع سراج الدين بوليسه ولا نفعته محاكمه ، وهو يعرف ما الذى قلناه فيه وماذا نستطيع ان نقول ، بل هو يعرف ما الذى نستطيع ان نفعل » (١٩) ·

ولقد يدهش المرء من حدة هذا الهجوم واستمراريته خاصة اذا تأمل صورة الوضع السياسى فى مصر فى ذلك الحين ·· واذا ما اكتشف ان ثمة حقيقة بسيطة للغاية وهى : ان قوى ثلاثة كانت تحارب الوفد بكل الحماس والعنف والكراهية الانجليز — القصر الملكى وأحمد حسين ··

الم يكن ذلك غريبا ؟

نعم كان غريبا ، بل واكثر من غريب ، وأحمد حسين اعترف بذلك فيما بعد ..

(١٨) مصر الفتاة — ٢ /١٢/١٩٥١ ·
(١٩) مصر الفتاة — ١٢/٢٥/١٩٥١ ·

« كان ذلك موقفنا من الوفد .. ومن سراج الدين بالذات ، لكن تبينا فيما بعد « أى بعد فوات الاوان » ان الوفد كان يخوض معارك كثيرة مع الملك ولم تكن نعلم بها .. واتضح ان الكثير مما هاجمنا بسببه فؤاد سراج الدين لم يكن صحيحا ولذلك قد اعتذرت له علنا فى احد مجلات بيروت » (٢٠) .

★ ★ ★

الآن .... تظهر مصر كل مالديها من بطولة :

مصر تشمر ساعديها وتدخل المعركة .

معاهدة ١٩٣٦ الغيت . انطلقت جموع الشعب بملايين لا يمكن تعدادها ضد الاحتلال وبدأت معركة الكفاح المسلح . أول كفاح شعبى مسلح ومنظم ضد الاحتلال منذ المحاولات البدائية والتى اتخـــذت الطـــابع الفردى فى ثورة ١٩١٩ .

ومنذ البداية نسجل أن الاندفاعة الثورية كانت اكبر وأعمق وأوسع مما قدر الجميع ...

— الحكومة الوفدية لم تتوقع ان الغاء المعاهدة سيترتب عليه كل هذا الانفجار ...

— اليساريون الذين رفعوا شعار الكفاح المسلح منذ ١٩٤٥ ربما لم يتصوروا انه سيأتى بمثل هذه السرعة وربما لم يتصوروا انه سيرتب عليهم واجبات « عسكرية » لم يستعدوا لها ..

— الاخوان المسلمون لديهم رجالهم المدربون ولكن ليس لديهم الحماس الكافى ...

— الحزب الاشتراكى لديه الحماس بأكثر مما لدى الآخرين ولكن ليس لديه رجال .. ولا رؤية للخط الصحيح :

فى البداية اطلق احمد حسين كعادته شعاراته الحماسية والتى تعتبر لدى البعض ابتعادا عن المحور الرئيسى للحديث ..

(٢٠) جمال الشرقاوى — المرجع السابق — شهادة من احمد حسين — ص ٢٣٧ .

- « قاطعوا سينما ريفولى الانجليزية الاستعمارية » (٢١) .
- « شاى بروك بوند انجليزى .. فقاطعوه » (٢٢) .
- قاطعوا البضائع الانجليزية - « الاجل الذى حدده التجار (لوقف التعامل فى البضائع الانجليزية) هو آخر مهلة ينتظرها الحزب الاشتراكى قبل تنظيم زحف سلمى على ميناء الاسكندرية » (٢٣) .
- على أى أساس تظل الكباريهات عامرة بروادها حتى ساعة مبكرة من الصباح ، على أى أساس تظل السينمات تستقبل عشرات ومئات الألوف من رواد اللهو وقطع الوقت كأن ليس هناك حرب فى منطقة القناة » (٢٤) .

ولعل افضل تعليق على موقف أحمد حسين فى هذه الفترة هو تعليق لاحسان عبد القدوس ننقله عن تقرير سرى للبوليس السياسى يسجل فيه حواراً بين إحسان عبد القدوس واعضاء قسم الشباب بالحزب الاشتراكى فى البيت الاخضر ..

« س : ما رأيك فى أحمد حسين ؟

ج : أحمد حسين عاجبنى كويس ، الا أنه لا يؤدى كل الواجب الـذى تطالب البلاد به فى هذه الاونه . البلاد تحتاج الى قيادة الآن أى نحو نضال أقوى واعنف مما نحن فيه ... كان المفروض ان يخرج الاستاذ أحمد حسين باعضاء حزبه جميعا الى الشــوارع والمظــاهرات ليحرك جميع افراد الامة ويحملهم الى متظاهرين » (٢٥) .

وبرغم أخطاء القادة ، عرفت مصر الطريق الصحيح ، وخاضت طبقتها العاملة اروع معاركها بانسحاب جميع العاملين فى القواعد البريطانية بالقنال فأصيبت بالشلل التام .

والتقط وزارة الداخلية المصرية برقية سرية موجهة الى القيادة البريطانية فى شرق البحر الابيض المتوسط ..

---

(٢١) الشعب الجديد - ١٩٥١/١٠/١٨ .
(٢٢) الشعب الجديد - ٣ / ١/ ١٩٥٢ .
(٢٣) مصر الفتاة - ١٩٥١/١٢/١٨ .
(٢٤) مصر الفتاة - ١٩٥١/١١/٢٥ .
(٢٤) حكمدارية بوليس مصر - القسم السياسى رقم ٥٧٧٢ فى ١٩٥١/١٢/٢٧ نقلا عن جمال سليم - البوليس السياسى يحكم مصر - المرجع السابق ص ٣٠٥ .

ـ برقية ؛ BQ الى JCGM

عن حالة العمل في ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ .

المنمى :

نسبة الغائبين ١٠٠٪ عدا كاتب واحد (٢٦) .

لكن الانتقاد للمنهج لا يعنى على الاطلاق ان الحزب الاشتراكى كان غائبا عن الخط الصحيح ... فقد كان من أوائل القوى التى دعت الى تشـكيل كتائب الفدائيين .. وكتب سيد قطب فى جريدة مصر الفتاة - وكان أحد كتابها البارزين فى ذلك الحين - وحين تتألف هذه الكتائب جهرا أو سرا لن يكون هناك خطر حقيقى من وقوف الطابور الخامس فى صفوفها .. لأن الجيش المصرى لن يقف فى طريق الكتائب المصرية لان الضباط والجنود الشرفاء يومئذ لن يقتلوا اخوانهم واولادهم فى سبيل الانجليز . ان البوليس المصرى لن يقف فى وجه الكتائب الزاحفة ذلك ان الضباط والعساكر الشرفاء يومئذ لن يقتلوا ابناءهم واخوانهم فى سبيل الانجليز » (٢٧) .

برغم ذلك فان احمد حسين نفسه يؤكد انه كان يرفض الكفاح المسلح وأنه قبله على مضض بل واعتبره نكبة وكارثة ..

يتحدث أحمد حسين فى اقواله امام النيابة « كنت فى مديرية الشرقية أشرف على حركة المقاومة ضد الانجليز ، فاقمت بمدينة الزقازيق ، فاتيحت لى فرصة ان اشهد عن كثب حالة المقاومة فسرعان ما تبين لى انها مقاومة عقيمة واضرارها اكثر من مزاياها ، وانها ستؤدى بالبلد الى نكبة وكارثة ، ذلك اننى رأيت شباب الجامعة لا يملكون سلاحا الا التافه الحقير ، وبهـذه الأسلحة الفاسدة فى كثير من الاحيان يحاربون الانجليز ، فتكون النتيجة ان يموت منهم عدد كبير ثم يرد الانجليز على اعمالهم المحدودة باعمال واسعة النطاق .

انه يعتبر الكفاح المسلح نكبة وكارثة بل وتهمة يجب ان يعلقها فى عنق خصمه العنيد فيقول امام النيابة « ولاحظت ان وزير الداخلية السابق بالذات « فؤاد سراج الدين » هو الذى يذكى هذه المقاومة العقيمة » (٢٨) .

---

(٢٦) د. محمد انيس - حريق القاهرة - المرجع السابق ص ١٢٢ .
(٢٧) مصر الفتاة - ١٩٥١/٧/٢٢ - مقال السيد قطب بعنوان (صيحة التحرير) .
(٢٨) ملف تحقيق النيابة فى قضية حريق القاهرة اقوال احمد حسين - جزء أول ملف ١ ص ١٥ .

واذا كان ضد الكفاح المسلح فماذا كان يريد اذن ؟

يقول احمد حسين فى جلسة تحقيق اخرى « وكنت دائم الضغط فى مقابلاتى مع الوزراء وفى خطبى الى ضرورة قطع العلاقات التجارية مع الانجليز باعتبار ان هذا السلاح الوحيد (!) الذى نستطيع ان نؤثر به على الانجليز ، فان الامة الضعيفة لا قبل لها بمكافحة الامة القوية عن طريق السلاح لان هزيمتها فى هذه الحالة مؤكدة . وان ما تستطيعه الحكومة الصغيرة هو ان تحارب اقتصاديا وسلبيا ولم اكن مؤمنا بامكان هزيمة الانجليز عسكريا وانما اقتصاديا .. ولكن الحكومة دفعت البلاد فى طريق المقاومة (!) بدون ان تعطى هذه المقاومة حقهـا وبدون أن تفعل الاهم وهو المقاطعـة الاقتصادية . فكان الامر شاذا » .

لكن لماذا قبل احمد حسين الكفاح المسلح ، وشارك فيه . وهو غير مقتنع بجدواه ؟.

انه يجيب على هذا السؤال قائلا « لكننى كنت مضطرا ان اجارى الاتجاه العام ولذلك انشأ الحزب بالاتفاق مع الحكومة معسكرا لتدريب المتطوعين فى العباسية » .

تدريبهم على ماذا ولماذا ؟

« وكنت اسمع فى كل مكان ضجة من جانب الجموع صيحة السلاح بالسلاح والرغبة فى السفر الى القتال ولذلك فقد عملت على اعادة الامور الى نصابها بانشاء هذا المعسكر وافهمت المتطوعين ان خدمة الوطن فى هذه اللحظة ليست بالذهاب الى الانجليز ولكن بأن ننظم انفسنا فننشىء حرسا خاصا تكون مهمته المحافظة على النظام (!) » (٢٩) .

لكن احمد حسين كان يقول للجماهير رأيا آخر .. وكان يعاير ـ امامهم ـ ان الذهاب ـ مجرد الذهاب الى الشرقية ـ رمز للبطولة والشجاعة ..

ولنتابع بعضا مما كان يقوله احمد حسين لاعضاء حزبه فى هذه الفترة ، فقد عاد من الزقازيق يوم ١٩٥٢/١/٩ بمناسبة نظر القضايا المتهم فيها امام

---

(٢٩) المصدر السابق ـ جزء ٢ ملف ١ ـ ص ١٩٩

محكمة الجنايات • وقد القى فى مساء اليوم بدار الحزب خطابا قال فيه « ايها السادة : انه يزعجنى كل الازعاج ان أرى القاهرة ساهرة حتى الصباح لان ما يعود على المعركة بالخير ليس ان تسهر القاهرة فى الكباريهات والسينمات والمجتمعات الرفيعة وتطالع انباء القتال كما تطالع انباء الحرب فى كوريا •• هذه هى الصورة التى تبرأت منها وابتعدت عنها ونقلت مقر اقامتى الى مديرية الشرقية فهناك يستطيع الانسان ان يحمل بندقية ويجاهد ويحتمل مع زملائه •• يجب ان تعلموا اننى لم اذهب الى الشرقية الا بعد ان حيل بينى وبين الذهاب الى القناة والاقامة بها ، فما وجودى بعيدا عن هذه المنطقة الا رغم انفى •• وقد ذهبت الى التل الكبير لاحذر اهلها الا يكونوا كأهل القاهرة وذهبت لاكون قريبا من الخطر » (٣٠) •

أى القولين نصدق •• ؟ تلك قضيتنا دوما مع أحمد حسين • يقول الكلمة ونقيضها فى نفس الوقت فلا نعرف ماذا كان موقفه الفعلى ••

المهم ان احمد حسين قد سافر ليقود الكفاح المسلح •• وكالعادة ارتفع صياح كثير حول دور « الزعيم » وكتائبه فى محاربة الانجليز •• فما هى الحقيقة ؟ وكم رجلا سافر احمد حسين ليقودهم فى هذه المعركة ؟

وجه رئيس النيابة المحقق فى قضية حريق القاهرة هذا السؤال لاكثر من شخص •• وكانت اجاباتهم كالتالى ••

— اللواء صادق الملا مدير الشرقية : « كنت اسمع من الاشتراكية ان عددهم خمسة وعشرين ويتغيرون من آن لآخر بغيرهم •• بمعنى انه لم يكن الاشخاص بذاتهم دائمين ، ولكن العدد هو الذى كان ثابتا وكان حوالى خمسة عشر أو عشرين شخصا » • (٣١)

— عبد اللطيف اباظه وكيل لجنة الكفاح : « كان عددهم حوالى عشرين » • (٣٢)

— اللواء عبد الغنى مرسى المشرف على التدريب بالشرقية « كان للاخوان

(٣٠) حكمدار بوليس مصر — القسم السياسى — ١٩٥٢/١/٩ نقلا عن جمال سليم — البوليس السياسى يحكم مصر — المرجع السابق ص ٣١٠ •

(٣١) ملف تحقيق النيابة فى قضية حريق القاهرة — المرجع السابق — ج ٥ ملف ١ — ص ٤٠٥ •

(٣٢) المرجع السابق — ج ٥ — ملف ١ — ص ٤٠٩ •

حوالى خمسين متطوع على ما اعلم ، واما الاشـــــتراكيين فقد ذهبت الى معسكرهم مرة وكان هذا المعسكر يأحد «المنازل فكان به حوالى ١٥ شخص ، وانما كان يصرف مصروفات لما يوازى عشرين شخصا ·· وانما شفت عندهم مدفع قديم وبنادق القدرها بسبعة او ثمانية » (٣٣) ·

— والدكتور محمود زيتون — رجل الحزب الاشتراكى بالشرقية — يقرر هو ايضا « كانوا حوالى عشرين ·· ساعات يبقوا ١٥ وساعات يبقوا اكثر من عشرين » · (٣٤) ·

وهكذا وبهؤلاء العشرين « مجاهدا » حاول احمد حسين ان يحـــارب الانجليز او بالدقة ان يتصدر موجة الحماس الدافق التى تطالب بالكفاح المسلح ··

ولم يبق احمد حسين طويلا ·· فكما انطلق فى حماس الى فلسطين عام ١٩٤٨ ليعود متبرما وساخطا ، فعل نفس الشىء فى القناة ·· فبعد اكبر قدر ممكن من الضوضاء ، ترك احمد حسين هو ورجاله منطقة القتال ··

يقول احمد حسين « فى الشرقية اكتشفت ما سبق ان وصفته وهو عدم تناسق المعركة فادركت على الفور اننا نسير فى طريق خطر فلم اشأ ان احتمل مسئولية هذا الذى يقع ، فكانت فكرة الانسحاب لأخلى نفسى من المسئولية ، ولأتفادى وقوع الكوارث التى احسست انها وشيكة ان تحيط بنا بالذات اى الحزب الاشتراكى » ·

« وجدت اننا سنقع بين شقى الرحى كما حدث بالفعل ، ان الانجليز تحاربنا والحكومة تحاربنا وشعرت ان لاقبل لى بهذه الحرب ، وذلك بالاضافة الى اننى بطبيعتى اكره اعمـال العنف ، ولا احتمـل رؤية الموتى او الجرحى ، ولا اعرف كيف يستطيع انسان ان يقتل او يامل بقتل آخر ولذلك فقد اجتمعت العوامل والعناصر على فوجدت ان لا مخرج لى من ذلك كله الا بتكرار ما فعلته من قبل سنة ١٩٤٩ فى أخريات عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى باشـــا حيث اعلنت اعتكافى فى الريف حتى تنجاب الغمة فرأيت ان اكرر هذا الذى فعلته ··

---

(٣٣) المرجع السابق — ج ٥ ملف · — ص ٤٠٠ ·

(٣٤) المرجع السابق — ج ٥ — ملف ١ ص ٤٤٨ ·

(٣٥) المجع السابق — ج ٥ — ملف ١ — ص ٤٤٨ ·

وكنت منتويا ان انفذ هذا القرار بغير الرجوع الى حد لانه كان قرار ينبع من احساسى وتقديرى للامور التى قد لا يشاطرنى فيها الآخرون فهم لا يتعرضون للمسئولية التى اتعرض لها ولا يخاطرون المخاطرة التى تلقيها على الظروف ولطالما طلبت ان اتنحى عن رياسة الحزب وان أودع الاشتغال بالسياسة . وقد كنت هذه المرة منتويا تنفيذ رأيى الذى اصبو اليه منذ أمد بعيد » (٣٦) .

وليس فى الامر اية غرابة ..

هى عادته .. ينفعل بالحماس الدافق مع صعود الموجة ، فاذا ما تعثرت الخطى لم يبق ليتحمل ثمرات افعال شارك فى صنعها .. وانما يتنحى غاضبا معلنا الاعتكاف ..

هكذا فعلها اكثر من مرة ..

* * *

لكنه فى هذه المرة يعتبر الانسحاب اداة ضغط وتهديد ، ويلوح بانه آخر سهامة وبعدها سيكون غير مسئول عما يحدث ..

وليس صحيحا ما قرره احمد حسين امام النيابة من انه انسحب دون أن يخبر احدا من انصاره أو انه اعتكف ابراء لذمته .. بل كان الانسحاب قرارا من الحزب .. ومعلنا فى بيان صاخب مليء بالتهديد والوعيد للحكومة ..

« يعلن الحزب الاشتراكى (٢٤ يناير ١٩٥٢) أن سياسة الحكومة والتى يسأل عنها فى الدرجة الاولى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية توشك أن تعرض الشعب لنكبة مروعة ، وكارثة محققة اذ تشيع الفتنة وتطلق الفوضى وتهدر دم الشهداء من طليعة الشعب المجاهد ... ولذلك فان الحزب الاشتراكى الذى حال حتى الآن دون سقوط الحكومة (!) والذى حماها من خصومها وأعدائها وبذل كل ما فى جهده لاقناع الشعب بالابقاء عليها (!) على الرغم من كل مساوئها ومثالبها تفاديا من قيام حكومة انقلابية اخرى تكون اشد خطرا منها ، يعلن على رؤوس الاشهاد ان الحكومة الحاضرة تحت قيادة رئيسها الفعلى فؤاد سراج الدين قد وصلت الى الحد الذى لم يعد هناك خطر يمكن أن يحل بالشعب اكثر مما تنزله هذه الوزارة بالفعل ..

(٣٦) المرجع السابق — ج ٣ — ملف ١ — ص ٢٠٣ .

ولذلك فهو يدعو الشـعب بالفعل للعمل على اسـقاط هذه الحكومة بما وضعه الدستور تحت يده من وسائل وامكانيات قانونية مشروعة لاسـقاط الحكومات » ٠

ويمضى البيان قائلا « ولما كان امتنـاع الوزارة عن التنحى عن الحكم برغم ارادة الشعب فى هذا الوقت العصيب سـيعرض البلد لهزات ونكبات ، وقد يسـلمها للفوضى ٠ ولما كان رئيس الحزب الزميل احمد حسين الذى قام بواجبه نحو هذا الشـعب وقضاياه على الوجه الاكمل حتى الآن ، واشرف على حركة المقاومة بنفسه منذ اليوم الاول وحتى هذه الساعة ليس ممن يؤمنون بالعنف أو يرحبون بالفتنة فقد قرر أن ينسحب مؤقتا فى احدى قرى الريف النائية اظهارا لسخطه واستنكاره على سـياسة الحكومة من ناحية وتحميلا لها وحدها مسئولية ما سوف يقع اذا هى أصرت على رفض الاستجابة الى الشـعب بالتنحى عن الحكم » (٣٧) ٠

وكان هذا البيان واحدا من الادلة التى ساقها خصوم احمد حسين عندما اتهموه باشتراكه فى المسئولية عن حريق القاهرة (يناير ١٩٥٢) ٠

وكان انسحابه من الزقازيق هو ورجاله العشرون دليلا آخر ٠

تقول النيابة العامة فى مرافعتها أن احمد حسين « استغل حركة الكتائب فأعد فى الخفاء حرسا خاصا وسحب من القنال — بحجة غير متصورة — رجاله فجأة قبيل يوم ٢٦ ينـاير ليكونوا عدة له فيمـا قرر ودبر ٠ واطلقهم فعلا فى ذلك اليوم » (٣٨) ٠

وتقول « فما جاء يوم ٢٣ يناير الا ولم يكن له فدائى واحـد فى القنـال بالشرقية على حين ظل الفدائيون الآخرون التابعـون لخمس جهـات أخـرى يؤدون عملهم » (٣٩) ٠

واحترقت القـاهرة ٠٠٠

ولسـنا هنا فى مجال الحديث عن هذه الواقعة الهامة فى تاريخ مصر

---

(٣٧) بيان الحزب الاشتراكى الصادر فى ١٩٥٢/١/٢٤ نقلا عن جمال الشرقاوى — المرجع السابق ص ٩٣٦ ٠

(٣٨) مرافعة النيابة العامة فى قضية حريق القاهرة — المرجع السابق ص ١١ ٠

(٣٩) المرجع السابق ص ٤٢ ٠

الحديث فلها مراجعها الخاصــة (٤٠) ، ولسنا هنا ايضـــا فى مجال تحديد المســئولية عن هذه الواقعة ، ولا حتى فى مجال تحديد علاقة أحمد حسين بها ٠٠ فذلك امر يحتاج الى دراسة مستقلة ٠ سنحاول فقط ان نلتقط من احداثها ما يفيدنا فى تحديد موقعنا من احمد حسين ، وما يزيد رؤيتنا له وضوحا ٠٠

ـ فى صباح ٢٦ يناير نشر أحمد حسين فى صحيفتين صباحيتين انه مريض وملازم الفراش ٠٠ وعندما سأله المحقق ـ فيما بعد ـ هل اعتاد ان يفعل ذلك ، قال انه لم يعتد ذلك ٠

ـ فى صباح ٢٦ يناير اتصــل بمصطفى امين وطلب منه ان يتصــل بالقصر لاقالة الوزارة وتأليف حكومة قومية برئاسة على ماهر يؤيدها الحزب الاشتراكى ٠٠ وفى الساعة الثانية اتصل تليفونيا بعلى ماهر واقترح عليه ان يؤلف وزارة قومية (٤١) (قرر على ماهر فى التحقيق انه اتصل تليفونيا باحمد حسين فى منزله ليتأكد اذا ما كان موجودا بالمنزل فعلا فوجده بالمنزل)٠

ـ أكد احمــد حســين اكثر من مرة انه كان يعتبر على ماهر « الرجل الوحيد القادر على انقاذ الموقف بعد حريق القاهرة واقالة حكومة الوفد » (٤٢)

ـ ضبطت بين أوراق الحزب الاشتراكى أوراق مكتوبة بالقلم الرصاص ، علقت عليها النيابة العامة قائلة انها « يدل سياقها على انها تدوين من شخص له صلة بالحزب لخطبة او حديث صدر عن المتهم الاول (أحمد حسين) وقد جاء فى هذه الخطبة « سنكف عن كتابتنا وخطبنا لأن غيرنا ســيتكلم ، وقوى ستعمل ، وصوت الرصاص سيتكلم ٠٠ وبدلا من محاربة الحكومة بالصحف ستوجه الجمعيات التى ســتحاربها بالرصــاص ٠٠ سنسكت ليتكلم غيرنا بالرصاص والقنابل » ٠

وبعد أن نفى أحمد حسين أن هذه الألفاظ ألفاظه (٤٣) عاد فقرر « أن هذه الاقوال سليمة كل السلامة ، وهى تتضمن بالفعل نصحا وارشادا للحكومة لو انها اســتمعت اليه ووعته لتفــادت النكبــة التى حدثت يوم ٢٦ ينــاير بالذات » (٤٤) ٠

---

(٤٠) جمال الشرقاوى ـ حريق القاهرة و د٠ محمد انيس ـ حريق القاهرة ـ المرجعين السابقين ٠

(٤١) مرافعة النيابة فى قضية حريق القاهرة ـ المرجع السابق ٠ ص ٨٠

(٤٢) تعاون الطلبة ١٩٧٦/٥/٣٠ مذكرات أحمد حسين ٠

(٤٣) ملف تحقيق قضية حريق القاهرة ـ ج ٤ ـ ملف ١ ـ ص ١٥٧ ٠

(٤٤) المرجع السابق ـ ج ٤ ـ ملف ١ ـ ص ٣٣٦

— وأكدت مصادر عدة أن أحمد حسين شـوهد وهو يركب سـيارة ستروين ، وانه كان يطوف بالمتظاهرين ليحرضهم على الحريق .

وتتراكم أدلة كثيرة ، لكن خصوم أحمد حسين لم يكونوا بحاجة الى أدلة ، بل كانوا يريدونه هو .. وصدر أمر عسكرى باعتقال أحمد حسين يوم ٢٦ يناير .. وهرب أحمد حسين ، لكنه عاد وسلم نفسه يوم ٢ فبراير .. وبدأت ماكينة التحقيق تدور محاولة أن تضع على كاهله وحده مسـئولية حريق القاهرة .. وبدأ معه تحقيق طويل استغرق بالنسـبة له وحده ٤٠٠ صفحة .. ثم صدر قرار الاتهام يوم ١٣ مايو وبعدها بخمسـة أيام أحيل أحمد حسين الى محكمة عسكرية برئاسة مسـتشار تم اختياره بعناية هو المستشار حسين طنطاوى . وكان حسين طنطاوى يوشك أن يحال على المعاش وطلب اليه أن ينهى القضية ويصـدر فيها حكما بأقصى سرعة وقبل أن يحال على المعاش — وتسلم حسين طنطاوى قرار الاحالة وسجل عليه تأشيرة يقال أنه لا مثيل لها فى تاريخ القضـاء « يعلن قرار الاتهام للمتهمين اليوم .. وينتدب الاسـاتذة .. للدفاع عن المتهمين ويخطر حضراتهم بهذا الانتداب اليوم ، وينسخ دوسيه القضية اليوم » (٤٥) .

وخاض أحمد حسين معركة قاسية ومريرة ليفلت من حكم معد سلفا وقيل انه كان حكما بالغ القسوة .. وأفلت أحمد حسين بعد نجاح ثورة يوليو . ويبقى معلقا للتاريخ سؤال حاسم .. من الذى أحرق القاهرة ؟

— يؤكد جمال الشرقاوى فى دراسـته عن حريق القاهـرة .. أن الذى أشعل الحريق ودبر له هو المخابرات البريطانية .

— يقول أنور عبـد الملك « أن الذين أحرقوا القـاهرة هم الذين أمدهم هذا الحريق بحجة لتحطيم الكفاح الوطنى نهائيا هذه المرة ، وهى على أهبة الوصول الى ثورة شعبية حقيقية يدعمها الفلاحون .. وأسماء هـذه القوى هى : الاستعمار ، كبار ملاك الارض الملتفين حول الملك والبرجوازية الصناعية الكبيرة ، وقد سارعت هذه القوى منذ وقت طويل — وسلحت المنظمات الدينية والفاشـية التى تزرع الارهاب للنيل من سـمعة الحركة الوطنية وتحويل تيـارها » (٤٦) .

---

(٤٥) أحمد حسين — قضية التحريض على حريق القاهرة — المرجع السابق — ص ٢٥ .

(٤٦) أنور عبد الملك — المرجع السابق ص ٥٠

– ومثل أنور عبد الملك نجد أن الدكتور محمد أنيس يفرق بين المستفيد والاداه ، بين المخطط والشريك بحسن نية فيقول « ومن الثابت فى القضية أن أعضاء الحزب الاشتراكى كانوا يقودون الناس فى الشوارع وأن الكثير قد قبض عليه للتحقيق ولكنى أريد أن ابعد عن ذلك الحزب وزعيمه شبهة أنه المخطط والمنفذ وحده (!) لحريق القاهرة ، وفى تقديرى أن هؤلاء الذين كانوا ينتمون للحزب واشتركوا فى الحريق لم يدركوا الابعاد الحقيقية للمؤامرة ، لقد كانت عناصر تم استغلالها بدرجة أو بأخرى فى الموقف ·· وتظل المخابرات البريطانية هى صاحبة المسئولية الحقيقية والعقل المفكر لسلسلة الاحداث التى توجت بحريق القاهرة · وما عدا ذلك من أطراف فهى عوامل مساعدة بما فى ذلك القلم السياسى فى وزارة الداخلية المصرية » (٤٧) ·

– ويقول د · محمد أنيس أيضا « أن تصاعد عمليات الفدائيين المصريين فى منطقة القنال خلال شهر يناير يشير بوضوح الى اتجاه أصابع الاتهام نحو بريطانيا فى حريق القاهرة ، لأننا يجب الا ننسى أن السبب الرئيسى فى الحيق هو وضع حد لحركة الفدائيين المصريين فى القنال ضد قوات الاحتلال البريطانى » (٤٨) ·

– ومرة ثالثة نلجأ الى تقييم للدكتور محمد أنيس يقول فيه « فتحدد وجهة نظرنا على ضوء عدة حقائق لا تحتمل لبسا أو تأويلا وهى :

١ – انه قبيل حريق القاهرة كان رئيس الحزب الاشتراكى وغيره من رجالات حزبه يشنون حملة ضارية فى صحافة الحزب على الوفد والقصر والمصالح الاجنبية على السواء وأن ضراوة هذه الحملة زادت استعارا عشية الحادث أو قبل وقوعه بقليل ·

٢ – أن تلك المقالات المتاججة كانت تشحذ الجماهير وتحرضهم على احراق وازالة أماكن بعينها ، وليس من قبيل الاتفاق أو محض الصدف أن تكون تلك الاماكن هى التى أحرقت يوم ٢٦ يناير ·

٣ – انه فى ذلك اليوم شوهد رئيس الحزب يتنقل فى شوارع القاهرة فى عربة سرورين وقد رفع عليها العلم المصرى وما أن لمحته الجماهير التى اشتركت فى الحريق حتى كانت تناديه بهتافات مدوية « الزعيم ·· الزعيم» ·

---

(٤٧) د · محمد انيس – حريق القاهرة – المرجع السابق – ص ٥٤ ·
(٤٨) المرجع السابق – ص ١١

٤ — ومن الثابت أيضــــا أن كثيرا من قيادات حزب مصر الاشتراكى كانت تجوس فى شوارع القاهرة بشكل مريب فى يوم الحريق ·

هذه وتلك من الشواهد لاتدع مجالا للشك فى أن رئيس حزب مصر الفتاة كان هو وحزبه ضالعين فى جريمة ما حدث فى ذلك اليوم المشئوم · لكن ترى هل كان يدور بخلد رئيس الحزب أن يستولى على السلطة بعد الحريق كما استولى الحزب النازى عليها بعد حريق الرايشستاغ ؟ وهل هذا نوع نمطى فى استراتيجية الاحزاب الفاشية فى الوصول الى الحكم ·

أغلب الظن أنه لابد أن يكون قد تأثر بهــذه الافكار لكنــه حقيقة لم يكن مدركا لخطورتها ولم يكن قادرا على تنفيذها بتدبير واحكام · لقد كان كغيره من زعماء الفاشــية زعيما ديماجوجيــا موهوبا لــكن موهبتــه انصرفت الى أســـاليب التهييج والاثارة ولم تتجاوزها قط ·· أن ما حدث لم يزد عن كونه بثا للفوضى والابتزاز والنهب والتخريب واعطاء الفرصة للقوى المتسلطة على تشــديد سلطتها والائتلاف على ضرب الحركة الوطنية ·· ولو كان رئيس الحزب زعيما ثوريا حقيقيا لتخلى عن تلك الســياسة الجوفاء وانصرف الى تنظيم قوى الشعب العاملة ·· وينطلق بها فى طريق النضال ·· ان خيطا واهيا جدا يفصل بين الانتهازية الثورية وبين الثورية الحقيقية ·· ولم يكن رئيس الحزب الا ممتطيا لموجة الثورية وحاملا لواء الفاشية فى مصر وعبثا على حركة الجماهير وتطلعاتها ·· لقد كان ضالعا فى انتكاسه حركة الجماهير يسحبها الى مكامن الخطر وهو ما تمثل فى حريق القاهرة وما ترتب عليه من وأد للحركة الوطنية وافساح المجال للقوى القديمة المتهالكة لتعيش أياما لم تكن محسوبة من عمرها » (٤٩) ·

ويعد هذا الهجوم العنيف لعله من حق أحمد حسين علينا أن نورد تقييمه لاحداث حريق القاهرة ··

ولقد يبدو غريبا ذلك التقييم الذى يقدمه أحمــد حسـين ورجاله لاحداث حريق القــاهرة ··

— عبد العزيز الدســوقى أحد تلاميذ أحمد حسين المخلصين والمؤلف

(٤٩) المرجع السابق ص ٣٩ ·

لكتاب كامل فى مديحه يصف أحداث حريق القاهرة بثورة القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ (٥٠) .

ـ وأحمد حسين يتحدث عن أحداث هذا اليوم قائلا « عندما يتظاهر الجنود ويتخلون عن أماكنهم فهذه هى الثورة »(٥١) .

ـ ويحرص أحمد حسين على أن يقدم « سيناريو » دقيق وتفصيلى لبداية اشتعال الحريق . ويحرص على أن يضفى على عملية الاحراق صفة الشعبية والعفوية والانفعال الوطنى ...

ولنقرأ معا « سيناريو » أحداث الاسماعيلية وعدوان الانجليز على قوات البوليس القليلة التسليح ومدى الاثارة والانفعال الذى هيمن على الجموع .. ثم يصف المظاهرات الصاخبة الغاضبة ويقول « ووقعت عينان من بين الألوف من الأعين على منظر آذى نفسها .. أحد كبار الضباط يكرع الخمر بملابسه الرسمية فى شرفة كازينو اوبرا على قارعة الطريق ..

وصاح صاحب العينين موجها الحديث الى هذا الضابط الكبير .

ـ او لم يكفكم الجبن والتقاعس عن الجهاد فجئت تحتسى الخمر على رؤوس الاشهاد .

ورد الضابط الكبير فى حنق وغضب .

ـ اخرس يا كلب يا قليل الحيا وانا حر افعل ما اشاء .

ويندفع الكلب قليل الحياء نحو هذا الضابط الذى يخصر صدره وكتفاه بالشارات العسكرية ولم تعرف الجموع ماذا حدث الا أن موائد كازينو اوبرا كانت تتطاير محطمة فى الفضاء . وان هى الا لحظات حتى كنت السنة النيران ترتفع فى جدران الكازينو الخشبية والورقية والزجاجية ، يزيد فى تأججها واشتعالها زجاجات الكحول والزخارف الورقية والخشبية واستار المسرح . وجن جنون الجماهير المحتشدة من الفرح (!) والسنة اللهب الحمراء ترتفع وتلتهم كل شىء فى ضراوة ، والدخان الاسود ينعقد فى

---

(٥٠) عبد العزيز الدسوقى ـ المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٥١) أحمد حسين ـ فى ظلال المشنقة ـ المرجع السابق ص ١٠ .

ســـماء الميدان . لقد خرجت النيران من صدورهم لتحرق ما كان يؤذيهم طوال الاسابيع الاخيرة منذ بدأت معركة القناة حيث يتساقط الشـــهداء فى الاسماعيلية والسويس وبورسعيد والتل الكبير وهذه الكباريهات غاصة برواذها من المتعطلين الضائعين .

.. وتثاقل ضباط الاطفاء والجنود وراحوا يتهامسون . أنهم جزء من البوليس الذى اعتدى عليه بالامس . أنهم جزء من الشعب المجروح ، وهم بشر من لحم ودم ولهم عواطف ومشــاعر .. فما لهم لا يغضـــبون بدورهم مالهم لا يعبرون عن الغضب بالتثاقل والتراخى .. والذى يحرق هو كازينو أوبرا فى نهاية الامر .. واندفعت الجموع تمزق خراطيم المياه ..

... الى ســـينما ريفولى ، الى الدار الانجليزية ، وكأنما تحــولت الجماهير الى آلة أوتوماتيكية يستطيع اى انسان أن يضغط على زر لكى يدفعها الى الحركة وتنفيذ المطلوب » (٢٢) .

.. احمد حســين الذن لا يدين الحــريق ، ولا يرى له فاعلا ســـوى الجماهير .. ويحكى لنا قصة ــ غير ثابتة ــ بل لم ترد فى التحقيق ولا فى أقوال الشــهود عن ضــابط كبير يشرب الخمر فى كازينوا أوبرا والعكس صحيح فقد اتهم احد ضباط الجيش بمشاركته فى اشـــعال حريق كازينو أوبرا وهو الملازم أول محمد حلمى عبد الخالق (٢٣) .

خلاصة الامر .. أحمد حسين لم ير فى حريق القاهرة جريمة ..

* * *

ويبقى أحمد حسين فى السجن يناضل كى يفلت من حبل المشنقة .. وفى ليلة ٢٢ يوليو تنطلق شرارة الثورة ويستولى الضباط الاحرار عـلى الحـكم .

وهؤلاء الضباط الاحرار ليسوا غرباء عن أحمد حسين ولا عن حزبه ..

وقد نشرت « مصر الفتـــاة » نصـــوصا وتعليقات على منشـــوراتهم وبياناتهم (٢٤) .. بل ان بعض قيادات الضباط الاحرار ومنهم جمال عبد

(٥٢) احمد حسين ــ واحترقت القاهرة ــ المرجع السابق ص ٤٤٤ .
(٥٣) جمال الشرقاوى حريق القاهرة ص ٢٩١ .
(٥٤) مصر الفتاة ١٩٥٠/٩/٢٢ مقال بعنوان « منشور من الجيش » .

الناصر نفسه كانوا فى يوم من الايام اعضـاء فى مصـــر الفتاة أو عاطفين عليها (٥٥) وليس عبد الناصر وحـده بل هناك انور السادات وحسن ابراهيم وجمال ســـالم (٥٦) ٠

ويؤكد فؤاد نصحى (أحد قادة الحزب الاشـتراكى) هذه العـلاقات جميعا فيقول « ذكر جمال عبد الناصر انه اعتقل قبل دخوله الكلية الحربية بسبب انتمائه لمصر الفتاة ، وذكر انور السادات أن صلاته لم تنقطع بحركة مصر الفتاة وذكر حسن ابراهيم أن عضـــويته فى شــعبة مصر الفتـاة بالاسـكندرية كادت أن تحرمه من الالتحـاق بالقوات المسـلحة ، وجـلال ندا كان يدرب كتائب مصر الفتاة ، وكان هناك عدد من الضـباط الاحرار على صلة بالحزب الاشتراكى ومنهم مشهور احمد مشهور ، محمد احمد رياض ، محمد وجيه اباظة ، مصطفى بهجت بدوى ، اسماعيل فريد » (٥٧) ٠

وبعد ثورة يوليو عادت مجلة الاشتراكية الى الصـــدور « وبجوارها شقيقة جديدة هى مجلة العهد الاشتراكى ، التى أصدرها عبد الخالق التكية ٠٠ وكانت اول مجلة يصرح بصدورها بعد الثورة (٥٨) ٠

ويبقى احمد حسين فى سجنه لفترة من الوقت ، فقد استشعر الضباط الحرج من الصاق تهمة حريق القاهرة أو التستر على المتهمين فيها بهم ٠٠

ومع صدور قانون الاحزاب عقد الحزب الاشتراكى جمعية عمومية فى أكتوبر ١٩٥٢ برئاسة ابراهيم شكرى (وكان أحمد حسين لم يزل فى الســـجن) ووافقت الجمعيـة العمــومية على برنامج جديد للحزب ولائحـة داخلية له وارسلت اخطارا بذلك الى وزارة الداخلية ٠

وافرج عن احمد حسين ومضت الامور وكأنها تسير فى طريقها السعيد٠

حتى كان قرار حل الاحزاب السياسية فى يناير ١٩٥٣ ٠

---

(55) RAYMOND FLOWER-Napoleon to Nasser - Lonod - (1976)- p. 154.

(56) P. J. Vaitkiotis - The Egyptian Army in Politics (1961) P. 49.

(٥٧) فؤاد نصحى — مصر الفتاة ، الحزب الاشتراكى — المطبعة العالمية (١٩٧٨) — ص ٢٥ ٠

(٥٨) المرجع السابق — ص ٢٤ ٠

٠٠ البعض قاوم القـرار ورفض تنفيـذه (الشـيوعيون والاخوان المسـلمون) ٠

٠٠ والبعض احتج على القرار دون مقاومة (الوفد ٠٠) ٠

والبعض الآخر لم يعترض ولم يحتج وآثر السلامة وانسحب من ميدان السياسة دون اية مقاومة ٠٠ أو حتى تفكير فى المقاومة ٠

ومن هؤلاء أحمد حسين وحزبه ٠

★ ★ ★

وتتوقف بنا الدراسة عند هذا الحد ٠٠

المـــــراجع

(١) كتب عربية ومترجمـــة :

- ابراهيم عبـده (الدكتور) ـ الديمقراطية بين شـيوخ الحـارة ومجالس الطراطير .
- احمد حسين ـ ايمانى .
- احمد حسين ـ وراء القضبان .
- احمد حسين ـ قضية التحريض على حريق القاهرة .
- احمد حسين ـ الزواج والمرأة .
- احمد حسين ـ الارض الطيبة ، رسالة فى الوطنية .
- احمد حسين ـ نحو المجد والعلم والمال .
- احمد حسين ـ ازهــار .
- احمد حسين ـ الدكتور خالد .
- احمد حسين ـ واحترقت القاهرة .
- احمد حسين ـ الخطــاب الوطنى الذى منعت الحكومة القــاءه فى المؤتمر الوطنى بثكنات قصر النيل .
- احمد عبد الرحيم مصطفى (الدكتور) ـ تطور الفكر السياسى فى مصر الحـــديثة .
- اسعد حليم ـ قضية السودان .
- انور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون .
- جمال الدين المســدى (الدكتور) ـ وآخرون ـ مصر والحـرب العالميـــة الثانيـــة .
- جمال سليم ـ البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ ـ ١٩٥٢ .
- جمال سليم ـ قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير .
- جمال الشرقاوى ـ حريق القاهرة .

- جورج كيرك ــ موجز تاريخ الشرق الاوسط ــ ترجمة عمر السكندرى .
- حافظ محمود ــ أسرار الماضى من ١٩٠٧ الى ١٩٥٢ .
- رفعت السعيد (الدكتور) ــ اليسار المصرى ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠ .
- رفعت السعيد (الدكتور) ــ تاريخ المنظمات اليســـارية المصرية ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠ .
- رفعت الســـعيد (الدكتور) ــ اليســـار المصـــرى والقضـــية الفلســـطينية .
- رفعت السعيد (الدكتور) ــ مصطفى النحاس ، السياسى والزعيم والمناضـــل .
- رفعت السعيد (الدكتور) ــ حسن البنا ، متى وكيف ولماذا ؟
- ساطع الحصرى ــ حول القومية العربية .
- شهدى عطية الشافعى ــ تطور الحركة الوطنية المصرية .
- صالح على عيسى السودانى ــ الاسرار الســـياسية لابطال الثورة المصرية وآراء الدكتور محجوب ثابت .
- طارق البشرى ــ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ .
- عبد الحميد فهمى مطر ــ التعليم والمتعطلون فى مصر .
- عبد الحميد يونس ــ حكايات انتخابية .
- عبد الرحمن الرافعى ــ فى اعقاب الثورة جزآن .
- عبد العزيز الدسوقى ــ الحركات الجديدة ، احمد حسين .
- عبد العظيم رمضان (الدكتور) ــ تطور الحركة الوطنية فى مصر (ثلاثة أجزاء) .
- علماء الحملة الفرنسية ــ وصف مصر ــ المجلد الثالث ــ ترجمة زهير الشـــايب .
- فتحى الرملى ــ ضوء على التجارب الحزبية فى مصر .
- فتحى الرملى ــ شعر الحرمان .
- فؤاد المرسى خاطر (الدكتور) ــ العلاقات المصرية السوفيتية .
- فؤاد نصحى ــ مصر الفتاة ، الحزب الاشتراكى .
- فوزى جرجس ــ دراسات فى تاريخ مصر السياسى .

- قسطاكى الياس عطارة — تاريخ تكوين الصحف المصرية .
- محمد أنيس (الدكتور) — حريق القاهرة .
- محمد أنيس (الدكتور) — ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى .
- محمد زكى عبد القادر — محنة الدستور .
- محمد صبيح — روسـيا .
- محمد صبيح — اليابـان .
- محمد صبيح — هتـلر .
- محمد صبيح — صفحات عن الحرب العالمية الثانية .
- محمد طاهر العربى — هذا المجتمع الظالم .
- محمد عزة دروزة — حول الحركة العربية الحديثة — جـ ٦ .
- محمد على علوبة باشا — مبادىء فى السياسة المصرية .
- محمد عودة — سبعة باشوات وصور أخرى .
- محمد المويلحى — حديث عيسى بن هشام .

★ ★ ★

(ب) مذكرات ووثائق واوراق قضائية :

- احمد حسين — حياتى السياسية .
- احمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية .
- اليد القوية — خطب واحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ اسندت اليه رياسة الوزارة .
- جميل عارف — من المذكرات السرية لاول امين عام لجامعـة الدول العربية عبد الرحمن عزام .
- عبد الحميد المشهدى — صحيفة سوابق .
- فاطمة اليوسف — ذكريات .
- محمد حسين هيكل (الدكتور) — مذكرات فى السـياسة المصرية (ثلاثة اجزاء) .

ـ محمد زكي عمر ـ ربع قرن فى مفاوضات .

ـ محمد صبيح ـ من العلمين الى سجن الاجانب .

ـ محمد على الطاهر ـ معتقل هاكستب .

ـ محمد على الطاهر ـ ظلام السجن ـ مذكرات ومفكرات .

ـ التقرير السنوى لحزب مصر الفتاة المقدم للجمعية العمومية المنعقدة فى ٣٦ـ١٠ـ١٩٤٥ .

ـ تقارير القسم المخصوص بوزارة الداخلية الى وكيل الوزارة لشئون الامن العــــام .

ـ تقرير اتهام النيابة فى قضــية الجناية رقم ٨٧٦ الســيدة زينب لعـــام ١٩٣٨ .

ـ مرافعة النيابة العامة فى قضـية الجناية رقم ١٤٣ لســـنة ١٩٥٢ عسكرية عليا المتهم فيها احمد حسين وآخرين (حريق القاهرة).

ـ محضر تحقيق النيابة فى قضــية الجناية رقم ١٤٣ لســـنة ١٩٥٢ عسكريا عليا (حريق القاهرة) .

ـ ملف قضية الجناية ١١٢٩ لســـنة ١٩٤٦ المتهم فيها حسين توفيق وآخرين (اغتيال امين عثمان) .

ـ مرافعات الرئيس احمد حســين فى عهد حكومة الوفد (من كفــاح مصر الفتـــــاة) .

ـ مرافعة احمد حسين المحامى فى قضية اغتيال المرحوم محمود فهمى النقراشى (الجناية العسكرية رقم ٥ لسنة ١٩٤٩) .

ـ مرافعة الاستاذ احمد حسين المحامى فى قضية تحطيم الحانات .

ـ مجلس النواب ـ مضابط جلسات عام ١٩٣٦ وعام ١٩٥٠ .

ـ محاكمات الثورة ـ الكتـــاب الرابع ـ محاكمة كريم ثابت ، اعداد كمـــال كيرة .

ـ ملف الحـكومة المصرية ٦١٣٣ / الجيش المصرى ـ مودع بمكتبـة رئاســـة الجمهـــورية .

ـ وثائق وزارة الخـــارجية البريطانية ـ الارشــيف العــام ـ مودعة بالمتحف البريطانى بلندن .

★ ★ ★

(ج) دراســـات غير منشورة :

ـ اسماعيل احمد باغى ـ حركة رشـيد عالى الكيلانى (رســـالة ماجســـتير) .

ـ آمال محمد كامل بيومى السبكى ـ التيارات الســـياسية فى مصر ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢ (رسالة ماجستير) .

ـ سيد عشماوى (الدكتور) ـ تاريخ الفكر السياسى المصرى (رسالة دكتـــوراه) .

ـ عايدة ابراهيم نصير ـ الكتب العربية التى صـدرت فى مصر بين عامى ١٩٢٦ ـ ١٩٤٠ (رسالة ماجستير) .

ـ على شلبى ـ مصر الفتاة ودورها فى المجتمع المصرى (رســالة ماجســـتير) .

(د) دوريـــات :

ـ الاخبـــار ١٩٧٥

ـ آخر ســـاعة ١٩٣٦

ـ الاشــتراكية ١٩٥٠ ـ ١٩٥١

ـ البـــلاغ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٨

ـ الجهـــاد ١٩٣٣.

ـ الســـياسة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦

ـ الصرخة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٦

ـ الفجر الجديد ١٩٤٥

ـ كل شىء ١٩٣٦

ـ اللطائف المصورة ١٩٢٧

ـ المجلة الجديدة ١٩٣٢

ـ المصرى ١٩٣٧ ـ ١٩٥١

ـ المقطـم ١٩٣٨.

ـ الوفد المصرى ١٩٤٥

- اخبار اليوم ١٩٤٨
- الاساس ١٩٥٠
- الاهرام ١٩٢٤ - ١٩٦٧
- تعاون الطلبة ١٩٧٦
- الجمهورية ١٩٧٥
- الشعب الجديد ١٩٥١
- الطليعة ١٩٦٥ - ١٩٧٥
- الفلاح المصرى ١٩٣٨
- كوكب الشرق ١٩٣٦
- مجلة المدرسة الخديوية ١٩٢٨
- مصر الفتاة ١٩٣٨ - ١٩٥١
- المصور ١٩٣٩ - ١٩٧٨
- الملايين ١٩٥١

(هـ) كتب اجنبية :

- A. METIN, La transformation de L'Egypte.
- A. WRIGHT and H. A. GARWRIGHT, Twentieth Century impressionsos Egypt.
- Coinet Bey, Dictionnaire geographique de l'Egypte.
- F. AMICI, Essai de Statisteque generale de l'Egypte.
- Jean-pierre THIECK, Le Journee Du 12 Fevrier.
- MAJID Khadduri-political Trends in the Arab world.
- P.J. VATIKIOTIS-The Egyptian Army in politics.
- P.M. HOLT, Political and Social change in Moderu Egypt.
- RAYMOND FLAWER, Napoleon to Nasser.
- Walter Laqnew, Communism and Nationaism in the M.ddle East.

صدر للمؤلف :

- الاساس الاجتماعى للثورة العرابية — طبعتان
- تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر — طبعتان
- ثلاثة لبنانيين فى القاهرة — طبعتان
- عصام الدين حفنى ناصف — طبعتان
- نقولا الحداد — طبعتان
- تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ — ١٩٢٥ — ثلاث طبعات
- اليسار المصرى ١٩٢٥ — ١٩٤٠ — طبعتان
- تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ — ١٩٥٠
- الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ — ١٩٤٨ — طبعتان
- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية
- اوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية
- تاملات فى الناصرية — طبعتان
- محمد فريد والمأساه
- سعد زغلول بين اليمين واليسار
- مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل
- حسن البنا متى . كيف ولماذا ؟
- السكن فى الادوار العليا (روايه) .

كتب مترجمة :

- مسألة الامة تاليف بيلينا مودرجنسكايا
- اضواء على الهند الصينية تاليف مالكولم سالمون
- الارض (رواية) اميل زولا — طبعتان

الفهرس

دار اسامة للطبـاعة

رقم الايداع ١٩٧٩/٤٦٨٧
الترقيم الدولى ٤ ـ ٠٧ ـ ٧٣١٥

لعل الاغريق القدماء كانوا على حق تماما عندما قالوا ان التاريخ « هو البحث عن الاشياء الجديرة بالمعرفة » •

وعندما يتعرض المؤرخ لدراسة شخصية ما فان عليه ان يحدد بالدقة ما هيه الشيء الجدير بالمعرفة في هذه الشخصية • وفي هذا الكتاب يتحدد الهدف بأن نتوصل ولو الى أقل قدر من الوضوح عن البواعث والاسباب التي تدفع السياسي ان يرتدي اكثرمن ثوب ، وأن يظهر بأكثر من وجه ، وأن يتقلب بين الموقف ونقيضه والفكرة وعكسها •

ولكن ••

هل يمكن ان تمسك بالزئبق ؟

ان استطعت فسوف يمكنك ان تمسك بتلابيب حقيقة البرجوازي الصغير عندما يشتغل بالسياسة هل تصمد فقاعه الصابون ؟

كلا •• فبعد ان تتألق في توهج مثير •• لاشيء يبقى منها •

وهكذا يكون بعض السياسيين ••

ومن هنا تكون الحيرة •• ومشقه البحث عن الحقيقة •

والمؤرخ لايقبل — ان كان صادقا — بغير التوصل الى حقيقة الاشياء ، وقد يقوده بحثه المضني الى مواقع الخطر ، وقد يؤدي ذلك بالبعض الى تصور انه يتخذ موقفا سياسيا ضد هذا الشخص أو ذاك الحزب ••

وعلى ايه حال فانه يصعب تصور التاريخ دون سياسة •

واذا كان من الممكن ان نتوصل في معمل الكيمياء الى عزل عناصر عن بعضها البعض ، فاننا ومهما أجهدنا أنفسنا ، ومهما ادعينا «الحياد» و « الاكاديمية » لن نتمكن من الحصول على « التاريخ » نقيا من آثار السياسة •

ويبقى بعد ذلك ، وبرغم ذلك ، ان نبذل اقصى جهد كي نتوصل الى فهم اكثر وضوحا لشخصية أحمد حسين • ذلك « الزعيم » الذي تقلب وبأعلى صوت ممكن ، وفي اسرع وقت ممكن بين ال[illegible] والاسلامية والفاشية والملكية الدستورية وحتى الملكية غير [illegible] ثم الاشتراكية •

فهل نستطيع ذلك حقا ؟